



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغات



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir



التقية في المجتمع الإسلامي أدلة وآثار

كتاب يستفيد منه من أراد وأوج مجال المناظرات في
مسائل الخلاف، وخاصة في مبحث التقية



محمد جواد فاضل الموسوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التقية في المجتمع الاسلامى: ادله و آثار

كاتب:

فاضل موسى

نشرت في الطباعة:

جامعة المصطفى (صلى الله عليه وآله) العالمية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٢	التقيه فى المجتمع الاسلامى: ادله و آثار
١٢	اشاره
١٣	اشاره
١٧	كلمه الناشر
١٩	الفهرس
٢٩	الإهداء
٣١	مقدمه
٣٥	الباب الأول: فى تصوير البحث
٣٥	اشاره
٣٧	١. تعريفات
٣٧	اشاره
٣٧	التقيه لغه
٣٨	التقيه شرعاً
٣٨	تعريفها عند الإماميه
٤٠	وأما عند أتباع المذاهب
٤٠	عنوان الظالم عنوان عام
٤٣	خلاصه ما تقدم
٤٣	كلام فى الضد
٤٤	الإذاعه
٤٤	المداراه لغه
٤٥	المداهنه والموالسه والمصانعه
٤٧	النفاق
٤٨	الإيمان

٤٩	تدقيق
٥٢	٢. تصوير البرهان
٥٤	الباب الثاني: بحث أدله التقيه عند المسلمين
٥٤	اشاره
٥٦	١. فى بيان حرمه الدم
٥٦	اشاره
٥٦	الحديث القدسى
٥٨	أقوال النبى صلوات الله تعالى عليه وآله
٥٩	أقوال الصحابه والعلماء
٦١	المستفاد
٦٢	حرمه الدم من ضرورات الدين
٦٤	٢. استخدامها مع الكفار
٦٤	أولاً: الدليل العقلى
٦٥	ثانياً: الأدله الشرعيه
٦٥	اشاره
٦٨	حديث الإكراه
٧٣	٣. استخدامها مع المسلمين
٧٣	مقدمه
٧٣	أولاً: النبى صلى الله عليه و آله
٧٤	ثانياً: استخدام الصحابه وعامه أتباع المذاهب
٨٧	لفتات
٨٨	رجوع سريع
٩٣	أصل حديثين
١١٣	من يدارى ممن
١١٤	للصحابه جميعاً تقيه مع عمر
١١٥	موقف لعمر بن العاص

١٢٠	من موارد التقيه
١٢٠	محاكاة وحوار مع الأدله
١٢١	تحليل حال
١٢٤	٤. الإجازة بالكذب
١٢٤	اشاره
١٢٤	مخالفه روايتى البخارى ومسلم للقرآن
١٢٧	الواقع
١٢٨	٥. التقيه عندنا
١٢٨	اشاره
١٢٩	باب التقيه
١٣٢	٦. مغالطتان وجوابهما
١٣٢	اشاره
١٣٢	المغالطه الأولى
١٣٣	المغالطه الثانيه
١٣٤	حديث الغريب
١٣٥	مصادر الحديث
١٣٦	حديث القابض على دينه
١٣٨	أحاديث أيام الفتن
١٣٨	حديث دعاه الضلاله
١٤٠	كما تدين تدان
١٤٣	تعقيباً على ما تقدم
١٤٣	رجوع إشكال الكتمان على ملقيه
١٤٤	٧. نتيجته الأدله من الناحيه الشرعيه
١٤٦	الباب الثالث: آثار التقيه
١٤٦	اشاره
١٤٨	مقدمه مهمه

١٥٢	١. آثارها الاجتماعيه
١٥٢	اشاره
١٥٤	التعايش السلمى من قبل آل البيت عليهم الصلاه والسلام
١٥٥	كراهه إضممار نيه الشر
١٥٨	٢. آثارها الاقتصاديه والسياسيه
١٦٤	الباب الرابع: تحليل
١٦٤	اشاره
١٦٦	١. موقف وتحليل
١٦٦	اشاره
١٦٦	المحاوره
١٦٧	خلاصه المحاوره
١٦٨	خلاصه هذه الحادثه
١٦٨	تحليل لما ورد
١٧٠	الباب الخامس: جذور المواجهه
١٧٠	اشاره
١٧٢	مقدمه
١٧٤	١. من تاريخ التشيع
١٧٤	اشاره
١٧٩	المقابر الجماعيه للشيعة حصه الأسد منها
١٨٠	هل من معتبر
١٨١	٢. التعامل مع الأحداث
١٨١	اشاره
١٨٣	الجهاد مره ابتداءً وأخرى دفاعاً
١٨٥	٣. فلسفه التقيه والكتمان
١٨٥	اشاره
١٨٦	دوافع التأكيد على التقيه بهذا النحو

١٨٩	٤. البناء العظيم
١٨٩	اشاره
١٨٩	تصحيح
١٩٠	تمييز المنشقين عن الإماميه
١٩١	٥. بعد التغيير في إيران
١٩٣	الباب السادس: النتائج
١٩٣	اشاره
١٩٥	١. نتائج البحث
١٩٥	النتيجة الأولى: أن الله تعالى لا يعذب
١٩٦	النتيجة الثانية: العامل بها ليس بمنافق
١٩٦	النتيجة الثالثة: حمل النفاق على التقيه خطأ علمي
١٩٦	اشاره
١٩٨	بيان الخطأ الذي وقع فيه القوم
٢٠١	الأمر الثاني: كونها كل الدين أو تسعة أعشار الدين
٢٠١	الخلط في استخدام المصطلح
٢٠٢	رفع الحصانه الإسلاميه
٢٠٣	من الكافر ومن المسلم ومن المنافق؟
٢٠٥	٢. التقيه مشروع تكاملي لا يعطل
٢٠٥	اشاره
٢٠٥	التقيه والكتمان خفاء وتخلص من الرياء
٢٠٨	أقسام السر
٢٠٨	القسم الأول: السر من جهه العلم أو المعرفه
٢١٢	القسم الثاني: من جهه العمل
٢١٢	القسم الثالث: ما يشمل شؤون الحياه الأخرى
٢١٣	خُلُقُ المتقين
٢٢٩	عِلْمُ المتقين

- ٢٣٠ صَبُّ المتقين
- ٢٣٠ أين أنت من القرآن الكريم
- ٢٣١ تذكّر عنوان رفع الحصانه الإسلاميه
- ٢٣٣ المرء مع من يحب
- ٢٤١ مقام المتقين بين الآيات الكريمه
- ٢٤٢ مستويات التقيه
- ٢٤٤ الكتمان والتقيه ليسا تغطيه الرأس فى التراب
- ٢٤٥ حكم من لا يعمل بهما
- ٢٤٧ ملحق المصادر
- ٢٤٧ مصادر الحديث القدسى من الفريقين
- ٢٥٠ مصادر حديث من قتل مسلماً أو مؤمناً
- ٢٥٢ مصادر حادثه قتل مالك بن نویره رضوان الله تعالى عليه
- ٢٥٣ مصادر معركه الجمل
- ٢٥٥ مصادر معركه صفين
- ٢٥٧ من شهد حرب صفين
- ٢٥٩ مصادر قتل عمار رضوان الله تعالى عليه
- ٢٦١ مصادر قتل حجر بن عدى رضوان الله تعالى عليه
- ٢٦٣ مصادر الحمل على التأويل
- ٢٦٤ مصادر مقتل محمد بن أبى بكر رضوان الله تعالى عليه
- ٢٦٥ فى مالک الأشتر رضوان الله تعالى عليه
- ٢٦٦ مصادر مقتل عمرو بن الحمق رضوان الله تعالى عليه
- ٢٦٧ مصادر حادثه سم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد
- ٢٦٨ مصادر حديث يكون عليكم أئمه
- ٢٦٨ مصادر تتحدث عن بسر بن أرتاه
- ٢٦٩ مصادر تتحدث عن سمره بن جندب
- ٢٧١ المنع من تدوين السنه تحليل ومصادر

- ٢٧٤ ----- مصادر الوصيه فى آل البيت -
- ٢٧٧ ----- مصادر نفى أبى ذر رضوان الله تعالى عليه -
- ٢٧٧ ----- مصادر سب أمير المؤمنين على عليه السلام -
- ٢٧٩ ----- مصادر تتبع الشيعة -
- ٢٧٩ ----- مصادر حديث البيعه لإمام -
- ٢٨٠ ----- مصادر حديث افتراق الأمه -
- ٢٨٤ ----- ملاحظه مهمه -
- ٢٨٥ ----- تعريف مركز -

فاضل موسى، محمدجواد

التقيه فى المجتمع الاسلامى: ادله و آثار/ محمدجواد فاضل الموسوى؛ [ل]جامعه المصطفى صلى الله عليه و آله العالميه، معاونيه التحقيق. - - قم: جامعه المصطفى صلى الله عليه و آله العالميه، ١٤٣٠ ق. ١٣٨٨.

٢٤٨ ص. - - (جامعه المصطفى صلى الله عليه و آله العالميه، معاونيه التحقيق؛ ١٤٨)

ISBN : ٩٧٨-٩٦٤-١٩٥-٠٤٤-٨ ريال ١٣٠٠٠

عربى

فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فييا.

كتابنامه به صورت زيرنويس.

١. تقيه. ٢. تقيه - - احاديث. ٣. تقيه - - جنبه هاى قرآنى. الف. جامعه المصطفى صلى الله عليه و آله العالميه. معاونت پژوهش. ب. عنوان.

٧ت٢ ف / ٥ / ٢٢٦ / ٢٩٧/٤٦٨ BP

التقيه فى المجتمع الإسلامى، أدله و آثار

المؤلف: محمدجواد فاضل الموسوى

الطبعة اولى: ١٤٣٠ ق / ١٣٨٨ ش

النّاشر: دار المصطفى صلى الله عليه و آله العالميه

الإخراج الفنى: هادى عبدالملكى

المطبعة: توحيد السّعر: ٣١٠٠٠ ريال عدد النسخ: ٢٠٠٠

حقوق الطبع محفوظه للنّاشر.

التوزيع:

قم، استداره الشهداء، شارع الحجتیه، مقابل مدرسه الحجتیه، محل بیع دار المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه.

هاتف - فکس: ۰۲۵۱۷۷۳۰۵۱۷

قم، شارع محمد الامین، تقاطع سالاریه، قرب جامعه العلوم، محل بیع دار المصطفی صلی الله علیه و آله العالمیه. هاتف -

فکس: ۰۲۵۱۲۱۳۳۱۴۶ - ۰۲۵۱۲۱۳۳۱۰۶

www.miup.ir , www.eshop.miup.ir

E-mail: admin@miup.ir , Root@miup.ir

ص: ۱

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

التقيه فى المجتمع الاسلامى: ادله و آثار

محمد جواد فاضل الموسوى

ص: ٣

إنّ العلم والدين والثقافه هى القواعد الأساسيه للحياه الإنسانيه، وإنّ الحوار العلمى يقوم بتنميه ونشر المعارف وترويح التدين.

ونتيجه لامتلاك المجتمع الإسلامى للغات وثقافات مختلفه، فقد تمكن من الإتيان بمذاهب فكريّه ومناهج عمليّه متنوعه، عبر التفكّر والتبادل الفكرى والثقافى على مرّ التاريخ.

إنّ النظره الثاقبه إلى المسائل والاهتمام بالاختلافات الدقيقه، تعتبر من لوازم التفكّر والتربيه والتعمق فى المعرفه، وعند ضمّ هذه الميزه إلى الميزات الأخلاقيه المكمله الأخرى، مثل الصبر والتواضع، سوف نتمكن من الحصول على ثقافه علميّه سليمه، وتتوفر لدينا إمكانيه التعايش العلمى السلمى.

ومن الجدير بالعلماء وخبراء المسلمين، أن يعتبروا أنفسهم رواداً لهذه الحركه، ويتجنبوا الانقياد للمتحمّرين وأهل الجهل والهوى، على أمل أن تكون نظرتنا إلى العلوم الدينيه نظره عميقه؛ من خلال الاعتماد على نشر ثقافه الحوار السليم، علماً أنّ دار النشر التابعه للجامعه المصطفى صلى الله عليه وآله العالميه بصدد تحقيق هذا الهدف، من خلال اهتمامها بنشر الآثار العلميه.

إنّ هذا الأثر الذى يحمل عنوان: «التقيه فى المجتمع الإسلامى، أدله وآثار» تعرّض لدراسه جوانب وأبعاد هذا الموضوع، حيث سعى المؤلف المحترم أن يقدم أثراً مناسباً للقراء

فى هذا المجال؛ وذلك من خلال عرضه لمختلف المصادر وتقدمه الكثير من الأدله، ونتمنى أن يؤدى ما بذله من جهد الغرض المنشود.

كما أنّ إداره البحوث فى الجامعه المصطفى صلى الله عليه و آله العالميه، تقدم الشكر والتقدير الخالص لما بذله المؤلف المحترم، وبقية العاملين الذين قاموا بإعداد ونشر هذا الأثر.

دار المصطفى صلى الله عليه و آله العالميه

معاونيه التحقيق

ص: ٦

الفهرس

كلمه الناشر ٥

الإهداء ١٣

مقدمه ١٥

الباب الأول: فى تصوير البحث

١. تعريفات ٢١

التقيه لغه ٢١

التقيه شرعاً ٢٢

تعريفها عند الإماميه ٢٢

وأما عند أتباع المذاهب ٢٤

عنوان الظالم عنوان عام ٢٤

خلاصه ما تقدم ٢٦

كلام فى الضد ٢٦

الإذاعه ٢٧

المداراه لغه ٢٧

المداهنه والموالسه والمصانعه ٢٧

النفاق ٢٩

الإيمان ٣١

تدقيق ٣٢

٢. تصوير البرهان ٣٥

الباب الثاني: بحث أدله التقيه عند المسلمين

ص: ٧

١. فى بيان حرمة الدم ٣٩

الحديث القدسى ٣٩

أقوال النبى صلوات الله تعالى عليه وآله ٤١

أقوال الصحابه والعلماء ٤٢

المستفاد ٤٤

حرمة الدم من ضرورات الدين ٤٥

٢. استخدامها مع الكفار ٤٧

أولاً: الدليل العقلى ٤٧

ثانياً: الأدله الشرعيه ٤٨

حديث الإكراه ٥١

٣. استخدامها مع المسلمين ٥٥

مقدمه ٥٥

أولاً: النبى صلى الله عليه وآله ٥٥

ثانياً: استخدام الصحابه وعامه أتباع المذاهب ٥٦

لفتات ٦٧

رجوع سريع ٦٨

أصل حديثين ٧٣

من يدارى ممن ٩٣

للصحابه جميعاً تقيه مع عمر ٩٤

موقف لعمر و بن العاص ٩٥

من موارد التقيه ٩٩

محاكاه وحوار مع الأدله ٩٩

تحليل حال ١٠٠

٤. الإجازة بالكذب ١٠٣

مخالفة روايتى البخارى ومسلم للقرآن ١٠٥

الواقع ١٠٦

٥. التقيه عندنا ١٠٧

باب التقيه ١٠٨

٦. مغالطتان وجوابهما ١١١

المغالطه الأولى ١١١

المغالطه الثانيه ١١٢

حديث الغريب ١١٣

مصادر الحديث ١١٤

ص: ٨

حديث القابض على دينه ١١٥

أحاديث أيام الفتن ١١٧

حديث دعاه الضلاله ١١٧

كما تدين تدان ١١٩

تعقيماً على ما تقدم ١٢٢

رجوع إشكال الكتمان على ملقيه ١٢٢

٧. نتیجه الأدله من الناحيه الشرعيه ١٢٣

الباب الثالث: آثار التقيه

مقدمه مهمه ١٢٧

١. آثارها الاجتماعيه ١٣١

التعايش السلمى من قبل آل البيت عليهم الصلاه والسلام ١٣٣

كراهه إضمار نيه الشر ١٣٤

٢. آثارها الاقتصاديه والسياسيه ١٣٧

الباب الرابع: تحليل

١. موقف وتحليل ١٤٥

المحاوره ١٤٥

خلاصه المحاوره ١٤٦

خلاصه هذه الحادته ١٤٧

تحليل لما ورد ١٤٧

الباب الخامس: جذور المواجهه

١. من تاريخ الشيع ١٥٣

المقابر الجماعيه للشيعه حصه الأسد منها ١٥٧

هل من معتبر ١٥٨

٢. التعامل مع الأحداث ١٥٩

الجهاد مره ابتداءً وأخرى دفاعاً ١٦١

٣. فلسفه التقيه والكتمان ١٦٣

دوافع التأكيد على التقيه بهذا النحو ١٦٤

٤. البناء العظيم ١٦٧

تصحيح ١٦٧

تميز المنشقين عن الإماميه ١٦٨

ص: ٩

٥. بعد التغيير فى إيران ١٦٩

الباب السادس: النتائج

١. نتائج البحث ١٧٣

النتيجة الأولى: أن الله تعالى لا يعذب ١٧٣

النتيجة الثانية: العامل بها ليس بمنافق ١٧٤

النتيجة الثالثة: حمل النفاق على التقيه خطأ علمى ١٧٤

بيان الخطأ الذى وقع فيه القوم ١٧٤

الأمر الثانى: كونها كل الدين أو تسعه أعشار الدين ١٧٩

الخلط فى استخدام المصطلح ١٧٩

رفع الحصانه الإسلاميه ١٨٠

من الكافر ومن المسلم ومن المنافق؟ ١٨١

٢. التقيه مشروع تكاملى لا يعطل ١٨٣

التقيه والكتمان خفاء وتخلص من الرياء ١٨٣

أقسام السر ١٨٦

القسم الأول: السر من جهه العلم أو المعرفه ١٨٦

القسم الثانى: من جهه العمل ١٩٠

القسم الثالث: ما يشمل شؤون الحياه الأخرى ١٩٠

حُلقُ المتقين ١٩١

عِلْمُ المتقين ٢٠٢

صَبْرُ المتقين ٢٠٣

أين أنت من القرآن الكريم ٢٠٣

تذكر عنوان رفع الحصانه الإسلاميه ٢٠٤

المرء مع من يحب ٢٠٦

مقام المتقين بين الآيات الكريمه ٢١٢

مستويات التقيه ٢١٣

الكتمان والتقيه لسا تغطيه الرأس فى التراب ٢١٥

حكم من لا يعمل بهما ٢١٦

ملحق المصادر ٢١٧

مصادر الحديث القدسى من الفريقين ٢١٧

مصادر حديث من قتل مسلماً أو مؤمناً ٢١٩

مصادر حادثه قتل مالك بن نویره رضوان الله تعالى عليه ٢٢٠

مصادر معركة الجمل ٢٢١

مصادر معركة صفين ٢٢٣

ص: ١٠

من شهد حرب صفين ٢٢٤

مصادر قتل عمار رضوان الله تعالى عليه ٢٢٦

مصادر قتل حجر بن عدى رضوان الله تعالى عليه ٢٢٧

مصادر الحمل على التأويل ٢٢٨

مصادر مقتل محمد بن أبى بكر رضوان الله تعالى عليه ٢٢٩

فى مالك الأشر رضوان الله تعالى عليه ٢٣٠

مصادر مقتل عمرو بن الحمق رضوان الله تعالى عليه ٢٣١

مصادر حادثه سم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ٢٣٢

مصادر حديث يكون عليكم أئمه ٢٣٣

مصادر تتحدث عن بسر بن أرطاه ٢٣٣

مصادر تتحدث عن سمره بن جندب ٢٣٤

المنع من تدوين السنه تحليل ومصادر ٢٣٦

مصادر الوصيه فى آل البيت ٢٣٨

مصادر نفى أبى ذر رضوان الله تعالى عليه ٢٤١

مصادر سب أمير المؤمنين على عليه السلام ٢٤١

مصادر تتبع الشيعة ٢٤٣

مصادر حديث البيعه لإمام ٢٤٣

مصادر حديث افتراق الأمة ٢٤٤

ملاحظه مهمه ٢٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على أشرف الخلائق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين واللعن الدائم الأبدى على أعدائهم من الأولين والآخريين إلى رسول الله وآله صلوات ربى عليهم أجمعين وإلى المصطفين الأخيار جميعاً. إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (الأحزاب: ٥٦)

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (الشورى: من الآية ٢٣)

نعم إلى النور الأول الذى إذا شاهده بصيره الإنسان وجدته فى الحقيقة أربعة عشر كنزاً... هم أنوار الهدايه والواسطه فى الفيض على جميع عالم الإمكان، فقال الله فيه وفيهم: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء: ١٠٧) وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (الرعد: من الآية ٧)

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ (النمل: من الآية ٥٩)

إلى الوالدين اللذين تعبوا وأماتا جسديهما من أجل أن أحيا أنا

وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَ فِصَالَهُ فِي سَامِيٍّ أَنِ اشْكُرْ لِي وَ لِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (لقمان: ١٤).

إلى أولى الأرحام من المؤمنين

وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (الأنفال: من الآية ٧٥).

وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ (الأحزاب: من الآية ٦).

الأقرب فالأقرب. إلى آدم على نبينا وآله وعليه أفضل الصلاه والسلام.

إلى المؤمنين العاملين الصالحات من أساتذتي وعلى رأسهم سيدنا الأستاذ وفقه الله تعالى

نُزِعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (يوسف: من الآية ٧٦)

يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (المجادله: من الآية ١١)

إلى العلماء والشهداء الأبرار الذين يفخر كل من انتسب إليهم ولا يفخرون بكل من انتسب إليهم:

وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا (النساء: ٦٩) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (الزمر: ٦٩)

الشهيدان محمد باقر الصدر ومحمد صادق الصدر الشيخين المجاهدين الشهيدان خزعل السوداني وعبد الجبار البصري وجميع شهداء مدرسه آل محمد - صلوات الله تعالى عليهم - الذين ضحوا بدمائهم الزكية، وكذلك من العلماء الشيخ حسين الحلبي، وجميع العلماء في كل مكان وزمان.

إلى من أسدى إلى معروفاً

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا (القصص: من الآية ٨٤)

هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (الرحمن: ٦٠)

إلى من نسيه أهله ومن ليس له وارث يذكره من الأولين إلى الآخرين من المؤمنين الذين يفرحون إذا ذكروا ولو بشيء قليل

هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (الأحزاب: ٤٣)

الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (غافر: ٧)

بسم الله ما شاء الله

وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا (الاسراء: ٨٠) اللهم صل على محمد وآل محمد الطيبين الأطهار واجعلنا من أتباعهم

بسم الله والحمد لله، اللهم إني أفتتح الشاء بحمدك وأنت مسدد للصواب بمنك وأيقنت أنك أنت أرحم الراحمين في موضع العفو والرحمه وأشد المعاقبين في موضع النكال والنقمه وأعظم المتجبرين في موضع الكبرياء والعظمه، اللهم إن أخذتني بعدلك أخذتني برأفتك وعفوك ورحمتك، اللهم أنت الملك الجبار الفرد القهار، فخر من تذلل مخلصاً بين يديك الكريمتين ترفعه وتلبسه رداء الكرامه والعزه، فعز من وقف على باب العزيز المعز، وذل من وقف على أبواب الذليل المذل.

ثم الصلاه والسلام على أشرف الخلق وأكرمهم النور الحق والطريق الصدق صفاء المنهل والصراط الأمثل والأتقى الأكمل المحمود المبجل العقل الأول، الذي وصفته بأنه أحب الخلق إليك، النبي المرسل الذي قلت له: أقبل فأقبل، وأدبر فأدبر، محمد العطر الطهر المطهر وآله النجباء الأظهار الأبخار الأبرار، والسلام على من والاهم وعرف حقهم. جعلتهم رحمه للعالمين من الأولين والآخرين، ونحمدك كما أنعمت علينا بهم، فهم أهل طريق الاستقامه والتوفيق والسلامه وآباء العصمه والإمامه.

وأذكرُ نفسه وابن عمه صاحب اللواء المنادى ليوم الحشر وبدء عالم الخلود والبقاء، وعلى الطيبه الزكيه الزهراء الطاهره النقيه النقيه، وباقي أهل الكساء الشاكرين الحامدين الله تعالى أهل مقام الرضا منبع الوفاء وأهل العلى، وكذا التسعه الخالصاء النجباء، ومنهم إمام عصرنا القائم يوم الوقت المعلوم (عجل الله تعالى له الفرج) مقيم دوله العدل، ومن على يديه يأتي الحل، أمل المحرومين وقره عين المظلومين المنصوب حقهم على يد السلاطين الجائرين في دول السابقين.

وبعد: فهذه هي الطبعة الأولى من أول كتاب يصدر لي بعد التوكل على الله تعالى، واتوسل إليه أن يسد دني والمؤمنين لخدمه هذا الدين، ولا يجعل علمنا وعملنا وبالأعلى علينا إنه أرحم الراحمين، ذلك بتوفيق من الله العلي القدير إنه خير ناصر ومعين ومنقذ للمؤمنين، وهو كتاب (التقيه في المجتمع الإسلامي أدله وآثار) تطرقت فيه إلى شبهات المنكرين والمتسائلين، ورتبته على شكل يستفيد منه المناظرون أو من يحب أن يكون، لكثرة المصادر التي ذكرتها عند كل حادثه حادثه - وهو مهم جداً لكل مناظر، فإن كثره مصادر الاستدلال على الخصم توقعه في حيره لا- يخرج منها -، وكذلك للتحويل من موضوع إلى آخر والعوده إلى صلب البحث، وهذا ما اعتمدته من طريقه بما يتناسب مع هذا الكتاب، وإلا فهناك بعض اللفقات لم أنطق إليها حفاظاً على مسير البحث. كل ذلك لكي يأنس ذهن القارئ هذا الأسلوب، ولكي يتقن هذا الفن الذي نحن بأمس الحاجة إليه في هذا الوقت.

وقرنت بين التقيه والكتمان في بعض المواضع لإشكال تناوله الفصل الذي تحدثت عن مغالطتين ألقاهما من ادعى العلم في إحدى الفضائيات عن طريق مناظره جرت، هناك فوجدتني مضطراً لذلك وذكرته هنا لئلا يعتبر ذلك من المآخذ على هذا الكتاب، وإن كانا يلتقيان بعض الشيء كما ستعلم.

وقد احتوى هذا الكتاب أموراً من مصادرهما ليس لها علاقه أصلاً بالكتاب، أو البحث لا من قريب ولا من بعيد - وإن كانت قليلة - لأنني استخرجتها من تلك الكتب ووجدت فيها بعض الفائده فرأيت الإبقاء عليها لكي لا يضع الجهد هباءً حيث كنت مضطراً لاستخراجها؛ لأنها كانت بين الأسطر التي هي محل البحث، والله تعالى هو المعين.

نسأل الله عز اسمه وعلا مجده أن يتقبل منا اليسير ويعفو عن الكثير إنه خير مجيب، والشكر كله له تبارك وتعالى ولرسوله الأمين ولآله الغر الميامين الذين أنقذونا من الظلمات إلى النور بإذن الله العزيز الحميد.

وأخيراً أود أن أبدأ ملاحظه أراها مهمه ولعلها تنقل إلى غير القارئ لما رأيت من أن إبلاغها فيه إبراء للذمه، فأرجو أن تقبل بقبول حسن ومن الله العون والسداد لتخليصنا من الفتن وسوء الخلق... وهي:

إقبل الرأي الآخر، فمهما فعلت يبقى واقعاً مفروضاً لا يمكنك تغييره بالعنف، واعلم أنه

سيتسلط عليك من هو أعنف منك فهل ترضى ذلك لنفسك؟ وإن رضيت أنت فمن قال بأنه يجب أن يرضى غيرك بما رضيت؟ فلا- يكونن الوزغ قدوتنا فإنه يدافع عن نفسه بقطع ذنبه الذى يبقى متحركاً إن دهمه خطر ليشغل المداهم بالذنب ويتركه يهرب ظناً منه أن ليس هناك من أفهم منه فيبقى ملاحظاً له ويترك الذنب حتى لو بقى متحركاً، فيقيس كل مخلوق على عقله هو، ولا- يكونن حيوان الضربان قدوتنا يخرج رائحه تنته من جوفه إذا لحق به مخلوق، وهى وسيله دنيئه، فأيضاً هناك من سيضع على أنفه غطاء يقيه الرائحه فيبقى ملاحظاً له، فصاحب المبدأ يدافع عن مبدأه بالحجه لا بوسيله دنيئه، فلنكن أسمى منه ولننظر فى قوله تعالى: **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً (الإسراء: ٧٠)**، هذا إن كان محسوباً منهم، وإلا فهناك من هو منهم جسداً وليس كذلك فى غيره، قال الله تعالى: **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (الفرقان: ١٧٩)**، أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً (الفرقان: ١٧٩)، فإنسانيه الإنسان فى الجوهره التى يحملها، وهى عقله وليس كونه يمشى على اثنتين، وإلا لكان قطع الرجلين ليس من البشر، وكانت الدجاجه منهم، فهل رأيت دجاجه تذهب إلى السوق وتساوم وتخرج النقود وتتبضع إلى مالكها؟ تصور أنت... فإن تعجب وتضحك فالعجب ممن يريد أن يهبط إلى مستوى أقل من مستوى الدجاجه.

محمد جواد الموسوى

الباب الأول: في تصوير البحث

إشاره

ص: ١٩

١. تعريفات

إشارة

لغرض تحرير لب البحث وقبل الولوج في أبواب الكتاب وفصوله لا بد للمؤمن الكريم من التعرف على ما تعنيه كلمه التقيه، وكذلك أصدادها وما يدور حوله هذا البحث من مفاهيم.

وأوردت التعريفات بتفاصيل لزياده الفائده فى الموارد التى ليس لها علاقه بالموضوع وهو واضح عند المطالعه لغرض زياده المعلومات لحاجه فى نفسى.

فأرجو من الله تعالى العون والسداد.

التقيه لغة

ورد تعريفها فى كتاب العين للفراهيدى: (١) (والتقوى فى الأصل: وقوى، فعلى، من وقيت، فلما فتحت أبدلت تاء فتركت فى تصريف الفعل، فى التقى والتقوى، والتقاه والتقيه، وإنما التقاه على فعله، مثل تهمه وتكأه، ولكن خففت فلين ألفها...). وقال الجوهرى فى صحاحه: (٢) (والتقاء: التقيه. يقال: اتقى تقيه وتقاه، مثل اتخم تخمه... وتوقى واتقى بمعنى. ووقاه الله وقايه بالكسر، أى حفظه. والوقايه والوقاء والوقاء: ما وقيت به شيئاً). وأما فى لسان العرب لابن منظور (٣) ذكر ذلك تحت نفس ماده قال: (ووقاه: صانه. ووقاه ما يكره ووقاه: حماه منه، والتخفيف أعلى. وفى التنزيل العزيز: فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكِ الْيَوْمِ (الانسان: من الآية ١١). والوقاء والوقاء والوقايه والوقايه والوقايه: كل ما وقيت به شيئاً...).

ص: ٢١

١- (١) . العين، ٢٣٩/٥.

٢- (٢) . الصحاح ٢٥٢٧/٦.

٣- (٣) . لسان العرب، ٤٠١/١٥.

وعرفت في القاموس المحيط للفيروز آبادي: (١) (وقاه وقيا ووقايه وواقيه: صانه كوقاه. والوقاء ويكسر والوقايه مثلثه: ما وقيت به. والتوقيه: الكلاءه والحفظ. واتقيت الشيء وتقيتته أتقيه وأتقيه تقى وتقيه وتقاه ككساء: حذرته، والاسم: التقوى أصله: تقيا قلبوه للفرق بين الاسم والصفه كخزيا وصديا). وأما في تاج العروس للزبيدي: (٢) (زياد بن نعيم (وقاه) يقيه (وقيا) بالفتح (ووقايه) بالكسر (وواقيه) على فاعله (صانه) وستره عن الأذى وحماه وحفظه فهو واق، ومنه قوله تعالى: وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (الرعد: من الآية ٣٤) أى من دافع، وشاهد الوقايه قول البوصيري: وقايه الله أغنت عن مضاعفه... وكذلك الواقيه كل (ما وقيت به) شيئاً وقال اللحياني: كل ذلك مصدر وقيتته الشيء (والتوقيه الكلاءه والحفظ) والصيانه والحفظ (واتقيت الشيء وتقيتته اتقيه واتقيه تقى) كهدي... قال الجوهري: اتقى يتقى أصله اتقى يوتقى على افتعل قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها وأبدلت منها التاء وأدغمت فلما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا ان التاء من نفس الحرف فجعلوه اتقى يتقى بفتح التاء فيهما ثم لم يجدوا له مثلاً في كلامهم يلحقونه به فقالوا تقى يتقى مثل قضى يقضى...).

ومما تقدم في هذا الاستعراض يتبين معنى هذه الكلمه عند أهل اللغه الذى يمكن إجماله فى أن التقيه وقايه للنفس من الأذى.

التقيه شرعاً

وأما عند المشترعه (٣) فقد اتفقت كلمات فقهاء أتباع مدرسه أهل البيت صلوات الله تعالى عليهم أجمعين مع كلمات غيرهم من فقهاء أتباع المذاهب، والأقوال فيها كما يلي:

تعريفها عند الإماميه

عرفها الشيخ المفيد فى تصحيح الاعتقاد: (٤) (أنها كتمان الحق، وستر الاعتقاد، ومكاته المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً فى الدين أو الدنيا). والشهيد الأول فى القواعد

ص: ٢٢

١- (١) . ٤٠١/٤ .

٢- (٢) . ٣٩٦/١٠ .

٣- (٣) . لأن أصل الفعل شرع فالأخذ منه يقال له مشرع ولا يقال له متشرع، هذا عن أستاذ اللغه العربيه فى النجف الأشرف الشيخ الكرباسى وفقه الله تعالى .

٤- (٤) . ص ٦٦

والفوائد: (١) (التقيه مجامله الناس بما يعرفون، وترك ما ينكرون، حذراً من غوائلهم). والشيخ الأنصاري في رساله التقيه: (٢)

«هى التحفظ عن ضرر الغير بموافقته، فى قول أو فعل مخالف الحق» ، أعلى الله تعالى مقامهم أجمعين.

وقد جاء عن صاحب مجمع البحرين الشيخ الطريحي: (٣) (وقد قسم أصحابنا التقيه إلى ثلاثة أقسام: الأول حرام، وهو فى الدماء فإنه لا تقيه فيها لأنها إنما وجبت حقنا للدم فلا تكون سببا فى إباحته. والثانى مباح، وهو فى إظهار كلمه الكفر فإنه يباح الأمران، استدلالا بقصه عمار وأبويه، فإن النبى صلى الله عليه وآله صوب الفعلين معا على ما نقل. الثالث واجب، وهو فيما عدا هذين القسمين، للدلاله على ذلك مع إجماع الطائفه هذا مع تحقق الضرر...). وأيضاً فيه: (٤) (والتقوى فعلى كنجوى، والاصل فيه (وقوى) من وقيته: منعت، قلبت الواو تاء وكذلك تقاه والاصل وقاه، قال تعالى: إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاهُ [٢٨/٣] أى اتقاء مخافه القتل... والتقيه والتقاه اسمان موضوعان موضع الاتقاء... والتوقى: التجنب).

تعليقاً على ما أفاده (أعلى الله تعالى مقامه) عندما نقل قول علمائنا بتقسيمها إلى أقسام منها الحرام، ولعل المراد منه - والله تعالى العالم - أن التقيه فى حد ذاتها لا تقبل حكم الحرمة، بل يتغير الموضوع فتكون حينئذ مدهنه أو غيرها، فالكلام فى مشروعيه التقيه، وبتعبير آخر متى ما شرع استخدامها أطلق عليها ذلك العنوان، وإن لم تشرع فىكون الموضوع قد تغير حينئذ، وهذا هو الصحيح، فبارتفاع الموضوع ينتهى كل شىء، وكلامنا فى التقيه الاصطلاحيه - أى عند المشتريه - .

وعند مراجعه الروايات وفتاوى الفقهاء (أعزهم الله) تعالى بناءً على ما جاء فى النصوص وكما ورد فى البحار: (٥) عن أبى جعفر عليه السلام قال

«إنما جعلت التقيه ليحقن بها الدماء، فإذا بلغ الدم فلا تقيه» أه... فمعناه ان التقيه فى مثل هذه المقامات منتفيه من رأس، وليس معنى ذلك أنها باقيه ولكنها محرمة. نعم قد يقال إنه يصح ذلك عند أهل اللغه ولكن قبوله وسريانه عند المشتريه يكون على تكلف ولا يخلو من شىء من التأمل.

ص: ٢٣

١- (١) . ١٥٥/٢ .

٢- (٢) . نفس المصدر، ص ٣٧ .

٣- (٣) . مجمع البحرين، ٣٧/٤ .

٤- (٤) . نفس المصدر، ٥٤١/٤ .

٥- (٥) . بحار الأنوار، ٣٩٩/٧٢ .

قال: السرخسى فى المبسوط (١) (والتقيه أن يقى نفسه من العقوبه، بما يظهره وإن كان يضمّر خلافه). وقال الحافظ ابن حجر العسقلانى الشافعى: (هى الحذر من إظهار ما فى النفس من معتقد وغيره للغير) وذلك فى فتح البارى. (٢) وفى تفسير المنار (٣) قال رشيد رضا المصرى الشامى السلفى: (ما يقال أو يفعل مخالفاً للحق، لأجل توقي الضرر).

وقرأ كثير من القراء: إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً راجع النشر فى القراءات العشر (٤) وتفسير القرطبى: الجامع لأحكام القرآن. (٥) منه يظهر أن كلمه (تقاة) هى بمعنى (التقيه).

فمن يعتقد بأنه على الحقّ ويخشى مكر وغائله مخالفه ما عليه حرج أن يستخدمها لغرض حفظ نفسه وعرضه وماله من الهتك.

فظهر ممّا تقدم الاتفاق على المصطلح الشرعى بين الشيعة وأتباع المذاهب الأخرى.

عنوان الظالم عنوان عام

قد يتصور فى شخص أو حاكم اشتهر بأنه من المنتمين إلى التشيع (٦) بشكل عام، كما هو حال قسم من المسلمين الذين يؤمنون بالإسلام ديناً ولكنهم - واقعاً - لم يتركوا موبقه لم يفعلوها، وهذا أمر لا يناقش فيه. عند ذاك يمكن تصور التقيه بشكل طبيعى، فالظالم ظالم من أى مله تسمى بها، والظلم قبيح أينما صدر ومن أى بدر. والظالم بالنسبه لأى طائفه قبيح، بل على أهل طائفته أشد؛ لأنه سيشكل عبئاً عليها قبل الإضرار بأتباع غيرها.

وقد ورد عنهم عليهم أفضل الصلاه والسلام: فى الوسائل للحر العاملى، (٧) عن أبى عبدالله عليه السلام فى حديث قال: (أما إنّه ما ظفر بخير من ظفر بالظلم، أما إنّ المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر ممّا

ص: ٢٤

١- (١) . المبسوط، ٢٤/٤٥.

٢- (٢) . فتح البارى، ١٢/٢١٤.

٣- (٣) . تفسير المنار، ٣/٢٨٠.

٤- (٤) . القراءات العشر، ٣/٥.

٥- (٥) . الجامع لأحكام القرآن، ٤/٥٧.

٦- (٦) . من أعظم مشاكل المجتمع مشكله صاحب الجهل المركب التى تجر المتصف به إلى أن ينسب سوء خلق المعتقّد إلى العقيدته، وأعظم من ذلك أن يكون جاهلاً حاقداً والأعظم منهما العالم الحاقد. ثم إنه ثمت فرق بين من عقيدته القتل والاعتداء فيقتل ويعتدى بموجب عقيدته وبين من عقيدته ليست كذلك وإنما هو منحرف عن عقيدته السمحه، فإذا رأينا مسلماً يقتل فالعيب فيه وليس فى الإسلام.

٧- (٧) . وسائل الشيعة، ١٦/٤٩.

يأخذ الظالم من مال المظلوم، ثم قال: من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فعل به... الحديث... وكما هو واضح من الحديث فالظالم هنا لم يخصص بفئة معينة. وعن أبي جعفر عليه السلام قال: (الظلم في الدنيا هو الظلمات في الآخرة). وعن علي بن سالم قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«إن الله تعالى يقول: وعزتي وجلالي لا أجيب دعوه مظلوم دعاني في مظلمه ظلمها ولأحد عنده مثل تلك المظلمه». وعن زيد بن علي بن الحسين عن آبائه عليهم السلام قال:

«يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم» وعن جعفر بن محمد صلى الله عليه وآله قال:

«من ارتكب أحدا بظلم بعث الله من ظلمه مثله أو على ولده أو على عقبه من بعده». و نقل أيضاً (١) عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«أعظم الخطايا اقتطاع مال امرئ مسلم بغير حق»... [وهنا أيضا يتضح أن مجرد الدخول تحت عنوان المسلم كاف في عدم جواز هتك حرمة ماله فكيف بدمه وعرضه]. وعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يقول الله تعالى:

«اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصرا غيري». وعن أبي جعفر عليه السلام قال: (٢)

«الظلم ثلاثة ظلم يغفره الله، وظلم لا يغفره الله، وظلم لا يدعه الله، فأما الظلم الذي لا يغفره فالشرك، وأما الظلم الذي يغفره فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله، وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد». وفي الكافي للكليني: (٣) عن يونس بن ظبيان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

إن الله تعالى يقول: ويل للذين يختلون الدنيا بالدين، وويل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقية، أبي يغترون أم عليّ يجترؤون، فبى حلفت لأتيحن لهم فتته ترك الحليم منهم حيران.

وفي وسائل الشيعة للحر العاملي: (٤) عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«من أكل من مال أخيه ظلما ولم يردده إليه، أكل جذوه من النار يوم القيامة». وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (٥)

«العامل بالظلم والمعين له والراضى به شركاء ثلاثتهم». وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (٦)

«من عذر ظالما بظلمه سلط الله عليه من يظلمه، فإن دعا لم يستجب له، ولم يأجره الله على

١- (١). نفس المصدر، ص ٥٠.

٢- (٢). نفس المصدر، ص ٥٢.

٣- (٣) . الكافي، ٢/٢٩٩.

٤- (٤) . وسائل الشيعة، ١٦/٥٣.

٥- (٥) . نفس المصدر، ص ٥٥.

٦- (٦) . نفس المصدر، ص ٥٦.

ظلامته». وعن عبد الله بن سنان قال: (١) سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«من أعان ظالماً على مظلوم لم يزل الله عليه ساخطاً حتى ينزع من معونته». وفي نهج البلاغه عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«للظالم من الرجال ثلاث علامات: يظلم من فوقه بالمعصية، ومن دونه بالغلبة ويظاهر للقوم الظلمه». (٢)

خلاصه ما تقدم

وعلى كل حال ولغرض بيان كلمات علمائنا (رحمهم الله تعالى) وعلمائهم وتوضيح ما جاء في تعريف التقيه من قيود، أقول:

١. هناك مخالفٌ ومخالفٌ - كما مرّ آنفاً ظالمٌ ومظلوم - أعم من أن يكونا على دين واحد، بل وأعم من أن يكونا على مذهب واحد. وتوضيحاً أن المخالف - على وزن اسم الفاعل أم المفعول - نسبي لأن كل يدعى أحقيته نعم الحق الحقيقي، ومعرفته فذلك عند الله تعالى ورسوله، ومن كان علامه على الحق من بعده صلوات الله تعالى عليه وعليهم، وأكرر القول من يكون فهذا بحث مسكوت عنه هنا.

٢. ضرر مترقب حصوله للمخالف، من المخالف، وفيه تعريض بعض حرّماته للهتك، كالتسبب في قتله أو إهانته كما لو كان التعرض للعرض أو المال، وقد يكون الضرر اجتماعياً كما لو تسبب الخلاف في هتك حرّمات المجتمع والعلاقات الاجتماعيه.

٣. توقي الضرر ودفعه أعم من أن يكون بالقول أو الفعل.

كلام في الضد

لصاحب مجمع البحرين قول سديد في ضد التقيه وهو (الإذاعه)، مستفيداً من الروايات الواردة عن أئمه أهل البيت صلوات الله تعالى عليهم (كما في الكافي للكلينى (٣) فأحبت أن أفرد لهذا الضد عنواناً، وسيرد ذكر تلك الروايات في محله إن شاء الله تعالى).

ص: ٢٦

١- (١). نفس المصدر، ص ٥٧.

٢- (٢). ٢٦٦/١٩ الأصل (٣٥٦).

٣- (٣). الكافي، ٢١/١ كتاب العقل والجهل، ح ١٤.

قال فى مجمع البحرين: (١) قوله تعالى: أذاعوا به (٨٣/٤) أى أفشوه، من قولهم ذاع الحديث ذيعا إذا انتشر وظهر. وأذاعه غيره: أفشاه وأظهره. ومنه الحديث

«من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الايمان» أى من أفشاه وأظهره للعدو... والإذاعه ضدها: التقيه. وأما صاحب القاموس المحيط الفيروز آبادى (٢) قال فيها: (ذاع الخبر يذيع، ذيعا وذيوعا وذيوعوه وذيوعانا... والمذيع، بالكسر: من لا يكتم السر. وأذاع سره، وبه: أفشاه وأظهره، أو نادى به فى الناس، والإبل، أو القوم بما فى الحوض: شربوا ما فيه...). وكذا فى تاج العروس للزبيدي. (٣)

المداراه لغه

وردت المداراه فى كتب اللغه بمعنى أعم من التقيه، فى صحاح الجوهري (٤) تحت م- (درى)-اده: (ومداراه الناس تهمز ولا تهمز، وهى المداجاه والملاينه). وفى النهايه فى غريب الحديث لابن الاثير (٥) تحت ماده نفسها: (المداراه غير مهموز: ملاينه الناس وحسن صحبتهم واحتمالهم لثلاث- ينفروا عنك). وفى تاج العروس للزبيدي (٦) قال: (وداراته) مداراه وكذا (داريته) مداراه إذا اتقته، ... وقال الأ-حمر: المداراه فى حسن الخلق والمعاشره تهمز ولا تهمز. يقال: دارأته وداريته إذا اتقته ولايته، وضدها المكاشفه (كما فى الكافى للكلىنى (٧) كتاب العقل والجهل ح ١٤).

وقد تأتى تحت عناوين أخرى مثل المداجاه والمدالاه والملاينه، فىكون هذا المفهوم عند أتباع المذاهب أوسع بكثير مما هو عندنا، إلا أن إطلاق الملاينه عليها لا يخلو من منع لما قد يحصل من التداخل بينها وبين المداهنه كما سيأتى فأرجو التأمل.

ص: ٢٧

١- (١) . مجمع البحرين، ١١١/٢.

٢- (٢) . القاموس المحيط، ٢٤/٣.

٣- (٣) . تاج العروس، ٣٣٧/٥، ٤٠٥ - ٢٨٠/١٠.

٤- (٤) . الصحاح، ٢٣٣٥/٦.

٥- (٥) . النهايه فى غريب الحديث، ١١٥/٢.

٦- (٦) . تاج العروس، ٦٥/١.

٧- (٧) . الكافى، ٢١/١.

جاء فى كتاب العين للخليل الفراهيدى: (١) (الإدهان: اللين والمصانعه، قال تعالى: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (القلم:٩)، أى: تلين لهم فيلينون. والمداهن: المصانع الموارب). كما جاء بعض ما تقدم فى صحاح الجوهري (٢) بإضافه: (والإدهان مثله، وقال قوم: داهنت بمعنى وارىت، وأدهنت بمعنى غششت). وفى القاموس المحيط للفيروز آبادى: (٣) (دهن: نافق). وفى مجمع البحرين الشيخ الطريحي (٤) كذلك حيث قال: (ومنه حديث الحق لعيسى عليه السلام: قل لمن تمرّد علىّ بالعصيان، وعمل بالادهان ليتوقع عقوبتى). ومثله فى حديث الباقر عليه السلام حيث قال:

أوحى الله تعالى إلى شعيب النّبى عليه السلام: إننى معذب من قومك مائه ألف، أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم، فقال: يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ فأوحى الله إليه داهنوا أهل المعاصى، ولم يغضبوا لغضبى.

والادهان: النفاق وترك المناصحه والصدق. والمداهنه: المساهله). وفى تاج العروس: (٥) ((و) الموائسه شبهه (المداهنه) فى الامر...)). وفى كتاب العين للخليل الفراهيدى: (٦) (والموائسه: شبهه المداهنه فى الأمر). وقال صاحب مختار الصحاح محمد بن عبد القادر: (٧) (والدجنه بالضم الظلمه و المداجنه كالمداهنه)، وقال أيضاً: (٨) والمداهنه كالمصانعه والادهان مثله كقوله تعالى: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (القلم:٩)، (وقال قوم داهن أى وارب وأدهن أى غش). وقد جاء فى الفروق اللغويه للعسكري: (٩) (الفرق بين التقيه والمداهنه: قال الشهيد الثانى - طاب ثراه - فى قواعد المداهنه فى قوله تعالى: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (القلم:٩). [المداهنه] معصيه، والتقيه غير معصيه، والفرق بينهما أن الأول تعظيم غير المستحق... أو

ص: ٢٨

- ١- (١) . العين، ٢٧/٤.
- ٢- (٢) . الصحاح، ٢١١٦/٥.
- ٣- (٣) . القاموس المحيط، ٢٢٤/٤.
- ٤- (٤) . الطريحي مجمع البحرين، ٦٥/٢، ٦٦.
- ٥- (٥) . تاج العروس، ٢٧٠/٤.
- ٦- (٦) . العين، ٢٩٩/٧.
- ٧- (٧) . مختار الصحاح، ص ١١١.
- ٨- (٨) . نفس المصدر، ١١٨.
- ٩- (٩) . معجم الفروق اللغويه، ص ٤٨٩، ٤٩٠ الف- (١٩٧١)-رق.

لتحصيل صداقته، كمن يثنى على ظالم بسبب ظلمه، يصوره بصورة العدل، أو مبتدع على بدعته ويصورها بصورة الحق. والتقيه مخالطه الناس فيما يعرفون، وترك ما ينكرون حذرا من غوائلهم...). وفي النهايه فى غريب الحديث لابن الاثير (1) (ليخرجن ناس من قبورهم على صوره القرده، بما داهنوا أهل المعاصى، ثم وكفوا عن علمهم وهم يستطيعون) أى قصرُوا ونقصوا... وعن لسان العرب لابن منظور: (2) (وفى الحديث: أن بنى إسرائيل كانوا إذا عمل فيهم بالمعاصى نهاهم أحبارهم تعذيرا فعمهم الله بالعقاب، وذلك إذا لم يبالغوا فى نهيهم عن المعاصى، وداهنوهم ولم ينكروا أعمالهم بالمعاصى حق الإنكار، أى نهوهم نهيا قصرُوا فيه ولم يبالغوا... وقال أيضاً: (3) (والموالسه: الخداع... والموالسه: شبه المداهنه فى الأمر)، وقال كذلك: (4) (والمداجنه: كالمداهنه). وقال: (5) (والمداهنه والإدهان: المصانعه واللين، وقيل: المداهنه إظهار خلاف ما يضمّر. والإدهان: الغش. ودهن الرجل إذا نافق قال الجوهرى: والمداهنه والإدهان كالمصانعه. وفى التنزيل العزيز: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (القلم: 9). وقال قوم: داهنت بمعنى وارىت، وأدهنت بمعنى غششت. وقال الفراء: معنى قوله عز وجل: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (القلم: 9)، ودوا لو تكفروا فيكفرون، وقال فى قوله: أَفِيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (الواقعه: 81)، أى مكذبون، ويقال: كافرون. وقوله: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (القلم: 9)، ودوا لو تلين فى دينك فيلينون. وقال أبو الهيثم: الإدهان المقاربه فى الكلام والتلين فى القول، من ذلك قوله: وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (القلم: 9)، أى ودوا لو تصانعهم فى الدين فيصانعوك. الليث: الإدهان اللين. والمداهن: المصانع... وقال بعض أهل اللغة: معنى داهن وأدهن أى أظهر خلاف ما أضمر، فكأنه بين الكذب على نفسه). وعن القاموس المحيط للفيروز آبادى: (6) (دهن: نافق، والمداهنه: إظهار خلاف ما يضمّر كالإدهان والغش).

ص: ٢٩

- ١- (١) . النهايه فى التخریب الحديث، ٢٢٠/٥.
- ٢- (٢) . لسان العرب، ٥٤٧/٤.
- ٣- (٣) . نفس المصدر، ٢٥٨/٦.
- ٤- (٤) . نفس المصدر، ١٤٨/١٣.
- ٥- (٥) . نفس المصدر، ص ١٦٢.
- ٦- (٦) . القاموس المحيط، ٢٢٤/٤.

ورد معنى النفاق فى العين الخليل الفراهيدى: (١) (والنفاق: الخلف والكفر، والفعل: نافع نفاقا... وللنفاق سر دونه نفق، أى سر يخرج منه إلى غير الاسلام...). وفى غريب الحديث عن ابن سلام: (٢) (نفق كفر وقال أبو عبيد: فى حديث النبى عليه السلام فى ذكر المنافقين وما فى التنزيل من ذكرهم و[من] ذكر الكفار. فيقال: إنما سمي المنافق منافقا لأنه نافع كاليربوع، وإنما هو دخوله نفاقا، يقال منه: قد نفق فيه ونافع وهو جحره، وله جحر آخر يقال له: القاصعاء، فإذا طلب قصع فخرج من القاصعاء، وهو يدخل فى النفاق ويخرج من القاصعاء، أو يدخل فى القاصعاء ويخرج من النفاق، فيقال: هكذا يفعل المنافق يدخل فى الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذى دخل فيه. وقد يقال فى المنافق: إنما سمي منافقا للنفق وهو السرب فى الأرض، والتفسير الأول أعجب إلى).

وقال صاحب النهاية فى غريب الحديث ابن الاثير: (٣) (نفق) قد تكرر فى الحديث ذكر (النفاق) وما تصرف منه اسما وفعلا، وهو اسم إسلامى، لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به، وهو الذى يستر كفره ويظهر إيمانه، وإن كان أصله فى اللغة معروفا. يقال: نافع ينافق منافقه ونفاقا، وهو مأخوذ من النفاق... وقيل: هو من النفق: وهو السرب الذى يستتر فيه، لستره كفره. وفى حديث حنظله (نافق حنظله) أراد أنه إذا كان عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم أخلص وزهد فى الدنيا، وإذا خرج عنه ترك ما كان عليه ورغب فيها، فكأنه نوع من الظاهر والباطن، ما كان يرضى أن يسامح به نفسه. وفيه (أكثر منافقى هذه الامه قراؤها)، أراد بالنفاق هاهنا الرياء لان كليهما إظهار غير ما فى الباطن).

وفى لسان العرب لابن منظور (٤) ما يقرب منه: (والنفاق إحدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرققه، فإذا أتى من قبل القاصعاء ضرب النفاق برأسه فانتفق أى خرج، والجمع النواق. قال ابن برى: جحرة اليربوع سبعة: القاصعاء والنفاق والداماء

ص: ٣٠

١- (١). العين، ١٧٨/٥.

٢- (٢). النهاية فى غريب الحديث ١٣/٣، ١٤.

٣- (٣). النهاية فى غريب الحديث، ٩٨/٥.

٤- (٤). لسان العرب، ٣٥٩/١٠.

والرهاطء والعانقاء والحائباء واللغز، وهى اللغزى أيضا. قال أبو زيد: هى النافقاء والنفاء والنفقة والرهطاء والرهطه والقصعاء والقصعه... والنفاق، بالكسر، فعل المنافق. والنفاق: الدخول فى الإسلام من وجه والخروج عنه من آخر، مشتق من نافقاء... وهو الذى يستر كفره ويظهر إيمانه... يقال: نافق ينافق منافقه ونفاقا، وهو مأخوذ من النافقاء لا من النفق وهو السرب الذى يستر فيه لستره كفره... وكذا فى تاج العروس للزبيدي. (١)

الإيمان

جاء تعريف الإيمان فى كتب اللغة، فقد ذكر صاحب العين الخليل الفراهيدى: (٢) (والإيمان: التصديق نفسه، وقوله تعالى: وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا (يوسف: من الآية ١٧)، أى: بمصدق). وكذا فى مختار الصحاح محمد بن عبد القادر: (٣) (والإيمان التصديق)، والقاموس المحيط الفيروز آبادى (٤) وفى الصحاح للجوهري: (٥) (والإيمان: التصديق...). وفى النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير: (٦) آمن فى أسماء الله تعالى (المؤمن) هو الذى يصدق عباده وعده: فهو من الإيمان: التصديق، أو يؤمنهم فى يوم القيامة من عذابه، فهو من الأمان، والأمن ضد الخوف). وفى اللسان لابن منظور: (٧) (والإيمان: ضد الكفر. والإيمان: بمعنى التصديق، ضده التكذيب. يقال: آمن به قوم وكذب به قوم... (وفى التنزيل العزيز: وَ مَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَ لَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (يوسف: من الآية ١٧)، أى بمصدق. والإيمان: التصديق. التهذيب: وأما الإيمان فهو مصدر آمن يؤمن إيماناً، فهو مؤمن. واتفق أهل العلم من اللغويين وغيرهم أن الإيمان معناه التصديق. قال الله تعالى: قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ، (الحجرات: من الآية ١٤) قال: وهذا موضع يحتاج الناس إلى تفهيمه وأين ينفصل المؤمن من المسلم وأين يستويان، والإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبى صلى الله عليه وآله ، وبه يحقن الدم،

ص: ٣١

- ١- (١) . تاج العروس، ٧٩/٧، ٨٠.
- ٢- (٢) . العين، ٣٨٩/٨.
- ٣- (٣) . مختار الصحاح، ص ٢١.
- ٤- (٤) . القاموس المحيط، ١٩٧/٤.
- ٥- (٥) . الصحاح، ٢٠٧١/٥.
- ٦- (٦) . النهاية فى غريب الحديث، ٧٠/١.
- ٧- (٧) . لسان العرب، ٢١/١٣، ٢٣، ٢٤.

فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب، فذلك الإيمان الذى يقال للموصوف به هو مؤمن مسلم، وهو المؤمن بالله ورسوله غير مرتاب ولا- شاك، وهو الذى يرى أن أداء الفرائض واجب عليه، وأن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه لا يدخله فى ذلك ريب فهو المؤمن وهو المسلم حقا، كما قال الله تعالى: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَزْتَابُوا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ** (الحجرات: ١٥)، أى أولئك الذين قالوا إنا مؤمنون فهم الصادقون، فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو فى الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق، فذلك الذى يقول أسلمت لأن الإيمان لا بد من أن يكون صاحبه صديقا، لأن قولك آمنت بالله، أو قال قائل آمنت بكذا وكذا فمعناه صدقت، فأخرج الله هؤلاء من الإيمان فقال: **وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ** (الحجرات: من الآية ١٤)، أى لم تصدقوا إنما أسلمتم تعودا من القتل، فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر، والمسلم التام الإسلام مظهر للطاعة مؤمن بها، والمسلم الذى أظهر الإسلام تعودا غير مؤمن فى الحقيقة، إلا- أن حكمه فى الظاهر حكم المسلمين. وقال الله تعالى حكاية عن إخوه يوسف لا يبيهم: **وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ** (يوسف: من الآية ١٧)، لم يختلف أهل التفسير أن معناه ما أنت بمصدق لنا، والأصل فى الإيمان الدخول فى صدق الأمانة التى ائتمنه الله عليها، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقد أدى الأمانة وهو مؤمن، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤد للأمانة التى ائتمنه الله عليها، وهو منافق، ومن زعم أن الإيمان هو إظهار القول دون التصديق بالقلب فإنه لا يخلو من وجهين أحدهما أن يكون منافقا ينضح عن المنافقين تأييدا لهم، أو يكون جاهلا- لا يعلم ما يقول وما يقال له، أخرجه الجهل واللجاج إلى عناد الحق وترك قبول الصواب، أعاذنا الله من هذه الصفة وجعلنا ممن علم فاستعمل ما علم، أو جهل فتعلم ممن علم، وسلمنا من آفات أهل الزيف والبدع بمنه وكرمه... وقريب من ذلك فى تاج العروس للزبيدي. (١)

تدقيق

مما تقدم من عرض للتعريفات تبين ما يلى:

ص: ٣٢

١. أن بين التقيه والمداراه موافقه ولو من جهه.

٢. أن التقيه فعل - أعم من القول أو الفعل بالمعنى الأخص - .

٣. أنها استبطان الإيمان وأن النفاق هو استبطان الكفر.

٤. عقيدته المتقى يتشرف بها ويخفيها خوفا فيظهر خلافها ولكنه مكره على ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، وعقيدته المنافق يخجل من إظهارها ويتشرف بإظهار خلافها.

٥. التشابه بين التقيه والنفاق من حيث الإخفاء والإظهار فقط و فقط. وليس من اشتراك آخر بينهما، فالتقيه جميله حسنه على كل حال، دنيأ وآخره، والنفاق قبيح على كل حال وفيهما، كما أن الإيمان حسن فى كليهما، ولا يمكن لعافل أن يقول: إن أحد معانى الحسن هو القبح ولا العكس.

٦. التقيه وما يقرب منها - كماده - ممتدحه سواء أكانت مضافه كما فى قوله تعالى: لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ (آل عمران: من الآية ١٩٨)، وَ سَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (الزمر: ٧٣)، أم مطلقه كقوله تعالى: زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (البقره: من الآية ٢١٢)، بل محبب إليها كقوله تعالى: قُلْ أَأُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَمَنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ (آل عمران: من الآية ١٥)، بل مأمور بها كقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا - وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (آل عمران: ١٠٢)، أما فى غيرها كالسبيل فمطلقها منهى عنه ومضافها إليه ممدوح كقوله تعالى: وَ أَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (الأنعام: ١٥٣)، بخلافه فى النفاق وما يقرب منه، هذا مضافاً إلى ما جاء فى كتب اللغه.

فيسهل لنا الخوض فى المبادئ البرهانيه كما فى الفصل التالى.

المشنعون علينا فى هذا الحكم الشرعى، كان همهم الوحيد حمل النفاق والمداهنه والكذب على التقيه، فقالوا (التقيه نفاق) و (التقيه مداهنه) و (التقيه خداع وكذب)، كل ذلك لتشويه صورته حَمَلَهُ هذا الفكر القويم فكر آل البيت صلوات الله تعالى عليهم أجمعين لأسباب سنذكرها فى باب من أبواب هذا الكتاب ليعلم أن هناك قصدا من وراء هذا الفعل الخاطئ.

والصحيح أن التقيه حتى ليست ضداً لما ذكر، ولو تنزلنا وقبلنا ضديه التقيه للنفاق والمداهنه وغيرهما دون الإذاعه فهل يصح حمل الضد على الضد؟ أفيكون هذا الكلام صادرا من عالم يؤخذ منه الدين؟ هذا ما سيتضح لنا من البحث إن شاء الله تعالى.

وكذلك ستجد أن استخدامهم للتقيه إن لم يكن مساوٍ لما عندنا فهو أكبر من ذلك بكثير.

وسيتضح كذلك بالحجه أنك لو اقتطعت التقيه من إطار الأحكام الشرعيه ستجدها مساويه للنفاق، والاختلاف حينه يكون لفظياً فقط، أما لو نظرت إليها كمفرده من مفردات باقى الأحكام الشرعيه، ستجدها خلقاً رفيعاً لا يمكن أن يتجاوزه ذو لب.

الباب الثاني: بحث أدله التقيه عند المسلمين

اشاره

ص: ٣٧

لغرض الدخول فى بحث الأدلة علينا أن نتعرف على واحده من أهم ركائز هذا المبدأ القرآنى - التقية - ، وهذه الركيزة تعتمد على أصل مهم وهو حرمة الدم بشكل عام، ودم المسلم والمؤمن خاصة عند الله تعالى، ولذلك بدأت بها، وإلا فإن عنوان الباب يقتضى الدخول فى بحث الأدلة مباشرة، فكان هذا الفصل بحث مقدمى للفصول اللاحقه. وأعرض فى هذا الفصل إلى أدله حرمة المسلم من طريق العامه لا الخاصه، فإنها عندنا معلومه لا تحتاج ثمه إلى التطرق إلى أدلتها من كتبنا.

الحديث القدسى

جاء فى الحديث القدسى - وبألفاظ متعدده - من طرق العامه والخاصه: (١)

«أن من عادى ولياً أو أهانه أو أخافه فقد بارز أو آذن الله تعالى بالمحاربه». وقد جاء فيها أن الله تعالى يكره مساءه المؤمن، والمؤمن يكره الموت فيتردد الله تعالى فى قبض روحه. (٢) وألفاظ الحديث كما سأوردها وحذفت الأسناد اختصاراً وإلا فالمضمون واحد فلا يشكل علينا بضعف قسم منها، وهى كالتى:-

١. من أهان لى وليا فقد بارزنى بالعداوه، ابن آدم لن تدرك ما عندى إلا بإداء ما افترضت عليك، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فأكون أنا سمعه

ص: ٣٩

١- (١) راجع ملحق المصادر إن شاء الله جل جلاله به عنوان (مصادر الحديث القدسى)، مع تعليق على بعض النكات الوارده فيه والتعليق عليها هنا يبعد عن لب البحث، ص ٢١٧.

٢- (٢). وهذا من البداء الذى تؤمن به وإلا- فما معنى التردد إلا أن يؤخر أجل المؤمن - فى بعض الأحيان - ثم يقبض روحه، ومن لم يسم هذا بذلك فليجد له اسما فالاختلاف ليس لفظيا.

الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به، ولسانه الذى ينطق به، وقلبه الذى يعقل به، فإذا دعانى أحبته، وإذا سألتنى أعطيته، وإذا استنصرنى نصرته، وأحب ما تعبد لى عبدى به النصح لى.

٢. من أخاف لى وليا فقد بارزنى بالمحاربه، إن سألتنى أعطيته، وإن دعانى أحبته، وما ترددت فى شىء أنا فاعله ما ترددت فى قبض نفس عبدى المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته، ولا بد له منه، وإن من عبادى المؤمنين لمن يشتهى الباب من العباده فأكفه عنه لئلا يدخله عجب فيفسده ذلك، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو بسطت له لأفسده ذلك، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الصحه ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا السقم ولو صححته لأفسده، إنى أدبر عبادى بعلمى بقلوبهم إنى عليم خبير.

٣. من آذى لى وليا فقد استحل محاربتى، وما تقرب إلى عبدى بمثل أداء الفرائض، وما يزال العبد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت عينه التى يبصر بها، وأذنه التى يسمع بها، ويده التى يبطش بها، ورجله التى يمشى بها، وفؤاده الذى يعقل بهف ولسانه الذى يتكلم به، إن دعانى أحبته، وإن سألتنى أعطيته، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن وفاته، وذاك لأنه يكره الموت وأنا أكره مساءته.

٤. ما تقرب إلى عبدى بمثل أداء فرائضى، وإنه ليتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت رجله التى يمشى بها، ويده التى يبطش بها، ولسانه الذى ينطق به، وقلبه الذى يعقل به، إن سألتنى أعطيته، وإن دعانى أحبته.

٥. من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربه، وإنى أسرع شىء إلى نصره أوليائى، إنى أغضب لهم كما يغضب الليث الحرب، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض روح عبدى المؤمن وهو يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه، وما تعبدنى عبدى المؤمن بمثل الزهد فى الدنيا، وما تقرب إلى عبدى المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ويذا ومؤيدا، إن سألتنى أعطيته، وإن دعانى استجبت له، وإن من عبادى المؤمنين لمن سألتنى من العباده فأكفه عنه ولو أعطيته إياه لدخله العجب وأفسده ذلك، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا الصحه ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك، وإنى أدبر لعبادى بعلمى بقلوبهم إنى عليم خبير.

٦. من عادى لى وليا فقد ناصبنى بالمحاربه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله كترددى عن موت المؤمن يكرهه وأكره مساءته، وربما سألتنى ولىي المؤمن الغنى

فاصرفه إلى الفقر ولو صرفته إلى الغنى لكان شرا له، وربما سألتى ولىي المؤمن الفقر فاصرفه إلى الغنى ولو صرفته إلى الفقر لكان شرا له.

٧. وعزتي وجلالي وعلوي وبهائي وجمالي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هوى نفسه، إلا أثبت أجله عند بصره وضمنت السماء والأرض رزقه وكت له من وراء تجاره كل تاجر.

ومما تقدم علم أن الله تعالى يتردد في قبض روح المؤمن فكيف يرضى بقتله؟ عندها يتضح أنه لا بد من مخرج للمؤمن إذا تعرض للضغوط.

أقوال النبي صلوات الله تعالى عليه وآله

وردت روايات بألسن متعددة تشير إلى حرمة المؤمن بشكل خاص والمسلم. فمنها ما جاء في البخاري أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ:

«سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ» (١) وجاء في التشديد على حرمة دم المسلم والمؤمن وفي التحذير من قتلها بل حتى الاشتراك في دمها ولو بكلمه، وفي عظم حرمة المؤمن، وذلك بحسب ألسنه الروايات، من المصادر ما يقطع بأن هذا الأمر من ضرورات الدين، حتى أنه صلوات الله تعالى عليه وآله قد وصف الثقاتل بين المسلمين بالكفر كما جاء في خطبه الوداع (٢) وألسنه الأدله كانت بهذه الألفاظ: «لو أن آدم ومن دونه من الناس اشتركوا في دم مؤمن أكبهم الله في النار»، «لزوال الدنيا أهون على الله تعالى من سفك دم مسلم بغير حق»، «من أعان على قتل مسلم بشرط كلمه، لقي الله يوم القيامة...»، «لا يحل قتل مسلم إلا في ثلاث خصال زان محصن...»، وقال صلوات الله تعالى عليه وآله مخاطباً الكعبه المشرفه:

«ما أعظمك وأعظم حرمتك. والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك»، وأما فيما يخص الجنة: «حتى إذا عاينها ودنت حيل بينه وبينها بملء كف من دم رجل مسلم اهراقها ظلما سمعت هذا من نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم». بل حتى أنه قد ورد في البخاري أن: «من قتل معاهداً لم يرح رائحه الجنة»، (البخاري كتاب الجزية والموادعه ح/ ٢٩٣٠) فكيف بالمسلم والمؤمن؟

وما ذكره روى فدهاه في حج الوداع ونقله العامه والخاصه بشأن حرمة دم وعرض ومال المسلم - وهو من تشهد الشهادتين - كاف حيث قال صلوات الله تعالى عليه وآله:

«لا ترجعوا بعدي كفارا...»، إلا من استثنى، وكذلك.

ص: ٤١

١- (١). كتاب الإيمان ح ٤٦، كتاب الأدب ح ٥٥٨٤، كتاب الفتن ح ٦٥٤٩ راجع غيره من المصادر.

٢- (٢). ملحق المصادر تحت عنوان من قتل مسلماً أو مؤمناً، ص ٢١٩.

وأما قاله الصحابه ونقله علماؤهم ونادوا به فكثير، أوردت منه ما يؤدي الغرض. فقد جاء في الأمثال من الكتاب والسنة للحكيم الترمذى: (١).

فقلب المؤمن أعظم شأننا من الحرم وما فيه أعظم من الكعبة فإن كانت الكعبة بيته فهذا نوره فى خزائنه وإن كانت الكعبة لا يملكها غيره فهذا القلب أيضا... .

وعن عون المعبود لمحمد آبادى: (٢) «حل لك دفعه عن نفسك ولا أحد من خلق الله أعظم حرمه من المؤمن...»، وفى التمهيد لابن عبد البر (٣) تكلم هناك فى حرمه دم المؤمن ونقل كلمات لابن عمر الذى ردد كلمات النبى صلى الله عليه وآله - حسب الظاهر - فى تعظيم حرمه المؤمن على حرمه الكعبة المشرفة زادها الله تعالى فخراً، وفى تفسير ابن كثير: (٤) «وقال سعيد بن جبير من استحل دم مسلم فكأنما استحل دماء الناس جميعاً ومن حرم دم مسلم فكأنما حرم دماء الناس جميعاً هذا قول وهو الأظهر...». وعن تفسير البيضاوى: (٥) «فإن إبقاء ألف كافر أهون عند الله من قتل امرئ مسلم وتكريره تأكيد لتعظيم الأمر وترتيب الحكم على ما ذكر من حالهم...» (٦) وفى المستصطفى للغزالي: (٧) «ولذلك يجب عليه ترك ما أكره عليه إذا أكره على قتل مسلم...» وسيأتى الكلام حول هذه النقطة بالذات فلا- تقيه فيما يسبب هتك حرمه مؤمن آخر ويجوز ذلك فى غيره. وعن المنثور للزركشى: (٨) «ترك ألف كافر فى الحياه أهون من الخطأ فى سفك دم مسلم قال وقد وقع التكفير لطوائف من المسلمين يكفر بعضها بعضاً، فالأشعري يكفر المعتزلى زاعماً أنه كذب...». وكذلك قالوا: (٩) «فإن من استحل قتل مسلم فهو كافر».

والعجب من قول ابن الهمام: «لا بد من تقييده بأن لا يكون القتل بغير حق أو عن تأويل واجتهاد يؤديه إلى الحكم بحله»، وقول ابن تيميه: «أما إذا كان الباغى مجتهداً ومتأولاً ولم

ص: ٤٢

- ١- (١) . الأمثال من الكتاب و السنه، ٢٠١.
- ٢- (٢) . عون المعبود، ١١٨/١٤.
- ٣- (٣) . التمهيد، ٦٤/٢ - ٥١/١٣ - ٣١٩/٢٣.
- ٤- (٤) . تفسير ابن كثير، ٤٨/٢.
- ٥- (٥) . تفسير البيضاوى، ٢٣٧/٢.
- ٦- (٦) . وجاء كذلك فى تفسير أبى السعود ٢٨٧/٣ - تفسير البغوى ٣٢/٢ - إيثار الحق على الخلق ابن الوزير ٢٢٤ - قواعد الأحكام أبى محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ٧٩/١، ٨٠ ما يقرب من ذلك.
- ٧- (٧) . نفس المصدر، ص ١٧٧.
- ٨- (٨) . المنثور، ٨٨/٣.
- ٩- (٩) . التقرير والتحجير لابن أمير الحاج ١٢٧/١ - المنحول للغزالي ٣٧٧ - جواهر العقود الأسيوطى ٤٣/١.

يتبين له أنه باغ بل اعتقد أنه على الحق وإن كان مخطئاً في اعتقاده: لم تكن تسميته باغياً موجباً لأثمه»، وقال في محل آخر: «ومنهم من قال هذا دليل على أن معاويه وأصحابه بغاه وأن قتال علي لهم قتال أهل العدل لأهل البغي لكنهم بغاه متأولون لا يكفرون ولا يفسقون»، (١) واعتقد أن كل ذلك لغرض تبرير فعله خالد بن الوليد مع الصحابي الجليل مالك بن نويرة رضوان الله تعالى عليه الذي قتله ثم نزا على زوجته لجمالها، فقال: أبو بكر (تأول فأخطأ)، علماً أن عدداً من الصحابة شهدوا على إسلام الرجل، وقد ترضى عليه الاسفراييني في مسنده (٢) عند ذكره توليه النبي صلوات الله تعالى عليه وآله صدقات قومه فكيف يترضى عالم مسلم على رجل مرتد، والظاهر - والله تعالى العالم - أن الذي قتله اثنان: جمال زوجته التي لطالما أعجبت خالداً، والثاني امتناعه عن دفع الصدقة لا مطلقاً بل لغير من ولاة النبي صلوات الله تعالى عليه وآله على الأقل برأيه كما عمل غيره برأيه، فاستحل دمه الشريف تحت عنوان الرده. وللمزيد لك مصادر الحادثة في الهامش لتطلع. (٣) هذا أولاً. وثانياً: (تأول!) قسم من الصحابة في قتال سيد الموحدين بعد الرسول الكريم صلوات الله تعالى عليهم وأصحابه وأتباعه من قبل أهل الجمل في الواقعتين الصغرى التي قاتلوا فيها عامل أمير المؤمنين الصحابي عثمان بن حنيف الأنصاري، والكبرى في قتال أمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه، (٤) وقاتل معاويه علياً صلوات الله تعالى عليه في صفين (٥) التي استشهد فيها عمار بن ياسر وغيره من الصحابة وخيره التابعين، وكذا قتله حجر بن عدى (٦) وأصحابه وغيرهم من المؤمنين رضوان الله تعالى عليهم.

فما فائده النصوص المتقدمة وما قيمتها إلا للمنع من التأول الذي يتبعه ارتكاب الهتك. وقد حمل ابن قيم الجوزية على التأويل أى حملة فراجع ملحق المصادر (٧)... فيتضح بطلان التقييد المذكور.

ص: ٤٣

- ١- (١). شرح فتح القدير ابن الهمام ١٠٠/٦ - كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في الفقه ٧٦/١٧ - الخلافة والملك لابن تيمية ٧٦ - مجموع الفتاوى لابن تيمية ٧٦/٥٣ - الفتاوى الكبرى ابن تيمية ٢٦٦/٤ - منهاج السنة ٤١٩/٤.
- ٢- (٢). ٢٦٤/٤.. راجع تأريخ الرجل واحكم بنفسك ولا تكن إمعنه تصدق كل ما يقال اتباعاً للهوى فإن المسألة مسألة آخره. وإلا فسيأتى أن عمر لم يرض بذلك وأراد أن يقيم عليه الحد.
- ٣- (٣). راجع ملحق المصادر تحت عنوان مصادر قتل مالك بن نويرة ص ٢٢٠.
- ٤- (٤). راجع ملحق المصادر تحت عنوان معركة الجمل ص ٢٢١.
- ٥- (٥). نفس الهامش السابق تحت عنوان معركة صفين ص ٢٢٣.
- ٦- (٦). نفس الهامش السابق تحت عنوان قتل عمار ص ٢٢٦ وقاتل حجر بن عدى ص ٢٢٧.
- ٧- (٧). تحت عنوان الحمل على التأويل ص ٢٢٨، وإن كان النقض على التأويل مطلقاً مردود.

مما تقدم أن للمؤمن بشكل خاص والمسلم بشكل عام حرمة عظيمه بعظم ما جاء في الأثر من تأكيد على ذلك، وكما ذكرت لكي لا يتخذ قتله وانتهاك حرمة محلاً للتأويل والتأويل فيكون لقتله والاعتداء على حرمة غطاء يتخذه الجبابرة ويتبعهم بذلك الرعاع والمصفقين.

ومن الجدير بالذكر أن تعظيم حرمة المؤمن على الكعبة ناشىء من أهميته في إعمار هذا البيت المعظم، وإلا فما فائدة بيت أعده الله تعالى قبله للمؤمنين والمسلمين ومحل يقبل فيه استغفارهم إن لم يوجد المستغفر والمستقبل والمعظم له، فتعظيم هذه البنية الطاهرة المشرفة وإظهار هذا التعظيم أساسه هذا الوجود المبارك وهو المؤمن.

ومن خلال ما تقدم يتم تصور وتصوير التقيه من كونها سلاحاً يتسلح به المؤمن ليحفظ نفسه من الظالمين والمنحرفين الذين لا يرون أي حرمة لأى مخلوق، بل حتى الخالق عز اسمه، ولا- يبيح لنفسه استخدام بعض الأساليب حتى في الرد على العدوان الحاصل كقطع الماء عن الطرف المقاتل وتسميم الطعام والماء، (١) كما فعل بعض بعد سقوط البعث البائد من قتل النساء والأطفال والشيوخ والشباب وتهجير الناس من دورهم وسرقه أموالهم، بل وتم ضرب زائرى مرقد الكاظمين الشريفين من آل محمد صلوات الله تعال عليه وآله في ذكرى استشهاد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، بالأسلحة الكيماوية حقداً وبثوا السم للمشاه في الطعام كل ذلك تحت عنوان المقاومة الشريفة، كما وباعوا النساء إلى الدول العربية ليشفوا غليلهم فهنيئاً للأمة العربية على ما حاربت محمداً وآله عليهم الصلاة والسلام.

ص: ٤٤

١- (١). منع معاوية في صفين أصحاب على عليه السلام الماء، ولما دفعوهم أباحوه لهم، وقتلوا محمد بن أبي بكر ومثلوا بجثته وقدموا السم إلى مالك الأشتر وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وما فعله أتباع يزيد في كربلاء كاف.. وما يفعله النواصب الآن في العراق نفس ما ارتضعوه من التاريخ... وأما طم آبار بدر من قبل جيش النبي صلوات الله تعالى عليه وآله في فلم الرساله فليس بصحيح، فإن من يأمر بعدم الإجهاز على المدبر والمانع من قطع الشجره والتعرض للنساء في الحرب لا يطم بئراً.. فتأمل ولا ترض هذا الفعل الدنيء إلى نبيك فهو المبعوث رحمه للعالمين، أما هم فسيقولون لك: لا عليك بكلام هذا الراضى فهم صحابه وكلهم عدول.. وأقول لك: لا عليك بهؤلاء فأخرتك أهم فلا يستحق أحد أن تبيع آخرتك بدنياه. وسيأتى إن شاء الله تعالى الإشارة إلى حوادث إباحه الماء من قبل أمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه بعد طرد أصحاب معاوية عنه تحت عنوان خلق المتقين ص ١٩١، وتجد مصادر قتل محمد بن أبي بكر وسم مالك الأشتر وقتل عمر بن الحمق رضوان الله تعالى عليهم وسم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد في ملحق المصادر فتابع هناك كل تحت عنوانه من ص ٢٢٩-٢٣٢.

دليل ذلك ما جاء فى النهى الشديد فى القرآن الكريم عن قتل النفس من غير عذر فقال تعالى: **أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا** (المائدة: من الآية ٣٢)، فالآيه الكريمه لم تقيد قتل النفس المسلمه فقط بل بينت سبب حل الدم فتأمل. وكذلك حديثه صلوات الله تعالى عليه وآله:

«لا ترجعوا بعدى ضلالاً» أو «كفاراً» على أى لفظ كان.

وقد أوردت كما كبيراً - كما سترى فى الملحق - من المصادر التى نقلت الحديث القدسى الشريف وأقوال النبى صلوات الله تعالى عليه وآله وأقوال الفقهاء ليعلم أن حرمه دم المؤمن بل مطلق الدم من غير حق من ضرورات الدين، وهو أمر مسلم به عند المسلمين كالصوم والصلاه، فلا يجوز ارتكاب هذه الخطيئه بأى شكل من الأشكال. وقد بينت ألفاظ الروايات حالات جواز ارتكاب القتل كالقصاص، وهى موارد معينه ولا تشمل الشبهه مطلقاً، حيث يعلم أن التأول والاجتهاد فى قتل المسلم مرفوض قطعاً، وإلا لما نزلت هذه الآيه الشريفه: **إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا** (النساء: من الآية ٩٤)، فإما أن يكون ذلك الشخص مستحقاً أو لا، ولا توجد حاله وسط ألا وهى حاله الشبهه. فمن قاتل مسلماً أو مؤمناً مستحلاً دمه من غير سبب حق فهو عامد، وإلا فبإمكان أى شخص يدعى عدم حرمه دم فلان وينتهى الأمر.

ثم نأتى إلى أمر آخر، حيث قال تبارك وتعالى: **إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ** (آل عمران: ٢٢)، (٢١)، فيطرح هذا التساؤل هل كان على بن أبى طالب صلوات الله تعالى عليه من الذين يأمرون بالقسط أم لا؟ وعليه هل يجوز قتاله وقاتل أصحابه وشيعته أم أن من يقاتله من: **الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ** كائناً من كان، فالآيه صريحه ولا يوجد مخصص يستثنى خال المؤمنين ولا غيره؟ الجواب عند من لا يخاف إلا الله تعالى.

وعلى كل حال فإنهم حاولوا تبرير عمليات القتل بالتأويل، لكى يكون معذوراً وكأن الله تعالى يعمل بهذه التبريرات، ولكن يبقى أمر تجدر الإشارة إليه من قوله تعالى: **مُحَمَّدٌ**

رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدَّاءٌ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءٌ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَرِجًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ
مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَ مَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ
لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعِيدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا (الفتح: ٢٩)، فمن خلال رُحَمَاءٍ بَيْنَهُمْ تعلم
الفرق بين عمار وأبي ذر، وعمار ومعاوية، وعمار والذين طالب بدمهم معاوية، فافهم أنت، لا تشبث بفعل أمير المؤمنين عليه
السلام أنه لم يتعامل مع أسراهم كمماليك وأموالهم كغنائم، لأن المقام هنا مقام تشبيه حذف منه أداة التشبيه ووجه الشبه، لأن
المسلم إذا قاتله المسلم انحلت ولايه الإسلام بينهما فيكون كالكفر، نعم قد يقال بالجمع مع قوله صلوات الله تعالى عليه وآله:

«لا ترجعوا بعدي ضلالاً- أو - كفاراً»، يحمل الكفر على معناه حقيقه لا مجازاً، ولكن يكون من قبيل الكفر الذي لا يخرج من
المله ولكنه في الآخرة حسابه حساباً، إلا أنه يمكن حمل الثاني على التشبيه أيضاً.

أولاً: الدليل العقلي

لو خُلِّي كل عاقل ونفسه، وقيل له إن هناك ضرراً يحيط بك، لَتَصَيَّرَفَ - جزماً - تصرفاً يدفع الضرر - وإن كان محتملاً - عن نفسه على أنه لا يعقل أن يدفع هذا الضرر بضرر أشد منه لقيده العاقلية المتقدم، وإلا فإن ما قام به عمار رضوان الله تعالى عليه من تصرف لم يكن عن دليل نقلي اعتمد عليه في ذلك، بل كان راجعاً إلى العقل ليس غير، حيث وجد بأن كلمه يريد بها هؤلاء يقولها باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان في قبال نجاته من القتل أمراً ليس بشيء، وعليه فقد تلفظ بما يريدون وحصل على ما يريد وانتهى الأمر إلى ما أحب هو لا إلى ما أحب الكفار، لأنه ادّخر نفسه لما هو أهم فبدلاً من أن يستشهد في ذلك الوقت أصبح دليلاً على الفئه التي على الحق في نزاع يحصل بين المسلمين فئه يقودها أمير المؤمنين على صلوات الله تعالى عليه وأخرى يقودها معاويه بن أبي سفيان، (١) ثم استشهد أيضاً فنال المرتبتين رضوان الله تعالى عليه.

وعلى ما تقدم يكون ذلك دليلاً برأسه عند من يقبل حججه فعل الصحابي، أو اقتداءً به لأنه رجع إلى عقله في هذا الفعل فيكون ما ذكر كمثال.

وأما عند من لا يرى ذلك ويعتمد سنه المعصوم فقط فإن إقرار النبي صلوات الله تعالى

ص: ٤٧

١- (١). سيأتي الحديث عن ذلك إن شاء الله تعالى فتابع، ص ٢٢٣.

عليه وآله له حيث قال:

«فإن عادوا فعد...» كما جاء ذكره في محله، (١) فإنه بضم إقرار النبي صلوات الله تعالى عليه وآله إلى ما قام به هذا الصحابي الجليل يكفى في المقام. نعم يبقى أمر واحد حرى أن يشار إليه وهو أنه قد يُشكَّل على موقف عمار من خلال اعتذاره وإبداء ندمه إلى النبي صلوات الله تعالى عليه وآله وهذا - كما قد يشكل به - إنما ناتج عن تأنيب الضمير. والجواب أن هذا أمر طبيعي يحصل لكل إنسان يقوم بعمل في حال الاضطرار فيتأثم منه فيكون مجرد أمر تابع إلى الحاله النفسيه لذلك الشخص ليس غير، فإن هناك من لا يتأثم من ارتكاب الضرورات فيراها أمراً ليس بذى أهميه وهناك من هو بخلافه. وسيأتى في البحث التالى عرض الجنبه الشرعيه لهذه الواقعه التى أُقرت كتاباً وسنه إن شاء الله تعالى.

ثانياً: الأدله الشرعيه

اشاره

مما تجدر الإشاره إليه أولاً وقبل الخوض فى الأدله، أن الله تعالى أمر بها فقال: **وَ لَا تَسْتَبُؤْا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسْتَبُؤْا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ (الأنعام: من الآيه ١٠٨)**، ولا أتصور هناك عاقلاً يقول: إنما أمر بذلك حبا بهم، بل إنه معلل بقوله تعالى: **فَيَسْتَبُؤْا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ**، وإن كان ذلك غير مُعترض عليه من قبل أتباع المذاهب باعتبار أنها مع الكفار كما سيتضح، والخلاف وقع فى استخدامها مع المسلم وسيتضح مشروعيتها والأمر بها. ولو اتخذنا هذه الآيه الشريفه كمثال (٢) يترشح ذلك على النبي والأئمه الأطهار لثلا يسبهم الكفار والنواصب عدوًّا بغير علم.

ثم إنه قد اتفقت كلمه المسلمين على مشروعيه استخدامها عند الإكراه أو خوف الضرر مع الكفار على تفصيل فى محله. وقد جاء فى ذلك قرآن كريم عندما أظهر بعض من أوائل المسلمين - الصحابه - موافقه الكفار الذين فتنوهم تخلصاً من التعذيب أو القتل، مما جعلهم يشعرون بالحرج من هذا الفعل الذى قاموا به. ولو رجعنا إلى تفاسير المسلمين لوجدنا ذلك واضحاً عند تعرضهم لتبيين قوله تعالى: **لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاهُ (آل عمران: من الآيه ٢٨)**،

ص: ٤٨

١- (١) . (حليه الأولياء الأصبهاني ١/١٤٠ - صفه الصفوه ابن الجوزى ١/٤٤٣ - الدرأيه فى تخريج أحاديث الهدايه ابن حجر ٢/١٩٧ - بغيه الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٥/٢٢٥٢ - روح المعاني الألوسى ١٤/٢٣٧ - كتاب التقرير والتحجير ابن أمير الحاج ٢/١٩٦ - صحيح شرح العقيد الطحاويه حسن بن على السقاف ١/٨١، ٦٩٥).

٢- (٢) . قال جل جلاله: **وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (الاسراء: ٨٩)**.

وكذلك عند تفسير قوله تعالى: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (النحل: ١٠٦). ومن خلال ما عرضوا له هناك يثبت المطلوب.

ويتضح مما تقدم الإقرار من لدن الله تعالى على ما فعلوا والترخيص لهم في ذلك، ولم يؤنب الذين قاموا بهذه الفعله كما أنب أحد رجال بني أميه - مثلاً - عندما عبس بسبب وصول الأعمى إليه. (١)

وعلى كل حال فإن هؤلاء الصحابه المتقين هم عمار بن ياسر وصهيب الرومى وجبر مولى الحضرمى. علماً أنه قد وقع فعلاً ما يخشونه على أنفسهم من هؤلاء، فكان نصيب بعض آخر القتل ك- (ياسر وسميه) والدى عمار رضوان الله تعالى عليهم. ولو تأملنا الآيتين الشريفتين السابقتين لوجدنا فيهما تهديداً ووعيداً لمن يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين إلا في حال معين هذا فى الأولى وفى الثانيه اللجوء إلى التلطف بكلمه الكفر ظاهراً لا إيماناً من المتلفظ بها، والاستثناء فيهما منصب على هذين الصنفين من، ولما كان حفظ نفس المؤمن وحرمة عنده تعالى أهم من الظاهر الذى يريده هؤلاء جعل للمؤمنين مخرجا ألا وهو «التقيه». عندها لا يعد من استخدمها كافراً، بل محكوم بإيمانه وذلك بما اطمأن به قلبه. ومن خلال الظروف التى نستقرؤها والمحيطه بمن استخدمها، نجد أنها مشروطه بموارد دون أخرى فقد تشرع وقد لا تشرع فيرفع الموضوع من رأس، وكل ذلك إنما هو بحسب الموارد التى لا يحفظ فيها المسلم نفسه من الكافر، وسيتضح كل مطلب فى محله إن شاء الله تعالى.

وبناء على ما تقدم فإنها مسأله سياله تشمل جميع نواحي حياه المؤمن بقيود وشرائط معينه تدخل فيها، فلذلك لم نجد لها باباً معيناً تبحث فيه، ولكنها تعتبر من القواعد الفقهيه العامه التى لها ظروفها وشرائطها المعينه فيعمل بها عند تحققها، كقاعده لا ضرر ولا ضرار، وقاعده ارتكاب أقل الضررين، والضرورات تبيح المحظورات (٢). إلخ. على أن هناك من

ص: ٤٩

١- (١). هذه الواقعه نسبت إلى النبى الأكرم صلوات الله تعالى عليه وآله ظلماً، وكان على من نسبها أن ينفى ذلك بأدنى تأمل، فبدلاله الروايه يفترض أن يوبخ عبد الله بن مكتوم رحمه الله لأنه هو الذى قاطع النبى صلوات الله تعالى عليه وآله إثناء كلامه والآيه لا تذكر للمقاطع أى أثر، بل كان مجرد الوصول هو سبب العبوس، فيتعارض نص الآيه الشريفه مع الروايه فتسقط الأخيره عن الحجيه، هذا مع التسليم بوجود روايه صحيحه بهذا الخصوص وإلا فالأمر منتفٍ من رأس ولِى فى ذلك بحث فى التفسير ابسط الكلام هناك ان شاء الله.

٢- (٢). لو تمعن فى القاعده الأخيره لشممت منها رائحه الأمر بالتقيه، مع الحاجه إلى التقييد المذكور فى الروايه المشار إليها

الآيات الكريمة ما يساعد على اقتناص هذا المعنى منها، كقول الله تعالى: لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ (البقره: من الآية ٢٥٦)، و ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ (المائدہ: من الآية ٦)، و يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَ لا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ (البقره: من الآية ١٨٥)، و لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا (البقره: من الآية ٢٨٦)، و وَ لا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (البقره: من الآية ١٩٥)، و فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ (البقره: من الآية ١٧٣)، و فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصِهِ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ إِثْمًا (المائدہ: من الآية ٣) مع ضميمة قياس الأولويه أو كبرى آيات الأمثال، و فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لا عَادٍ (الأنعام: من الآية ١٤٥)، و فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (النحل: من الآية ١١٥). وللمزيد راجع مصادر المسلمين تحت العناوين المذكوره و نقل من مصادر أتباع المذاهب ما يتيسر هنا.

وقال البخارى (١) فى كتاب الإكراه: وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَ لَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَيْدراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وَقَالَ: إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاهُ وَ هِيَ تَقِيَةٌ وَقَالَ: إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ إِلَى قَوْلِهِ: عَفْوَاً غَفُوراً وَقَالَ: وَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً فَعَدَرَ اللَّهُ الْمُسْتَضْعَفِينَ (٢) الَّذِينَ لَمَّا يَمْتَتِعُونَ مِنْ تَرْكِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَ الْمَكْرَهُ لَمَّا يَكُونُ إِلَّا مُسْتَضْعَفًا غَيْرَ مُمْتَنِعٍ مِنْ فِعْلِ مَا أَمَرَ بِهِ، وَقَالَ الْحَسَنُ (٣) التَّقِيَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَنْ يُكْرِهُهُ اللُّصُوصُ فَيَطْلُقُ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَ بِهِ قَالَ ابْنُ عَمْرٍ وَ ابْنُ الرُّبَيْرِ وَ الشَّعْبِيُّ وَ الْحَسَنُ... وَ كَذَلِكَ قَالَ (٤) فى كتاب تفسير القرآن: (تقاه و تقيه واحده...) انتهى... و أما النووى فإنه قال: (٥) «إن كفر و قلبه مطمئن بالإيمان، و لا تبين منه زوجته و لا يحكم عليه بحكم الكفر.» هذا قول مالك و الشافعى و الكوفيين غير محمد بن الحسن فإنه قال: «إذا أظهر الشرك

ص: ٥٠

١- (١). الإكراه، ٥٥/٨.

٢- (٢). والمستضعف لم يقيد بالذى فى دوله الكفر بل مطلقاً.

٣- (٣). البصرى. كما سيرد عنه ذلك فى الصفحات ٦٣ و ٧٧.

٤- (٤). تفسير القرآن، ١٦٥/٥.

٥- (٥). المجموع ٨/١٨.

القرآن سيد قطب / ٣٤٥- مختصر تفسير ابن كثير اختصار الصابوني / ٦٤٩، ٧٦٥، ١٣٧٢، ١٥٥٢- الفقه على المذاهب الأربعة
الجزيري / ١٧٦، ٤٤٥، ١٩٤٠، ٢١٠٥، ٢١٠٨- مفردات الأصفهاني / ٢٢٨- زياده الجامع الصغير للسيوطي / ٥١٨- (ابن ماجه وابن
حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عباس بلفظ [إن الله]) - حليه الأولياء الأصبهاني / ٣٥٢/٦- شرح معاني الآثار الطحاوي
٩٥/٣- مصباح الزجاجة البوصيري / ١٢٥/٢، ١٢٦- تحفه المحتاج ابن الملقن / ٢/٤٠٠، ٤٤٣- الدرأيه في تخريج أحاديث الهدايه
ابن حجر / ١٧٦/١- خلاصه البدر المنير ابن الملقن / ١/١٥٤، ٣٢٢، ٣٧/٢- تحفه الطالب ابن

وهذا الدليل يصلح أيضاً لاستخدامها بين المسلمين أنفسهم، ولكن قد يقال: إن المراد بالأول - أى المكره - غير المسلم فقط بدليل لفظ (أمتي) وجوابه: نعم ينحصر الثانى فى المسلم لأنه صلوات الله تعالى عليه وآله خص المرفوع عنه به، ولكن الأول - المكره - هنا لا- يساوى الكافر وإلا لكان كل مسلم غير معصوم كافراً لأنه قد يرتكب الإكراه ضد غيره. وهذا ما سيتضح من خلال استعراض أدله التقيه فى محله من الفصل التالى، كما يمكن متابعه ذلك عند مراجعه باب الإكراه فى الموسوعات الفقهيّه عند باقى الفرق، وكمثال على ذلك إكراه عثمان بن عفان على نفي أبى ذر رحمه الله إلى الربذه كما سترى فى ملحق المصادر ص ٢٤١، وإكراه عمر بن الخطاب على تشكيل الشورى وقتل من لا يرضى بالمعين هذا أولاً، وثانياً اتفاق فقهاء المسلمين على عدم الانحصار بالكافر - وهذا الاستدلال مبنى على من يقبل الاتفاق أو الإجماع كدليل -. ثم إن الإكراه المراد هنا هو غير المشروع حتماً، وهو ما يقع من ظلم على الثانى - المُكره -..

والنتيجه أن نفس حديث الإكراه الذى قد يطلق عليه حديث الرفع يصلح للاستدلال من خلاله على استخدام التقيه مع الكفار ومع المسلمين على حد سواء، فكلما تحقق إكراهاً أمكنت التقيه فراراً من الأذى المحتمل، واما تقدير حجم الضرر والأذى فهذا أمر آخر لا علاقه له بالموضوع بعد ثبوت أصل إمكان العمل بعنوان ثانوى غير الأول. فهو إذن دليل صريح نص فى

إمكان وقوع التقيه عند صدور الإِ-كراه من ظالم، نعم لا- يمكن التمسك بإطلاقه من حيث الإتيان بها في كل واقعه بل يكون مقيداً بما إذا لم يكن الإِكراه يوقع في محذور يمنع منها كارتكاب قتل نفس محترمه لحفظ نفس المكره. كما سيأتى إن شاء الله تعالى.

ثم إن الحديث ورد بلفظ

«وما استكروها عليه»، ولم يأت بلفظ وما أكرهوا عليه، والفرق بين اللفظين من جهتين:

الأولى: أن الإِكراه فيه مباشره من المكره - بالكسر - بخلافه في الاستكراه ففيه المباشره وغير المباشره.

الثانية: أن الإِستكراه فيه شده وأذى لأن الأول يطلب من الثانى إيقاع أمر مكروه له.

(و الله تعالى أعلم ورسوله وآله صلوات الله تعالى عليه وعليهم)

ص: ٥٣

من خلال تتبعي للمصادر التي تحدثت عن استخدام التقيه والحث عليها مطلقاً مع المسلمين ومع غيرهم عند أتباع المذاهب، فقد جمعت منها ما يشكل عند المطلع قطعاً بأنها إن لم تكن مستخدمه على نطاق أوسع مما هي عليه عند شيعة أهل البيت عليهم السلام، فهي لا أقل على غرار ما نقلته كتبنا الغراء بهذا الشأن، ابتداءً من تعامل النبي صلوات الله تعالى عليه وآله بها مع الصحابه أنفسهم، ثم الصحابه بينهم ومع الأمراء وانتهاءً بعامتهم عملاً بفتاوى وأقوال علمائهم في هذا الباب.

ومن الجدير بالذكر أنك ستجد في بعض الأحيان أن نفس مفردة التقيه لم تستخدم بذاتها إنما عبروا عنها بالمعنى وذلك إما بلفظ «خشيه على نفسه» أو بلفظ «الإكراه» وما إلى ذلك... ولو أردت المزيد فراجع باب الاضطرار والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وباب الإكراه في كل باب من أبواب الفقه والعقائد في مؤلفاتهم.

وسوف يتضح للقارئ ذلك من خلال متابعه ما سيأتي تباعاً خلال البحث.

أولاً: النبي صلى الله عليه وآله

وكان ذلك مع أحد الصحابه عندما استأذن عليه ويظهر من الروايه أن هذا الرجل لا يسلم من لسانه أحد، فما كان منه إلا أن يتقى شره، وقد ذكروا في التعليق على هذه الروايه أن الرجل كان منافقاً، ولكن هناك من ذكر اسم الرجل المقصود وهناك من لم يورده، وليس ذلك مهما

بقدر ما للموقف الذى سجله النبي صلوات الله تعالى عليه وآله من أهميه. ففي البخارى (١) هناك باب خاص بالمداراه فى كتاب الأدب قال:

أن عائشه اخبرته أنه استأذن على النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم رجل فقال: ائذنوا له فبئس ابن العشيره أو بئس أخو العشيره... فلما دخل ألان له الكلام فقلت: يا رسول الله قلت ما قلت ثم ألنت له فى القول، فقال: أى عائشه إن شر الناس منزله عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه.

ومن يتأمل فيه يجد أن النبي صلوات الله تعالى عليه وآله استخدم نفس المفرده حيث قال: (اتقاء) وحيث أن الروايه جاءت فى البخارى فإنه لا- مجال لإنكارها أو الرد عليها. ومن باب ذكر المصادر الأخرى لتوثيق الحاله أكثر أُورد هذا الحديث أيضا نقلا عن سنن الترمذى، (٢) وبعد ما أورده قال: (هذا حديث حسن صحيح)، و فى سنن ابن حبان. (٣) وجاء بعد ذلك فى البخارى أيضا نفس الباب:

عن عبد الله بن أبى مليكه أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم أهديت له اقبية من ديباج مزرره بالذهب فقسّمها فى أناس من أصحابه وعزل منها واحدا لمخرمه فلما جاء قال خبأت هذا لك، قال أيوب بثوبه إنه يريه إياه وكان فى خلقه شيء (ورواه حماد بن زيد عن أيوب)، وهذان الدليان كافيان على جواز استخدامها مع المسلم.

ثانياً: استخدام الصحابه وعامه أتباع المذاهب

أما الصحابه وغيرهم فقد استخدموها عندما كانوا يخافون بطش السلطان فهذا عبد الله بن عمر كان يستعمل التقيه مع أمراء بنى أميه فقد روى عبد الرزاق فى المصنف (٤) قال:

عن ميمون بن مهران قال دخلت على ابن عمر أنا وشيخ أكبر منى، قال: حسبت أنه قال: ابن المسيب، فسألته عن الصدقه أَدفعها إلى الأمراء؟ فقال: نعم، قلت وإن اشترؤا به الفهود والبيزان (الصقور)؟ قال: نعم...

وعن محمد بن راشد قال:

أخبرنى أبان قال: دخلت على الحسن وهو متوارٍ زمان الحجاج فى بيت أبى خليفه فقال له رجل: سألت ابن عمر هل أَدفع الزكاه إلى الأمراء؟ فقال ابن عمر: ضعها فى

ص: ٥٦

١- (١). البخارى، ١٠٢/٧ و١٠٣- على أنه هناك كلام فى مسأله استخدامها من قبل النبي صلوات الله تعالى عليه وآله، ويمكن أن نضع ذلك فى باب المداراه عندنا.

٢- (٢). سنن الترمذى، ٢٤٢/٣ برقم ٢٠٦٤.

٣- (٣). سنن ابن حبان، ١٠/٤٠٠.

الفقراء والمساكين. قال: فقال لى الحسن: ألم أقل لك إن ابن عمر كان إذا أمن الرجل قال: ضعها فى الفقراء والمساكين.

وقال الطحاوى فى مختصر اختلاف العلماء: (١) وقد روى عن ابن عمر أنه قال أضعها إلى من غلب.

فما تقولونه فى ابن عمر نقبله فىنا، فإن كانت التقيه تهمة نفاقٍ فلتكن كذلك مع غيرنا وإلا فالحمد لله رب العالمين.

وكذلك روى صاحب المدونه الكبرى (٢) عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «ما من كلام كان يدرأ عنى سوطين من سلطان إلا كنت متكلماً به». فما هو شأن ذلك السلطان؟ أكان عبد الله بن مسعود تكلم ذلك الكلام فى ظل الحاكم المسلم أم الكافر؟ أم كان منافقاً؟

وروى البيهقى فى سننه (٣) تفسير ابن عباس لآيه مَنْ أْكْرَهَ (النحل: من الآيه ١٠٦) وفيه:

فأما من أكره فتكلم بلسانه وخالفه قلبه بالإيمان لينجو بذلك من عدوه - (مطلقاً مسلماً كان أم كافراً ولم يقيد) - فلا حرج عليه، إن الله سبحانه إنما يأخذ العباد بما عقدت عليه قلوبهم.

ورواه السيوطى فى الدر المنثور (٤) وذكر هناك أيضاً ما نذهب إليه - نحن الإماميه - من عدم التقيه فى الدماء فقال: «ولا يبسط يده فيقتل ولا إلى إثم فإنه لا عذر له».

ونقل روايات فى هذا الباب وفصل الكلام هناك فليراجع المصدر.

وجاء فى مقدمه كتاب الموطأ للإمام مالك، (٥) التى كانت بقلم محمد كامل حسين ما نصه:

وفى حياه الامام مالك شاهد العالم الإسلامى تطورات خطيره كان لها أثرها القوى فى الحياه السياسيه والاجتماعيه والعقليه، وفى هذه السنوات نشطت دعوه العباسيين وتطورت هذه الدعوه إلى انقلاب الحكومه، فسقطت دوله بنى أميه، وتولى العباسيون الأمر، وتتبعوا الأمويين ومن لاذب بهم قتلا- وتعذيباً، وسقوط دوله وقيام أخرى يؤدى دائماً إلى لون من الاضطراب بين الناس، ويوجد فيهم شيئاً من عدم الطمأنينه ومن تبلبل الافكار، فمنهم من يتخذ التقيه فيضمّر غير ما يظهر، ومنهم من يستسلم للأمر الواقع ولا يأبه بمجرى الحوادث حوله، ومنهم من يقوم مع الحكومه

ص: ٥٧

١- (١). المختصر، ١/٤٢٧.

٢- (٢). المدونه الكبرى، ٣/٢٩، الروض الأنف لأبى محمد المعارفى ٢/٨٥.

٣- (٣). سنن البيهقى، ٨/٢٠٩.

٤- (٤). الدر المنثور، ٢/١٦.

٥- (٥). الموطأ ١/٢٢، ٢٣.

الجديده ابتغاء التقرب والزلفى لدى أولى الأمر، ومنهم من يؤازر الحركات التى ترمى إلى عوده الحكومه القديمه، هذا ما نراه فى التاريخ فى كل العصور وفى كل انقلاب يحدث...) أه-

ومن باب التعليق على هذا المقطع من مقدمه أقول: أعتقد جازماً بأن هذا التقسيم الذى قام به محمد كامل حسين - المقدم للموطأ - كان سارياً بين أتباع المذاهب الأخرى ولم يكن من الشيعه من بينهم والحمد لله فإن أهل التشيع كانوا يعملون بالتقيه من الأساس وهذا التقسيم الذى كان فيه المدارى والمداهن - الذى يبيع دينه بمرضاه أمراء الجور - والقسم الرابع الذى كان منتفعا من حكام بنى أميه فيقوم بمحاربه العباسيين للرجوع إلى ذلك الحكم والسؤال المطروح أن مالكا من أى قسم كان؟ الإجابة فى هذا المقطع من مقدمته حيث جاء دور إمامه - أعنى مالكا - فأكمل المقدم قائلاً:

أما مالكا نفسه فكان مضطراً إلى أن لا يسهم فى هذه الثورة مساهمه إيجابيه، ذلك أن المنصور العباسى أرسله مع من أرسل إلى بنى الحسن ليدفعوا إليه محمداً وإبراهيم ابني عبد الله، فلما قام محمد وإبراهيم بالثورة لم يسع مالكا أن يشترك فيها وهو الذى كان رسولا - لتسلمهما بالأمس، وفى الوقت نفسه كان ينقم على المنصور جبروته وطغيانه ولهذا كان يأتيه أهل المدينه يستفتونه فى الخروج مع محمد ويقولون: إن فى أعناقهم بيعه لأبى جعفر فيقول: إنما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين. وهذه التيارات السياسيه اضطرت الامام إلى أن يتحفظ، ولهذا وصف مالكا بأنه كان أعظم الخلق مروءه وأكثرهم صمتاً قليل الكلام متحفظاً بلسانه من أشد الناس مداراه للناس....

و الله لا أعلم إن كان هذا الكلام صحيحاً أم هو تلاعب بالألفاظ فإما أن يكون قد عمل بالمداراه وهى حسن خلق ومن المروءه أم كان يدعو إلى بنى أميه عندما كان يشير على الناس بما أشار!! ثم ماذا كان يفعل عندما كان يرسل فى طلبه المنصور الدوانيقى وقد كان يقول للناس إن بيعتهم كانت عن إكراه أليست هذه هى التقيه؟ وإلا فما جعل مالكا أن يلىن جانبه عندما يحضر عند المنصور؟

ونسير قدماً على كل حال لنكمل استعراض أدله الأخوه فى استخدام التقيه التى أخذت منهم مأخذاً عظيماً.

وأما فى تقيه أحمد بن حنبل فننقل منها ما يتيسر، حيث جاء عن الطبرى فى تاريخه: (١)

«ان المأمون كتب إلى إسحاق بن ابراهيم أن يمتحن القضاء والفقهاء والمحدثين فى

ص: ٥٨

هذه المسأله - التى هى مسأله خلق القرآن - فدعا اسحاق بن ابراهيم جملة منهم وفيهم أحمد بن حنبل، فقال له: ما تقول فى القرآن؟ قال هو كلام الله، قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله، لا أزيد عليها»، وهو المعروف عنه القول بعدم خلق القرآن.

وقد نبأنا كل من اليعقوبى والجاحظ بأمره من خلال ما نقلاه من هاتين الروایتين: أما الأولى: فقد قال اليعقوبى فى تاريخه (١) عندما روى مناظره إسحاق بن ابراهيم له فى مجلس المعتصم، وهى روايه طويله نذكر منها محل البحث:

فقال إسحاق: هذا العلم الذى علمته نزل به عليك ملك، أو علمته من الرجال؟ قال: بل علمته من الرجال. قال: شيئاً بعد شىء أو جملة؟ قال: علمته شيئاً بعد شىء، قال: فبقى عليك شىء لم تعلمه؟ قال: بقی على. قال: فهذا مما لم تعلمه، وقد علمكه أمير المؤمنين. قال: فأنى أقول بقول أمير المؤمنين. قال: فى خلق القرآن؟ قال: فى خلق القرآن. فأشهد عليه، وخلع عليه، وأطلقه.

وأما الثانيه: فقد قال الجاحظ رداً على الحنابله فى مقدمه كتاب أحمد بن حنبل والمحنه (٢) نقلاً عن هامش الكامل: (٣)

قد كان صاحبكم هذا - أى أحمد بن حنبل - يقول: لا تقيه إلا فى دار الشرك. فلو كان ما أقر به من خلق القرآن كان منه على وجه تقيه، فقد عملها فى دار الأسلام. وقد أكذب نفسه، وإن كان ما أقر به على نحو الصحه والحقيقه فلستم منه وليس منكم، على إنه لم ير سيفاً مشهوراً، ولا - ضُرب ضرباً كثيراً، ولا ضُرب الا ثلاثين سوطاً مقطوعه الثمار، مُشبعه الأطراف، حتى أفصح بالأقرار مراراً، ولا كان فى مجلس ضيق، ولا كانت حالته مؤيسه، ولا كان مُثقلًا بالحديد، ولا خُلع قلبه بشده الوعيد....

ولكننا نجد أحمد على عهد المتوكل وعند ارتفاع محنته كان يقول: (ومن زعم ان القرآن كلام الله، ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من القول الأول). (٤) وقد نقل عنه فى كتاب الرد على الجهميه فى كتاب الدارمى (٥) ولعن من يقول القرآن كلام الله ويسكت، فقال: «وقالت طائفه: القرآن كلام الله وسكتت، وهى الواقفه الملعونه».

وفى تاريخ اليعقوبى قال: (٦) وكان عيسى بن موسى يقول إن له ولايه العهد بعد أبى جعفر

ص: ٥٩

١- (١). تاريخ اليعقوبى، ٢/٤٧٢.

٢- (٢). نفس المصدر، ص ١٤.

٣- (٣). هامش الكامل، ٣/١٣١-١٣٩.

٤- (٤). طبقات الحنابله ١/٦٩.

٥- (٥). سنن الدارمى، ص ٢٨.

٦- (٦). تاريخ اليعقوبى، ٢/٣٧٩.

فلما ورد عليه كتاب أبي جعفر بما اجتمع عليه القواد وأهل خراسان من تصيير ولايه العهد من بعده للمهدى وأشار عليه بأن يسبق إلى ذلك كتب إليه عيسى يعظم عليه هذا الأمر ويذكر له ما فى نكث اليهود ونقض الأيمان وأنه لا يأمن أن يفعل الناس هذا فى بيعته وبيعه ابنه وجرت بينهما مراسلات وقدم عيسى بغداد فوثب به الجند يوماً بعد يوم وصاروا إلى بابته حتى خاف على نفسه فلما رأى ذلك رضى وسلم فبايع المنصور بولايه العهد.

وجاءت التقيه فى المبسوط للسرخسى: (١)

فيما ذكر عن إبراهيم رحمه الله قال لى رجل: إني أنال من رجل شيئاً فيبلغه عنى فكيف أعتذر منه؟ فقال له إبراهيم: والله ان الله ليعلم ما قلت لك من ذلك من شىء - أى أضمر فى قلبك الذى معنى أن الله ليعلم الذى قلت لك من حقتك من شىء. وعن عقبه بن غرار رحمه الله قال: كنا نأتى إبراهيم رحمه الله وهو خائف من الحجاج فكنا إذا خرجنا من عنده يقول لنا ان سئلتهم عنى وحلفتهم فاحلفوا بالله ما تدرؤن أين أنا ولا لكم علم بمكانى ولا فى أى موضع أنا واعنوا أنكم لا تدرؤن فى أى موضع أنا فيه قاعد أو قائم فتكونون قد صدقتهم،

وذكر أيضاً:

وأتاه رجل فى الديوان فقال: إني اعترضت على دابه وقد نفقت وهم يريدون يحلفوننى أنها الدابه التى اعترضت عليها فكيف أحلف فقال: اركب دابه واعترض عليها على بطنك راكبا ثم احلف لهم أنها الدابه التى اعترضت عليها فيفهمون الغرض وأنت تعنى اعترضت عليها على بطنك. ويحكى عن إبراهيم رحمه الله أنه كان استأذن عليه رجل وهو لا يريد أن يأذن له ركب رشادا وأراد فرس البخت وقال لجاريتته: قولى: إن الشيخ قد ركب وربما يقول لها: اضربى قدمك على الارض وقولى ليس الشيخ هنا أى تحت قدمى.

ولا أعلم لماذا لم يتهم هؤلاء بالكذب والنفاق، واللطيف أنه علم أناساً هذا السلوك وهؤلاء أيضاً علموه غيرهم تأسياً به ولم نجد أحدا يرمى هؤلاء بالنفاق والكذب والخداع.

وأنقل لكم مما جاء فى فتح البارى لابن حجر (٢) أنه قال:

المداراه المحموده والمداهنه المذمومه وضابط المداراه أن لا يكون فيها قدح فى الدين، والمداهنه المذمومه أن يكون فيها تزيين القبيح وتصويب الباطل ونحو ذلك. وقال الطبرى اختلف السلف فى الأمر بالمعروف فقالت طائفه يجب مطلقا واحتجوا

ص: ٦٠

١- (١). المبسوط، ٢١٤/٣٠ و ٢١٥.

٢- (٢). فتح البارى، ١٣/٤٤ و ٤٥.

بحديث طارق بن شهاب رفعه أفضل الجهاد كلمه حق عند سلطان جائر ويعموم قوله من رأى منكم منكراً فليغيره بيده الحديث... .

هنا تكلم عن شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليقاً على ما ذكره أقول: وكيف يمكن ترك ذلك والاكتفاء بالاستنكار في القلب فهل هذا تعطيل لهذا الفرع أم أن التقيه توجب أمراً آخر وتلغى موضوع الحكم الأولي؟ وأنصحك أن تقرأ الموسوعات الفقهية التي تتحدث عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتعلم كيف أن التقيه أمر متأصل عند الفقهاء.

وفي عون المعبود للعظيم آبادي: (١) نقل في جواز المداراه مع المعلن بالفسق والجائر: وعن القرطبي:

والفرق بين المداراه والمداهنه أن المداراه بذل الدنيا لصالح الدنيا أو هما معا وهي مباحه وربما استجبت والمداهنه ترك الدين لصالح الدنيا والنبي صلى الله عليه [وآله] وسلم إنما بذل له من دنياه حسن عشرته... الذين يكرمون) بصيغه المجهول من الإكرام أى يكرمهم الناس ويوقرونهم وسلم (اتقاء ألسنتهم) بالنصب مفعول له ليكرمون عنه أى لأجل اتقاء ألسنتهم... .

أه... واتصور أن المعلن بالفسق هنا من المسلمين ليس غير فافهم.

وجاء في سنن ابن حبان: (٢)

قال أبو حاتم رضى الله عنه المداراه التي تكون صدقه للمدارى هي تخلق الإنسان الأشياء المستحسنه مع من يدفع إلى عشرته ما لم يشبها بمعصيه الله والمداهنه هي استعمال المرء الخصال التي تستحسن منه في العشره وقد يشوبها ما يكره... .

وهذا ما نقوله نحن أيضاً فهل تكون مداراه القوم إيمان ومداراتنا نفاق؟

وقال (٣) أيضاً: «ذكر الإباحه للإمام لزوم المداراه مع رعيته وإن علم من بعضهم ضد ما يوجب الحق من ذلك أخبرنا الفضل بن الحباب ثم ساق الحديث بكامله...» .

وأكثر من هذا وذاك أنقل لكم قولاً لطيفاً ذكره محمد بن الحسين الآجري في كتابه الغرباء (٤) حيث قال:

ودارى أهل زمانه ولم يداهنهم وصبر على ذلك، فهذا غريب من يأنس إليه من العشيره والإخوان قليل ولا يضره ذلك فإن قال قائل: افرق لنا بين المداراه

ص: ٦١

١- (١) . عون المعبود، ١٠٣/١٣، ١٠٤.

٢- (٢) . سنن ابن حبان، ٢١٨/٢.

٣- (٣) . نفس المصدر، ٤٠١/١٠.

٤- (٤) . الغرباء، ص ٧٩-٨١.

والمداهنه؟ قيل له: المداراه يثاب عليها العاقل، ويكون محموداً بها عند الله تعالى، وعند من عقل عن الله تعالى، هو الذى يدارى جميع الناس الذين لا بد له منهم ومن معاشرتهم، لا يبالي ما نقص من دنياه، وما انتهك به من عرضه، بعد أن يسلم دينه، فهذا رجل كريم غريب فى زمانه. والمداهن فهو الذى لا يبالي ما نقص من دينه إذا سلمت له دنياه، قد هان عليه ذهاب دينه وانتهاك عرضه، بعد أن تسلم له دنياه، فهذا فعل مغرور فإذا عارضه العاقل فقال: هذا لا يجوز لك فعله قال: ندارى فيكسبوا المداهنه المحرمه اسم المداراه، وهذا غلط كبير من قائله، فاعلم ذلك؟ قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم:

«مداراه الناس صدقه» وقال الحسن عليه السلام :

«المؤمن يدارى ولا يمارى ينشر حكمه الله فإن قيل حمد الله وإن ردت حمد الله تعالى». وقال محمد بن الحنفية رحمه الله: «ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف لمن لا من معاشرته بدا حتى يجعل الله تعالى له منه فرجا» ومخرجا قال محمد بن الحسين: «فمن كان هكذا فهو غريب».

فانظروا كيف يمتدح الرجل المدارى غير المداهن، ولكن مع ذلك عبر عنه بالغريب وهذا واقع عجيب، وهو الحق وإن أكثرهم للحق لكارهون، فهل من مخرج للمكفرين وأتباعهم من هذا الكلام؟

وقال الشعرانى فى العهود المحمديه: (١)

قلت: والمداراه تكون بإسقاط جزء من الدنيا والمداهنه تكون بإسقاط شطر من الدين فالمداراه مستحبه، والمداهنه حرام فى حرام ومكروه فى مكروه. والله أعلم....

وأنا اقول: بل حرام فى حرام وليس «حرام فى حرام ومكروه فى مكروه» أولاً لعدم اجتماع الحرمة والكراهه، وثانياً لأنها إن كانت تسقط شطراً من الدين فلا خير فيها.

ونقل المتقى الهندى فى كنز العمال (٢) عن النزال بن سبره قال:

كنا مع حذيفه فى البيت، فقال له عثمان: ما هذا الذى يبلغنى عنك؟ فقال: ما قلته، فقال عثمان: أنت أصدقهم وأبرهم، فلما خرج قلت له ألم تقل ما قلته؟ قال: بلى ولكنى أشتري دينى ببعضه مخافه أن يذهب كله.

أما قول حذيفه رضوان الله تعالى عليه:

«ولكنى أشتري دينى ببعضه» ليس معناه أنه يسقط قسماً من دينه على نحو المبادل، وإلا فما الفائدة من ذلك وهو صاحب سر رسول الله صلوات الله تعالى عليه وآله، بل كلامه هذا يعنى أنه يشتري دينه بواسطه بعض آخر منه لما جعل به مخرجا ومتنفساً

ص: ٦٢

للمؤمن من بعض ما قد يحتاج إليه وإلا فمع إنكاره التقيه يذهب دينه كله. وهذه الحادثة نقلها السرخسى كما سيأتى مرتين فى كتابه المبسوط ولكن أحدهما تلميحاً وأخرى تصريحاً ونقلتها أيضاً باقى كتب أتباع المذاهب الإسلاميه وسيأتى ذلك ان شاء الله تعالى.

وذكر صاحب مواهب الجليل للرعينى: (١)

وأما لو لم يقر بقبض الثمن، وقال إنما أشهدت له على نفسى بقبضه تقيه على نفسى لا شبهه أن يصدّق فى ذلك مع يمينه فى المعروف بالغصب... .

وفى المبسوط للسرخسى: (٢)

وعن الحسن البصرى رحمه الله التقيه جائزه للمؤمن إلى يوم القيامة إلا أنه كان لا يجعل فى القتل تقيه وبه نأخذ، والتقيه أن يقى نفسه من العقوبه بما أظهره وإن كان يظمر خلافه. وقد كان بعض الناس يأبى ذلك ويقول: إنه من النفاق، والصحيح أن ذلك جائز لقوله تعالى: **إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً** واجراء كلمه الشرك على اللسان مكرها مع طمأنينه القلب بالايمان من باب التقيه وقد بينا أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم رخص فيه لعمار بن ياسر رضى الله عنه الا أن هذا النوع من التقيه يجوز لغير الانبياء والرسل عليهم الصلاه والسلام فأما فى حق المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين فما كان يجوز ذلك فيما يرجع إلى أصل الدعوه إلى الدين الحق وقد جوزه بعض الروافض لعنهم الله.

أقول إلى هذا الرجل لن أرد عليك ترفعاً، ولكن ماذا تقول فى حديث عائشه المذكور عندما استخدمها النبى صلوات الله تعالى عليه وآله وكذلك ماذا يقول عندما أمره ربه ألا يجهر بالدعوه إلى الدين الجديد عندما كانت سريره أليست هذه تقيه؟ الجواب! ثم من قال بأننا نجوزها للأنبياء فى تبليغ الأحكام؟ نعم نفس التقيه حكم من الأحكام فإما أن يعمل بها فى موضع لا ضرر منه أو يبلغها.

وعلى كل حال نسأله سؤالاً واحداً وهو كيف يجوز وقوع السهو والنسيان للأنبياء عليهم السلام ولا تقبل وقوع التقيه منهم؟ على أن كلاهما يوقع فى محاذير نعرض لها فى محلها إن شاء الله تعالى فى أن أيهما يصح أن يقع، فأكمل قائلاً: (ولكن تجوز ذلك محال لأنه يؤدي إلى أن لا يقطع القول بما هو شريعته لاحتمال أن يكون قال ذلك أو فعله تقيه والقول بهذا

ص: ٦٣

١- (١). مواهب الجليل، ٣١١/٧.. الحادثة فيها إطلاق من حيث حصولها بين مسلمين أو مسلم وكافر.

٢- (٢). المبسوط، ٤٥/٢٤، ٤٦، ٤٧.. وقد مر فى ص ٥٠ ما قاله الحسن البصرى، وسيأتى كذلك فى ص ٧٧.

محال وقوله: إلا- أنه كان لا- يجعل فى القتل تقيه يعنى إذا أكره على قتل مسلم ليس له أن يقتله لما فيه من طاعه المخلوق فى معصيه الخالق وإيثار روحه على روح من هو مثله فى الحرمة وذلك لا يجوز وبهذا يتبين عظم حرمة المؤمن لأن الشرك بالله أعظم الاشياء وزرا وأشدّها تحريماً قال الله تعالى: تَكَاذُ السَّمَاوَاتِ يَنْفَطِرُنَ مِنْهُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ، ثم يباح له اجراء كلمه الكفر فى حاله الاكراه ولا يباح الاقدام على القتل فى حاله الاكراه فيه يتبين عظم حرمة المؤمن عند الله تعالى) أقول: لا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم لا يجوز سفك دم المؤمن تقيه فهل يجوز ذلك لأصحاب الجمل وصفين؟

ولنكمل مع هذا العالم الفقيه: (وهو مراد ابن عباس رضى الله عنه إنما التقيه باللسان ليس باليد يعنى القتل والتقيه باللسان هو اجراء كلمه الكفر مكرها وعن حذيفه رضى الله عنه قال: فتنه السوط أشد من فتنه السيف قالوا له: وكيف ذلك قال: إن الرجل ليضرب بالسوط حتى يركب الخشب يعنى الذى يراد صلبه يضرب بالسوط حتى يصعد السلم وإن كان يعلم ما يراد به إذا صعد وفيه دليل أن الإكراه كما يتحقق بالتهديد بالقتل يتحقق بالتهديد بالضرب الذى يخاف منه التلف والمراد بالفتنه العذاب قال الله تعالى: ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ (الذاريات: من الآية ١٤)، وقال الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ فَتِنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ (البروج: من الآية ١٠) - أى عذبوهم - فمعناه عذاب السوط أشد من عذاب السيف لأن الألم فى القتل بالسيف يكون فى ساعته وتوالى الألم فى الضرب بالسوط إلى أن يكون آخر الموت وقد كان حذيفه رضى الله عنه ممن يستعمل التقيه على ما روى أنه يدارى رجلا [يعنى عثمان بن عفان فقد ذكر نفس الحادثه مصرحاً باسمه كما سيأتى فى محل آخر] ف قيل له: إنك منافق فقال: لا ولكنى أشتري دينى بعضه ببعض مخافه أن يذهب كله وقد ابتلى ببعض ذلك فى زمن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم على ما روى: أن المشركين أخذوه واستحلفوه على أن لا- ينصر رسول الله فى غزوه فلما تخلص منهم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم وأخبره بذلك فقال عليه [وعلى آله] الصلاه والسلام:

«أوف لهم بعهدهم ونحن نستعين بالله عليهم».

أقول: انظروا إلى تهمة المنكرين كيف تطابقت مع تهمة الآخرين لحذيفه رضوان الله تعالى عليه حيث قيل له: (فقيل له: إنك منافق)، (فقال: لا).

إلى هنا تمّ بعض المطلوب والآن ينقل لكم قصّه مسروق مع معاويه:

وذكر عن مسروق رحمه الله قال: بعث معاوية... بتمثيل من صفر تباع بأرض الهند فمر بها على مسروق رحمه الله قال: والله لو أني أعلم أنه يقتلني لغرقتها ولكني أخاف أن يعدّ بني فيفتنني والله لا- أدرى أيّ الرجلين معاوية رجل قد زين له سوء عمله أو رجل قد يئس من الآخره فهو يتمتع في الدنيا. وقيل: هذه تمثيل كانت أصيبت في الغنيمه فأمر معاوية... ببيعها بأرض الهند ليتخذ بها الأسلحة والكرع للغزاه فيكون دليلاً- لأبي حنفيه رحمه الله في جواز بيع الصنم والصليب ممن يعبده كما هو طريقه القياس وقد استعظم ذلك مسروق رحمه الله كما هو طريق الاستحسان الذي ذهب إليه أبو يوسف ومحمد رحمهما الله في كراهه ذلك ومسروق من... ولكن مع هذا قول معاوية... مقدم على قوله وقد كانوا في المجتهادات يلحق بعضهم الوعيد بالبعض كما قال على رضى الله عنه من أراد ان يتقحم جرائم جهنم فليقل في الحدّ - يعنى بقول زيد رضى الله عنه - وإنما قلنا هذا لأنه لا- يظن بمسروق رحمه الله أنه قال في معاوية ما قال عن اعتقاد وقد كان هو من كبار الصحابه رضى الله عنهم وكان كاتب الوحي وكان أمير المؤمنين وقد أخبره رسول الله صلى الله عليه وآله] وسلم بالملك بعده فقال له عليه السلام يوماً:

«إذا ملكت أمر أمتي فأحسن إليهم (١)...» إلا أن نوبته كانت بعد انتهاء نوبه (٢) على رضى الله عنه ومضى مده الخلافه فكان هو مخطئاً في مزاحمه على رضى الله عنه تاركاً لما هو واجب عليه من الانقياد له لا يجوز أن يقال فيه أكثر من هذا ويحكى أن أبا بكر محمد بن الفضل رحمه الله كان ينال منه في الابتداء فرأى في منامه كان شعره تدلت من لسانه إلى موضع قدمه فهو يطؤها ويتألم من ذلك ويقطر الدم من لسانه فسأل المعبر عن ذلك فقال إنك تنال من واحد من كبار الصحابه... فإياك ثم إياك.

أقول: على هذا فيكون من قاتل الصحابه أنه يرى في المنام وقد تدلت من أيديه أذنان

ص: ٦٥

١- (١). وقد أحسن إليهم ونفذ تلك الوصيه ولم يخالف رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وأول ذلك محاربه على بن أبى طالب ثم الحسن السبط صلوات الله تعالى عليهما ثم الصحابه...

٢- (٢). والله لا أعلم إن كانت الخلافه في الإسلام طابور الجمعيه أم فلته أم استخلاف من سابق إلى لاحق أم ملك أم اجتماع أهل الحل والعقد؟ ولكن لماذا تكون إحدى زوجات النبي صلوات الله تعالى عليه وآله من أهل الحل والعقد ولماذا فاطمه عليها السلام ليست من أهله؟ ثم وكما يدعى أحد مشايخ الوهابيه في الكويت عدم بيعه فاطمه لأبى بكر سبه عليها و الله إما يعذبها وإما يتوب عليها وزوجته مع أمير المؤمنين على عليه السلام ليست كذلك؟ أنجدونا يا مسلمين.. علماً أنهم نقلوا عن البخارى في كتابي الفتن والأحكام وعن مسلم في كتاب الإمامه وغيرهما ما مضمونه: من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهو جميع فاضربوا عنقه بالسيف، ومن مات وليس في عنقه بيعه لإمام لقي الله يوم القيامه لا- حجه له، ومن مات وليس في عنقه بيعه مات ميتة جاهليه، فهل يتوقف تنفيذ هذه الأحاديث عند الصحابه فلا يشملهم القانون فهم فوقه؟ أم لا؟ لأن الله تعالى ليس عنده أقرباء؟ لماذا ينجو مما تقدم أهل الجمل وصفين وتكون عدم بيعه فاطمه الزهراء سلام الله عليها سبه عليها كما مر؟ ثم هب أنها زوجها عليهما السلام ليسا من أهل البيت أفلم يكونوا من الصحابه؟ ويظهر أن جميعهم يعلم بها فلا يحتاج أحد لتبرير ما وقع بالفتنه وعبد الله بن سبأ وما إلى ذلك من تبريرات لأن الفتنة أشد من القتل والحق واضح جداً ولكن الصنميه مشكله جداً.

خنازير مثلا بعدد من قتلهم وتقطر دما وقيحاً... ونكمل معه حيث قال: (وقد قيل في تأويل الحديث أيضا ان تلك التماثيل كانت صغارا لا تبدو للناظر من بعد ولا بأس باتخاذ... ولكن مسروقا (١) رحمه الله كان يبائع في الاحتياط فلا يجوز اتخاذ شيء من ذلك ولا بيعه ثم كان تغريق ذلك من الأمر بالمعروف عنده وقد ترك ذلك مخافه على نفسه وفيه تبين أنه لا بأس باستعمال التقيه وأنه يرخص له في ترك بعض ما هو فرض عند خوف التلف على نفسه ومقصوده من إيراد الحديث أن يبين أن التعذيب بالسوط يتحقق فيه الإكراه كما يتحقق في القتل لأنه قال: «لو علمت انه يقتلني لأغرقتها ولكن أخاف أن يعذبني فيفتنني»، فتبين بهذا أن فتنه السوط أشد من فتنه السيف. وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: لا جناح على طاعة الظالم إذا أكرهني عليها وإنما أراد بيان جواز التقيه في إجراء كلمه الكفر إذا أكرهه المشرك عليها فالظالم هو الكافر قال الله تعالى: وَ الْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (البقره: من الآيه ٢٥٤) ولم يرد به طاعة الظالم في القتل لأن الاثم على المكره في القتل لا يندفع بعذر الإكراه بل إذا قدم على القتل كان آثما إثم القتل على ما بينه و الله أعلم).

وجاء في قصه حذيفه رضوان الله تعالى عليه مع عثمان ذكر في مبسوطه: (٢)

وذكر عن النزال بن سيده قال جعل حذيفه يحلف لعثمان... على أشياء بالله ما قالها وقد سمعناه يقولها فقلنا له يا أبا عبد الله سمعناك تحلف لعثمان على أشياء ما قلتها وقد سمعناك قلتها فقال: ولكنى أشتري دينى بعضه ببعض مخافه أن يذهب كله، وان حذيفه رضى الله عنه من كبار الصحابه وكان بينه وبين عثمان... بعض المداراه فكان يستعمل معاريض الكلام فيما يخبره به ويحلف له عليه فلما أشكل على السامع سأله عن ذلك فقال: ولكنى أشتري دينى بعضه ببعض، يعنى أستعمل معاريض الكلام على سبيل المداراه أو كأنه كان يحلف ما قالها ويعنى ما قالها في هذا المكان أو في شهر كذا أو... .

أقول فإمّا أن يقبل ابن تيميه أن التقيه مع المسلمين نفاق وأنها لا- تجوز إلا- مع الكفار فهذا حذيفه عليه الرحمه والرضوان استخدمها مع عثمان أو أنها تستخدم مع المسلمين وغيرهم فهو بين خيارين لا ثالث لهما أن يحكم بالنفاق على حذيفه أو بالكفر على عثمان وإن لم يرض لا هذا ولا ذاك فهى من الإيمان.

ونقلت لنا أيضاً مصادر أتباع المذاهب الإسلاميه أنّ أبا الدرداء قال: «إنا لنكشّر في وجوه

ص: ٦٦

١- (١). لماذا لم ير مسروق في منامه أنه ينال من أحد كبار الصحابه مع إنه أيضاً منه نال منه؟

٢- (٢). المبسوط، ٢١٤/٣٠.. ولكن كيف يقال لحذيفه منفاق كما مر وهو صاحب السر؟

قوم وإن قلوبنا لتلعنهم». وهذا أمر يدعو إلى التوقف للتأمل في واقع مجتمع ما بعد النبي صلوات الله تعالى عليه وآله، كيف وصل به الأمر الذي دعا أبا الدرداء أن يتكلم بمثل هذه الطريقة العجيبة، وإلا فما الداعي لمثل هذه النفرة التي بينهم؟ ولماذا يتصرف الصحابة بمثل هذا التصرف مع أقرانهم، ألم يعلموا بأن النبي صلوات الله تعالى عليه وآله قد استوصى بالصحابة خيراً، وأنهم خير من كان ومن سيكون من المسلمين؟ إلا أن يقال بأنهم قد خالفوا وصيه رسولهم فكفّر بعضهم بعضاً، كما نقل الذهبي في كتابه الرواه الثقات المتكلم فيهم بما لا يوجب ردهم! (١). وعلى كل حال فإن المصادر التي تحدثت عن هذا الموقف لأبي الدرداء أكثر من أن ترد. فمنها ما جاء في طبقات المحدثين بأصبهان لعبد الله بن حبان: (٢) «عن أبي الدرداء قال: إنا لنكشّر في وجوه أقوام ونضحك إليهم وإن قلوبنا لتلعنهم...». وقد ورد ذكر ما يقرب من ذلك في مصادر غيرها. (٣)

فتات

أولاً: ما هو حرى أن يُلتفت إليه أن لعن الظالمين والفساقين مسلمين أو غيرهم جائز - كما يظهر من الأدلة السابقة وعلى ما قرر في محله من أن سِيئَةَ الصحابي أحد مناع استنباط الأحكام عند من يرى ذلك، فكذلك فعل حذيفه رضوان الله تعالى عليه - وقد مر ذكر ذلك عندما استدلل أبو حنيفة على جواز بيع لحم الخنزير ممن يستحل أكله - كأهل الكتاب - وبيع الأصنام ممن يستحل عبادتها - كالكفار - عملاً - بسنة الصحابي معاوية حينما بعث من يبيعها كما مر سابقاً عند ذكر كلام السرخسي في المبسوط (٤) وهو عجيب.

ثانياً: العمل بالتقيه من قبل أحد التابعين خوفاً من تعذيب وقتل الصحابي معاوية.

ص: ٦٧

١- (١). الرواه الثقات، ص ٢٣.. حيث صرح الذهبي هناك بتكفير الصحابة بعضهم بعضاً، وطلب السكوت عن ذلك بحجة أنهم لا يمكن التعرض لهم ونقاشهم أما السبب فهو الصحبه فقط وهو عجيب.

٢- (٢). نفس المصدر، ج ٤، ص ٤٧.

٣- (٣). (مداراه الناس ابن أبي الدنيا ٣٦ - الحلم ابن أبي الدنيا ٦٩ - الزهد هناد بن السرى ٥٩٠/٢ - شعب الإيمان البيهقي ٢٦٦/٦ - حليه الأولياء للأصبهاني ٢٢٢/١ - الإحياء الغزالي ١٥٩/٣ - مجمع الأمثال أبو الفضل النيسابوري ٥٩/١ - تغليق التعليق ابن حجر ١٠٢/٤، ١٠٣ - مقدمه فتح الباري ابن حجر ص ١٧٩ - تفسير ابن كثير ٣٥٨/١ - الناسخ والمنسوخ مرعى الكرمي ص ٢١٦ - روح المعاني الألويسي ١٢٢/٣ - مختصر تفسير ابن كثير اختصار الصابوني ص ٢٩٥ - كنز العمال للمتقى الهندي ٤٣٩/٣ - فلك النجاه على محمد فتح الدين الحنفي ٢٥٠ - الإمامه وأهل البيت محمد بيومي مهراڤ ٢١٦/٣، ٢١٧ - إمتاع الأسماع المقريزي ٢١٤/١٠، ٢١٧ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل الزمخشري ١٧٧/٤).

٤- (٤). المبسوط، ٤٥/٢٤، ٤٦، ٤٧.

واسمعوا منه ما كان فى ثواب وغيره... .

فالتقىه إذن كما فى الجوهر النقى أمر جميل واحتياط فى الدين وأخوك دينك فاحتط لدينك فلا يأتى قول من ادعى ظلماً أن التقية كذب.

وجاء فى المحلى لابن حزم: (١) (ويؤيد هذا ما روى المروزي فى الوتر (ص ١٣٣) قلنا: إنما أخبر بذلك أنس عن أمراء عصره، لا عن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، كما سئل عن بعض أمور الحج فأخبر بفعل النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ثم قال: افعل كما يفعل أمراؤك. وهذا من أنس إما تقية، وإما رأى منه، ولا حجه فى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم). أقول: جيد فهو إما تقية من أنس - الصحابي - وإما رأى، والمهم أنه يعمل بها وإلا فلا معنى للترييد، هذا أولاً ويعترف بها المؤلف كمبدأ إسلامي وإلاً لما جعلها ترييداً هنا لأنها ستكون ذماً لصحابي والصحابة فوق المسلمين.

وفى سبل السلام لابن حجر العسقلاني (٢) ذكر الذين رفعوا الصلاة على الآل حقدا عليهم من قبل المعادين لهم فقال:

و كنت سئلت عنه قديما فأجبت: أنه قد صحَّ عند أهل الحديث بلا ريب كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ، وهم رواتها، وكانهم حذفوها خطأ، تقية لما كان فى الدولة الأموية من يكره ذكرهم.

أقول: عجيب أمير المؤمنين وأتباعه يكرهون خير المؤمنين وهم آل محمد صلوات الله تعالى عليه وعليهم ويرفعون الصلاة عليهم - لا- حول ولا- قوه إلا- بالله - أين آل أميه من قوله تعالى: قُلْ لا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجراً إِلَّا المَوْدَّةَ فى القُرْبى (الشورى: من الآيه ٢٣)، ثم أين هم من حديث مسلم وأين هم من بيان كيفية الصلاة عليه وعليهم صلوات الله تعالى عليه وآله؟

نعم ويكمل ابن حجر: (ثم استمر عليه عمل الناس متابعه من الآخر للأول، فلا وجه له، وبسطت هذا الجواب فى حواشى شرح العمده بسطاً شافياً...).

وذكر الشوكاني فى نيل الأوطار (٣) حادثه أخرى عن التقية التى كان المسلمون يمارسونها فى زمن بنى أميه فقال:

ص: ٦٩

١- (١) . المحلى، ١٤٠/٤، ١٤١.

٢- (٢) . سبل السلام، ١٩٣/١.

٣- (٣) . نيل الأوطار، ١٩٤/٥.

وقد أجمع أهل العلم على تحريم نسبته إلى أبي سفيان، (١) وما وقع من أهل العلم في زمان بنى أميه فإنما هو تقيه، وذكر أهل الامهات نسبته إلى أبي سفيان في كتبهم مع كونهم لم يألوهما إلا بعد انقراض عصر بنى أميه محافظه منهم على الالفاظ التي وقعت من الرواه في ذلك الزمان كما هو دأبهم....

وفي الأمر بالذب عن الأعراض جاء في كتب القوم: «ذبوا عن أعراضكم...» أو «المداراه عن العرض صدقه» وكما جاء في كشف الخفاء للعجلوني: (٢) «المداراه عن العرض صدقه. قال النجم كذا يدور على الألسنه ولم أقف عليه بهذا اللفظ، وهو في معنى ما وقى المرء به، ويروى حسنه بدل صدقه». وفي كنز العمال (٣) عن محمد بن مطرف عن ابن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن أبي هريره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«ذبوا بأموالكم عن أعراضكم، قالوا يا رسول الله كيف نذب بأموالنا عن أعراضنا؟ قال: تعطون الشاعر ومن تخافون لسانه» و عن الديلمي (٨٧٥٦- عن الحسين بن غلمان عن هشام بن عروه عن أبيه عن عائشه قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

«ذبوا عن أعراضكم بأموالكم، قالوا كيف نذب عن أعراضنا بأموالنا؟ قال: تعطون الشاعر ومن تخافون لسانه». أقول هذا في الأعراض فكيف في الدماء؟

وفي جواز مداراه الظلمه اتقاء شرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداهنه وقد تكلم ابن تيميه عن هذا الأمر في مجموع الفتاوى: (٤) «سقط الأمر بفعل هذه الحسنه وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف...» وكذا في مصادر أخرى. (٥) وفي الجامع لأخلاق الراوى وآداب السامع للخطيب البغدادي (٦) سمعت أبا يوسف القاضى يقول «خمسه يجب على الناس مداراتهم الملك المتسلط والقاضى المتأول...». (٧) وفي شرح الزرقانى: (٨) «غيبه المعلن بالفسق أو الفحش ونحو ذلك مع جواز مداراتهم اتقاء لشرهم ما لم يؤد ذلك إلى المداهنه...». وفي

ص: ٧٠

١- (١). يعنى زياد بن أبيه.

٢- (٢). كشف الخفاء، ٢/٢٩٦ ح ٢٧٠٤.

٣- (٣). كنز العمال، ٣/٧٨٦ ح ٨٧٥٥.

٤- (٤). مجموع الفتاوى، ٢٨/٢١٢.

٥- (٥). شعب الإيمان البيهقى ٦/٣٥١- عون المعبود محمد آبادى ١٣/١٠٣.

٦- (٦). آداب السامع، ١/٢٢٢.

٧- (٧). مطلقاً سواء أكانوا مسلمين أم كفاراً.

٨- (٨). شرح الزرقانى، ٤/٣١٨.

الفروع لابن مفلح (١) قال: «سمعت القاضي أبا يوسف يقول خمسة تجب على الناس مداراتهم الملك المسلط والقاضي المتأول...». أنظر إلى كتب ورسائل وفتاوى لابن تيميه فى الفقه: (٢) «سقط الأمر بفعل هذه الحسنه وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف». وقال صاحب الفتوحات المكيه: (٣) «ولياً تلقى إليه بالموده فإن اضطررك ضعف يقين إلى مداراتهم فدارهم من غير أن تلقى إليهم بموده...». وقال: (٤) «الحيره من سوء عشرتهم وطلبت راحه نفسى من مقاساه مداراتهم وقبيح فعالهم وجعلت معاملتى مع ربى». وقال ابن أبى الدنيا فى قرى الضيف: (٥) «وربما أغنت المداراه عن المباراه».

وفى اتقاء فحش الفحاش أيضاً جاء فى مجموع الفتاوى لابن تيميه: (٦) «فى الفجره الظلمه الذين ودعهم الناس اتقاء شرهم وفحشهم فإن لهم سيما من شر يعرفون بها...»، وكذا فى كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه فى التفسير: (٧) «فى الفجره الظلمه الذين ودعهم الناس اتقاء شرهم وفحشهم فإن لهم سيما من شر يعرفون بها...» وقال كذلك: (٨) «الفجره الظلمه الذين ودعهم الناس اتقاء شرهم وفحشهم فإن لهم سيما من شر يعرفون بها وكذلك الفسقه»، لو سألتنا ممن كان هؤلاء الفجره والظلمه هل هم من المسلمين أم من غيرهم؟

وجاء كذلك «إن من شر الناس من توقاه الناس اتقاء فحشه». (٩)

ص: ٧١

- ١- (١) . الفروع، ٥/ ٢٦٠.
- ٢- (٢) . رسائل فى الفقه، ١٠/ ٢١٢.
- ٣- (٣) . الفتوحات المكيه، ٤/ ٤٤٩.
- ٤- (٤) . نفس المصدر، ص ٥١١.
- ٥- (٥) . قرى الضيف، ٤/ ٣٤٩.
- ٦- (٦) . مجموع الفتاوى، ١٦/ ٦٩.
- ٧- (٧) . مجموع الفتاوى، ٥/ ٦٩.
- ٨- (٨) . نفس المصدر، ص ٩٢ منه.
- ٩- (٩) . كما فى (إعلام الموقعين ابن قيم الجوزيه ٤/ ٤٠٥- الكبائر الذهبى ١٠/ ٢١٠- مداراه الناس بن أبى الدنيا ٣٣- الشمال للمحمديه الترمذى ٢٨٩- جزء ابن عيينه سفيان بن عيينه ٤٩- الأدب المفرد البخارى ٤٤٤- شعب الإيمان البيهقى ٦/ ٢٦٦- الإحياء الغزالي ٢/ ٢٠٧- تهذيب الأسماء النووى ٣/ ٣٦٣- غوامض الأسماء المبهمه ابن بشكوال ١/ ٣٣١- كشف الخفاء العجلونى ١/ ٤٨١- ج ٢/ ٢١٠- الكفايه فى علم الروايه الخطيب البغدادي ٣٩/ ٣٩- البيان والتعريف ابن حمزه الحسينى ١/ ٢٣٧- التمهيد ابن عبد البر ٢٤١/ ٢٤١- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب المقرئ التلمساني ٥/ ١٢٢- النجوم الزاهره أبوالمحسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ١٤/ ٣٢٠- بدائع السلك الأزرق ٢/ ١٥- روح المعانى الألوسى ٣/ ١٢٢- السيره الحلبيه ٢/ ٥٨٢- الخصائص الكبرى السيوطى ٢/ ١١٦- التخويف من النار ابن رجب الحنبلى ٢/ ٢٠٤- تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقى ٢/ ٨١- كنز العمال للمتقى الهندى ٣/ ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٣- زياده الجامع الصغير للسيوطى ص ٤٥٧- إمتاع الأسماع المقرئى ٢/ ٢٤٥ و ١٠/ ٢١٤ (مرتين)، ص ٢١٦ (مرتين).

وما فى معنى (التقىه دىنى...) عند أتباع المذاهب، فقد جاء فى آثارهم فى قبال ما ورد عندنا فأثرت ضد مدرسه أهل البيت الأطهار عليهم السلام صلوات الله تعالى عليهم أجمعين الزوائج أنه صلوات الله تعالى عليه وآله قال:

«رأس العقل بعد الإيمان بالله المداراه» وفى لفظ آخر «مداراه الناس»، أو (التودد) أو (التحبب) (إلى الناس)، فى فى القدير شرح الجامع الصغیر المناوى: (١) «رأس العقل المداراه» قال ابن الأثير غير مهموز ملاينه الناس وحسن صحبتهم واحتمالهم لئلا ينفروا عنك أو يؤذوك وقد يهزم، ومن ثم قيل: «اتق معاداه الرجال فإنك لا تعدم مكر حليم أو مفاجأه لئيم وينبغى الاعتناء بمداراه العدو أكثر...». (٢) ثم قال:

قال الماوردى لكن ينبغى مع تألفه أن لا يكون له راکناً و به واثقاً بل يكون منه على حذر ومن مكره على تحرز فإن العداوه إذا استحکمت فى الطباع صارت طبعاً لا يستحيل وجبله لا تزول وإنما يستكف بالتأليف إظهارها ويستدفع به إضرارها كالنار يستدفع بالماء إحراقها وإن كانت محرقةً بطبع لا يزول وجوهر لا يبید وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة. قال ابن الأثير روى عن ابن عباس فى معناه أتى أصحاب المعروف فى الدنيا يوم القيامة لهم معروفهم وتبقى حسناتهم جامعه فيعطونها فإن زادت سيئاته على حسناته فيغفر له ويدخله الجنة فيجتمع لهم الإحسان إلى الناس فى الدنيا والآخرة وفيه أن المداراه محثوث عليها أى ما لم تؤد إلى تلم دين وإزراء بمروءه كما فى الكشاف... .

وقد جاء هذا الكلام يفسر لنا هذا المعنى على غرار ما يرونه فى ما نقل فى موسوعاتنا الحديثيه؟ أليس معنى (رأس العقل بعد الإيمان بالله المداراه) على تفسيرهم أنها أهم من النبوه والمعاد والقرآن والصيام والصلاه والزكاه... إلخ. (٣)

وذكروا فيما ورد أن: «من عاش مداريا مات شهيدا»، و «قوا بأموالكم أعراضكم وليصانع

ص: ٧٢

١- (١). فى فى القدير، ٣/٤ ح ٤٣٦٨.

٢- (٢). إذن مع الموافق تتقى المعاداه ومع العدو أشد وهذا ما نقوله.

٣- (٣). (مداراه الناس ابن أبى الدنيا ٢٣، ٤٣- الإخوان ابن أبى الدنيا ١٩٣- الزهد هناد بن السرى ٥٩٠/٢- العقل وفضله ابن أبى الدنيا ٤١، ٤٥- قضاء الحوائج ابن أبى الدنيا ٣٢- المتحابين فى الله ابن قدامه ٩٠- شعب الإيمان البيهقى ٢٥٥/٦، ٣٤٤، ٣٤٤، ٥٠٠، ٥٠١- حليه الأولياء الأصبهاني ٢٠٣/٣- ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب الثعالبي ٣٢٤- فصل المقال فى شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكرى ٢٣٨- البيان والتبيين الجاحظ ٢٢٣، ٤٩١- مجمع الأمثال أبو الفضل النيسابورى ٣٤٦/٢- العلل المتناهيه ابن الجوزى ٧٣٠/٢، ٧٣١- كشف الخفاء العجلونى ١٧٢/١، ١٨٠، ٥٠٧/٢-٤٦١- العلل الوارده فى الأحاديث النبويه الدارقطنى ٣٠٥/٧- العلل ومعرفة الرجال ابن حنبل ٢٨٣/٢- المنهج المسلوك فى سياسه الملوك عبد الرحمن الشيرزى ٤٧٩، ١٢٢- كنز العمال للمتقى الهندى ٣/٦ و ٢٣٥ و ٣/٩ و ٣/١٥ و ٤٨٦- زياده الجامع الصغیر للسيوطى ٥١٩- إمتاع الأسماع المقرئى ١٠/٢١٤).

أحدكم بلسانه عن دينه». (١)

وعندها ترى بأنه إذا ورد مثل هذا الحديث بهذا الكم في مصادرهم - هذا مما تحت يدي وإلا فمما ليس في حيازتي وما خفي كان أكثر وأعظم والله العالم - فلا يعنى بما ورد في تضعيفها في كتب من هنا وهناك.

وجاء أيضاً: «بعث بمداراه الناس» وعلى تفسيرهم - إن تم قبوله - «أن المداراه أهم حتى من التوحيد نفسه». (٢)

ونقل عنه صلوات الله تعالى عليه وآله وسلم في الفواكه للدواني النفاوى: (٣) «أمرت بمداراه الناس كما أمرت بالفرائض فهي صدعه وفي ولما قدم أنه لا إثم في هجران المتبدع وذى الكبائر المجاهر بها ذكر...». وجاء في مصادر أهل المذاهب: «المداراه عن العرض صدقه». (٤)

أصل حديثين

أما الحديث الأول فقد جاء في كتب القوم: (٥) عن أم سلمة قالت: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يكون عليكم أئمة فتعرفون حقهم وتنكرون فمن أنكروا فقد نجا ومن كرهه فقد سلم ولكن من رضى وتابع قال فقيل: يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا». و (عن مسلم بن قرظ و كان ابن عم عوف بن مالك قال: سمعت عوف بن مالك يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

خيار ائمتكم من تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار ائمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم قال: قلنا: يا رسول الله أفلا ننايذهم عند ذلك؟ قال: لا ما أقاموا الصلاة ألا ومن ولى عليه وال فرآه يأتى شيئا من معصية الله فليكره ما يأتى من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعه، و (عن زيد بن وهب عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«إنها ستكون أثره وفتن وأمر تنكرونها فقالوا: فما تأمر من أدرك ذلك منا يا رسول الله قال تؤدون الحق الذى عليكم وتسألون الله الذى لكم». (٦)

ص: ٧٣

١- (١). روح المعانى للآلوسى ١٢٢/٣ - كنز العمال للمتقى الهندي ٢٣٦/٣، ٢٠٣/٦.

٢- (٢). ورد في (شعب الإيمان البيهقي ٣٥١/٦ - كشف الخفاء العجلوني ٣٤١/١ - كنز العمال للمتقى الهندي ٢٣٥/٣).

٣- (٣). ٢٩٥/٢.

٤- (٤). كما في كشف الخفاء العجلوني ٢٧٣/١ و ٣٩١/٢.

٥- (٥). راجع ملحق المصادر تحت عنوان حديث: يكون عليكم أئمة، ص ٢١٩.

٦- (٦). وكذا في المصادر: مسند ابن المبارك ١٤٨ - مسند أبي داود الطيالسي ٢٢٣ - رياض الصالحين يحيى بن شرف

وأما الحديث الثانى: فهو قوله صلوات الله تعالى عليه وآله:

«من رأى منكم منكراً؟ أفلا يتدبر فى أمر هذا الحديث؟ أفلا يكون قوله صلوات الله تعالى عليه وآله (فمن لم يستطع) فيتحول إلى المرتبه الأدنى إلا عن أحد أوجه أو أسباب منها التقيّه؟

وتوهم إشكال أضعف الإيمان لا يرد عندما تَجِبُ هى بذاتها فتأمل. (١)

وفى أحكام القرآن للجصاص ٢ قال: لأن النبى صلى الله عليه وآله قال: فليغيره بلسانه فإن لم يستطع فليغيره بقلبه وقوله صلى الله عليه وآله فإن لم يستطع قد فهم منه أنهم إذا لم يزولوا عن المنكر فعليه إنكاره بقلبه سواء كان فى تقيه أو لم يكن لأن قوله إن لم يستطع معناه أنه لا- يمكنه إزالته بالقول فأباح له السكوت فى هذه الحال وقد روى عن ابن مسعود فى قوله تعالى عليكم أنفسكم لا- يضركم من ضلّ إذا هتديتم مَرُ بالمعروف وانه عن المنكر ما قبل منك فإذا لم يقبل منك فعليكَ نفسك... وجاء فيه كذلك ٣ فى تأويل الآيه الكريمة: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ (المائدة: من الآيه ١٠٥): وهذا أيضاً على معنى الحديث الأول فى الاختصار على إنكار المنكر بالقلب دون اليد واللسان للتقيه والخوف على النفس. ولعمري أن أيام عبد الملك ٤ والحجاج والوليد وأضرابهم كانت من الأيام التى سقط

ص: ٧٤

١- (١). وتوضيح الإشكال: أن التقيه تكون أضعف الإيمان فدين الأئمه أضعف الإيمان لقولهم: (التقيه دينى..). الحديث.. ورده واضح كما مر. وعليك أن تبحث فى الوسوعات الفقهيّه لأتباع المذاهب فى شرائط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فتابع هناك واحكم على الفقهاء بالأمر بالكتمان.

فيها فرض الإنكار عليهم بالقول واليد لتعذر ذلك والخوف على النفس. وقد حكى أن الحجاج لما مات قال الحسن: اللهم أنت أمته فاقطع عنا سنته فإنه أتاناً أخيفش أعيمش يمد بيد قصيره البنان والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله عز وجل برجل جمته ويخطر في مشيته ويصعد المنبر فيهدر حتى تفوته الصلاة لا- من الله يتقى ولا- من الناس يستحي فوجه الله وتحتة مائه ألف أو يزيدون لا- يقول له قائل الصلاة أيها الرجل ثم قال الحسن هيهات والله حال دون ذلك السيف والسوط وقال عبد الملك بن عمير خرج الحجاج يوم الجمعة بالهاجرة فما زال يعبر مره عن أهل الشام يمدحهم ومره عن أهل العراق يذمهم حتى لم نر من الشمس إلا حمرة على شرف المسجد ثم أمر المؤذن فأذن فصلى بنا الجمعة ثم أذن فصلى بنا العصر ثم أذن فصلى بنا المغرب فجمع بين الصلوات يومئذ، فهؤلاء السلف كانوا معذورين في ذلك الوقت في ترك النكير باليد واللسان، وقد كان فقهاء التابعين وقراؤهم خرجوا عليه مع ابن الأشعث إنكاراً منهم لكفره وظلمه وجوره فجرت بينهم تلك الحروب المشهورة وقتل منهم من قتل ووطئهم بأهل الشام (1) حتى لم يبق أحد ينكر عليه شيئاً يأتيه إلا بقلبه، وقد روى ابن مسعود في ذلك ما حدثنا جعفر بن محمد قال حدثنا جعفر بن محمد بن اليمان قال حدثنا أبو عبيد قال حدثنا حجاج عن أبي جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عن أبي العالیه عن عبد الله بن مسعود أنه ذكر عنده هذه الآية: عَلَيكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ (المائدة: من الآية ١٠٥) فقال: لم يجئ تأويلها بعد إن القرآن أنزل حين أنزل ومنه آى قد مضى تأويلهن قبل أن ينزلن وكان منه آى وقع تأويلهن على عهد النبي صلى الله عليه وآله ومنه آى وقع تأويلهن بعد النبي صلى الله عليه وآله بيسير ومنه آى يقع تأويلهن بعد اليوم ومنه آى يقع تأويلهن عند الساعة، ومنه آى يقع تأويلهن يوم الحساب من الجنة والنار، قال فما دامت قلوبكم واحدة، وأهواؤكم واحدة، ولم تلبسوا شيعاً، ولم يذق بعضكم بأس بعض، فأمروا بالمعروف وانها عن المنكر، فإذا اختلفت القلوب والأهواء ولبستم شيعاً وذاق بعضكم بأس بعض، فأمرأ ونفسه، عند ذلك جاء تأويل هذه الآية قال أبو بكر يعنى عبد الله بقوله لم يجئ تأويلها بعد إن الناس فى عصره كانوا ممكنين من تغيير المنكر لصالح السلطان والعامه وغلبه الأبرار للفجار فلم يكن أحد

ص: ٧٥

١- (١). فإن كانوا حكموا على الحجاج بالكفر فهل كان أهل الشام الذين استعان بهم عليهم كفاراً؟ أم كان من لا يرضى على الحجاج كافراً؟ أم عمل أهل الشام بالتقيه فقاتلوا معه؟ وهل يحل ذلك؟

منهم معذورا في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان ثم إذا جاء حال التقيه وترك القبول وغلبه الفجار سوغ السكوت في تلك الحال مع الإنكار بالقلب وقد يسع السكوت أيضا في الحال التي قد علم فاعل المنكر أنه يفعل محظورا ولا يمكن الإنكار باليد ويغلب في الظن بأنه لا يقبل إذا قتل فحينئذ يسع السكوت... وكذلك قال: ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر فيه كقبض على الجمر للعامل فيها مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله قال وزادني غيره قال يا رسول الله أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منكم وهذه دلالة فيه على سقوط فرض الأمر بالمعروف إذا كانت الحال ما ذكر لأن ذكر تلك الحال تنبئ عن تعذر تغيير المنكر باليد واللسان لشيوع الفساد وغلبته على العامة وفرض النهي عن المنكر في مثل هذه الحال إنكاره بالقلب كما قال عليه السلام فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه فكذلك إذا صارت الحال إلى ما ذكر كان فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقلب للتقيه ولتعذر تغييره وقد يجوز إخفاء الإيمان وترك إظهاره تقيه بعد أن يكون مطمئن القلب بالإيمان قال الله تعالى إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ فَهَذِهِ مَنْزِلَةُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ... وفيه أيضا: (1) فأمر الله نبيه بالإعراض عن الذين يخوضون في آيات الله وهي القرآن بالكذب وإظهار الاستخفاف إعراضاً يقتضى الإنكار عليهم وإظهار الكراهة لما يكون منهم إلى أن يتركوا ذلك ويخوضوا في حديث غيره وهذا يدل على أن علينا ترك مجالسه الملحدين وسائر الكفار عند إظهارهم الكفر والشرك وما لا يجوز على الله تعالى إذا لم يمكننا إنكاره وكنا في تقيه من تغييره باليد أو اللسان لأن علينا اتباع النبي صلى الله عليه وآله فيما أمره الله به إلا أن تقوم الدلالة على أنه مخصوص بشيء منه قوله تعالى: وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ (الأنعام: من الآية ٦٨)، المراد إن أنساك الشيطان ببعض الشغل فقعدت معهم وأنت ناس للنهي فلا شيء عليك في تلك الحال ثم قال تعالى: فَلَا تَقْعُدُوا بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ يعني بعد ما تذكر نهى الله تعالى لا- تقعد مع الظالمين وذلك عموم في النهي عن مجالسه سائر الظالمين من أهل الشرك وأهل الملة لوقوع الاسم عليهم جميعا وذلك إذا كان في تقيه من تغييره بيده أو بلسانه بعد قيام الحجة على الظالمين بقبح ما هم عليه فغير جائز لأحد مجالستهم مع ترك النكير سواء كانوا مظهرين

ص: ٧٦

فى تلك الحال للظلم والقبائح أو غير مظهرين له لأن النهى عام عن مجالسه الظالمين لأن فى مجالستهم مختاراً مع ترك النكير دلالة على الرضا بفعلهم.

وفى شمول الكافر وغيره ممن يسير المؤمن فيهم بالتقيه جاء:

«بئس القوم يمشى المؤمن فيهم بالتقيه والكتمان»، (١) لا يقال إن ذلك مقيد بالكافر لأنه لم يرد نص يستفاد منه ذلك.

وورد فى تاريخ يعقوبى: (٢)

وقال إن الله تعالى يقول ويل للذين يختلون الدنيا بالدين وويل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقيه إياى يغرون أم على يجترئون فى حلفت لأتحن لهم فتنه تترك الحليم منهم حيران.

وفى روح المعانى: (٣) عن الحسن أنه قال:

«التقيه جائزه إلى يوم القيامة»، والثانى حمل التقيه ظاهرها وكونها جائزه إنما هو على التفصيل الذى ذكرناه. ومن الناس من أوجب نوعاً من التقيه خاصاً بخواص المؤمنين وهو حفظ الأسرار الإلهية عن الإفشاء للأغيار الموجب لمفاسد كليه فتراهم متى سئلوا عن سر أبهموه وتكلموا بكلام لو عرض على العامه بل على علمائهم ما فهموه وأفرغوه بقوالب لا يفهم المراد منها إلا من حسى من كأسهم أو تعطرت أرجاء فؤاده من عبير عنبر أنفاسهم وهذا وإن ترتب عليه ضلال كثير من الناس وانجر إلى الطعن بأولئك الساده الأكياس حتى رمى الكثير منهم بالزندقه وأفتى بقتلهم من سمع كلامهم وما حققه إلا أنهم رأوا هذا دون ما يترتب على الإفشاء من المفاسد التى تعم الأرض.

وفى شرح قصيده ابن القيم ابن الجوزيه (٤) ذكر الأمدى:

هو أبو الحسن على بن على بن محمد بن سالم الثعلبى سيف الدين ولد بآمد سنة ٥٥١ قرأ على مشايخ بلده القراءات وحفظ كتاباً على مذهب أحمد بن حنبل وبقى على ذلك مده فكان فى أول اشتغاله حنبلى المذهب انتقل إلى مذهب الشافعى ثم رحل إلى العراق وأقام فى الطلب مده ببغداد وحصل علم الجدل والخلاف والمناظره ثم انتقل إلى الشام واشتغل بفنون المعقول وحفظ منه الكثير وتمهر فيه ولم يكن فى زمانه أحفظ منه لهذه العلوم وصنف فى أصول الدين والمنطق

ص: ٧٧

١- (١). الفردوس بمأثور الخطاب إلكيا ٢/٢٣، كتر العمال للمتقى الهندى ٥/١٦.

٢- (٢). تاريخ يعقوبى، ١٠١/٢.

٣- (٣). روح المعانى، الآلوسى ٣/١٢٥، كما ورد قول الحسن البصرى هذا فى تغليق التعليق ابن حجر ٤/٢٦١، معانى القرآن النحاس ١/٣٨٣. وهنا فى ص ٥٠، ٦٣.

٤- (٤). شرح قصيده ابن قيم الجوزيه، ١٩٤/٢.

والحكمه والخلاف وكل تصانيفه مفيده وكان قد أخذ علوم الأوائل من نصارى الكرخ ويهودها فاتهم لذلك فى عقيدته ففر إلى مصر خوفاً من الفقهاء سنة ٥٩٣ وناظر بها وحاضر وأظهر تصانيف فى علوم الأوائل تعصبوا عليه فخرج من القاهره مستخفياً (١) ثم استوطن حماه أو دمشق وتولى بها التدريس ومات فيها سنة ٦٣١.

وفى إغاثه اللهفان قال ابن قيم الجوزيه: (٢)

فرواه الترمذى عنه قال: قال رسول الله [صلى الله تعالى عليه وآله]: إذا اتخذ الفىء دَوْلًا والأمانه مغنمًا والزكاه مغرمًا وتعلم العلم لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه وظهرت الأصوات فى المساجد وساد القبيله فاسقهم وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافه شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمر ولعن آخر هذه الأمه أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وزلزله وخسفاً ومسحاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام بال قطع سلكه فتتابع قال الترمذى: هذا حديث حسن غريب و قال رسول الله [صلى الله تعالى عليه وآله]: يمسح قوم من هذه الأمه فى آخر الزمان قردهً وخنازير قالوا: يا رسول الله أليس يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قال: بلى ويصومون ويصلون ويحجون قيل: فما بالهم قال: اتخذوا المعازف والدفوف والقينات، فباتوا على شربهم ولهوهم فأصبحوا وقد مسحوا قرده وخنازير وأما حديث أبى أمامه الباهلى فهو فى مسند أحمد والترمذى عنه عن النبى قال: بيت طائفه من أمتى على أكل وشرب ولهو ولعب ثم يصبجون قرده وخنازير ويبعث على أحياء من أحيائهم ريح فينسفهم كما نسف من كان قبلكم باستحلالهم الخمر وضربهم بالدفوف واتخاذهم القينات... وعن على عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [صلى الله تعالى عليه وآله]: إذا عملت أمتى خمس عشره خصله حل بها البلاه قيل: يا رسول الله: وما هن قال إذا كان المغنم دَوْلًا والأمانه مغنمًا والزكاه مغرمًا وأطاع الرجل زوجته وعق أمه وبر صديقه وجفا أباه وارتفعت الأصوات فى المساجد وكان زعيم القوم أرذلهم وأكرم الرجل مخافه شره وشربت الخمر ولبس الحرير واتخذت القيان ولعن آخر هذه الأمه أولها فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً ومسحاً... .

وفى الفتاوى الكبرى لابن تيميه (٣) قال: وقد قال نصر بن حاجب: سئل سفيان بن عيينه عن الرجل يعتذر إلى أخيه من الشىء الذى قد فعله ويحرف القول فيه ليرضيه أياثم فى ذلك قال: ألم تسمع إلى قوله: ليس بكاذب من أصلح بين الناس فكذب فيه فإذا أصلح بينه وبين أخيه

ص: ٧٨

١- (١) . ففعله هذا إما كتمان أو نفاق أو تقيه.

٢- (٢) . إغاثه اللهفان، ٢٦٢/١-٢٦٥.

٣- (٣) . الفتاوى الكبرى، ٢١٢/٣.

المسلم خير من أن يصلح بين الناس بعضهم فى بعض وذلك أنه أراد به مرضاه الله وكراهه أذى المؤمن ويندم على ما كان منه ويدفع شره عن نفسه ولا يريد بالكذب اتخاذ المنزله عندهم ولا لطمع شىء يصيب منهم فإنه لم يرخص فى ذلك ورخص له إذا كره موجودتهم وخاف عداوتهم. قال حذيفه: إنى أشتري دينى ببعضه ببعضه مخافه أن أتقدم على ما هو أعظم منه وكره أيضا أن يتغير قلبه عليه... .

وقال ابن تيميه: (١) وقال أبو داود: سمعت أحمد وذكر الحيل من أصحاب الرأى (٢) فقال: يحتالون لنقض سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا كثير فى كلام أهل ذلك العصر فعلم أن الرأى المذموم يندرج فيه الحيل وهو المطلوب... النبى صلى الله عليه وسلم [صلى الله تعالى عليه وآله] أول ما يفقد من الدين الأمانه وآخر ما يفقد منه الصلاه (وحدیث عن رفع الأمانه من القلوب الحدیث المشهور وقال: خير القرون القرن الذى بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم فذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثه ثم ذكر أن بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وهذه أحاديث صحيحه مشهوره ومعلوم أن العمل بالحيل يفتح باب الخيانه والكذب فإن كثيرا من الحيل لا يتم إلا أن يتفق الرجلان على عقد يظهر أنه ومقصودهما أمر آخر كما ذكرنا فى التمليك للوقف وكما فى الحيل الربويه وحيل المناكح وذلك الذى اتفقا عليه إن لزم الوفاء به كان العقد فاسدا وإن لم يلزم فقد جوزت الخيانه والكذب فى المعاملات ولهذا لا يطمئن القلب إلى من يستحل الحيل خوفا من مكره وإظهاره ما يبطن خلافه وفى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: المؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم والمحتال غير مأمون وفى حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم [صلى الله تعالى عليه وآله] قال لعبد الله بن عمر الجواب كيف بك يا عبد الله إذا بقيت فى حثاله من الناس قد مرجت وعهودهم وأمانتهم واختلفوا فصاروا هكذا وشبكتك بين أصابعه قال: فكيف أفعل يا رسول الله قال: تأخذ ما تعرف وتدع ما تنكر وتقبل على خاصتك وتدعهم وأعوانهم وهو حديث صحيح وهو فى بعض نسخ البخارى والحيل توجب مرج العهود والأمانات وهو قلقها

ص: ٧٩

١- (١). فى الفتاوى الكبرى ٢٣٣/٣.

٢- (٢). أصحاب الرأى أنت تعرفهم، والمهم أنهم ليسوا من الشيعة الذين يصفهم ابن تيميه بالروافض أى الكفرة على ما يذهب هو إليه.

واضطرابها فإن الرجل إذا سوغ له من يعاهد عهداً ثم لا يفى به أو أن يؤتمن على شيء فيأخذ بعضه بنوع تأويل ارتفعت الثقة به وأمثاله ولم يؤمن في كثير من الأشياء أن يكون كذلك، ومن تأمل حيل أهل الديوان وولاه الأمور، التي استحلوا بها المحارم، ودخلوا بها في الغلول والخيانة، ولم يبق لهم معها عهد ولا- أمانه، علم يقينا أن الاحتيال والتأويلات أوجب عظم ذلك وعلم خروج أهل الحيل... وأيضاً: (١) سئل عن رجل له زوجة فحلف أبوها أنه ما يخليها معه وضربها وقال لها أبوها: إبريه فأبرأته وطلقها طلقه ثم ادعت أنها لم تبره إلا خوفاً من أبيها فهل تقع على الزوجة الطلقه أم لا؟ فكان جوابه: أنه إن كانت أبرأته مكرهه بغير حق لم يصح الإبراء (٢)....

وقال صاحب العقود الدرية: (٣) لكن لما سبق الوعد الكريم منكم بإنفاذ فهرست مصنفات الشيخ رضى الله عنه وتأخر ذلك عنى اعتقدت أن الإضراب عن ذلك نوع تقيه أو لعذر لا يسعنى السؤال عنه فسكت عن الطلب خشية أن يلحق أحدا ضرر والعياذ بالله بسببى لما كان قد اشتهر من تلك الأحوال فان أنعمتم بشيء من مصنفات الشيخ رحمه الله تعالى كانت لكم الحسنه عند الله تعالى علينا....

وفى الاستقامه (٤) تحدث عن حديث روى عن النبي ص [صلى الله تعالى عليه وآله]: إذا اتخذ المال دولا والأمانه مغنماً والزكاه مغرمًا وتفقه لغير الدين وأطاع الرجل امرأته وعق أمه وأدنى صديقه وأقصى أباه ورفعت الأصوات فى المساجد وأكرم الرجل مخافه شره وساد القبيله فاسقها وكان زعيم القوم أزدلهم فلينتظروا عند ذلك ريحا حمراء وفتنا تتابع كنظام بال قطع سلكه ففتابع....

وفى السنه لعبد الله بن أحمد: (٥) عن عمر بن حماد بن أبى حنيفه قال أخبرنى أبى حماد بن أبى حنيفه قال أرسل ابن أبى ليلى إلى أبى فقال له تب مما تقول فى القرآن أنه مخلوق وإلا أقدمت عليك بما تكره قال فتابعه قلت يا أبه كيف فعلت ذا قال يا بنى خفت أن يقدم على فأعطيت تقيه. (٦)

ص: ٨٠

- ١- (١) . الفتاوى الكبرى ابن تيميه ١٣٠/٤.
- ٢- (٢) . بالطبع أخذت منه موضع الحاجه وهو أنها فى حاله الإكراه لا يصح ذلك فإن لم تكن فى حال تقيه فلم فعلت فهل هذا تعطيل للحكم فهو كتمان أم نفاق؟
- ٣- (٣) . العقود الدرية، ابن عبد الهادى/٥٢١.
- ٤- (٤) . الإستقامه، ابن تيميه ٦٦/١.
- ٥- (٥) . السنه، ١٨٣/١.
- ٦- (٦) . صحيح أن القائل بالقدم يرى أن الذى يقول بالحدوث كافراً ولكن يبقى العامل بينهم بالتقيه يرى أنهم مسلمون.

وفى التقيّه من السلطان راجع ما جاء فى السنن المأثوره الشافعى، (١) هذا وكل ما جاء فى كتب التاريخ تحت ماده (خوفاً وخشيّه مخافه وخاف) (٢) وكل ما فى هذا المعنى.

ونقلوا فى كتبهم عن على عليه السلام (٣) أنه قال: (لا دين لمن لا تقيه له)... .

وفى طبقات الحفاظ للسيوطى: (٤) البزاز أبو عثمان نزيل بغداد روى عن عبد العزيز بن الماجشون وفضيل بن مرزوق ومبارك بن فضاله والليث وخلق وعنه أحمد وابنه والبخارى وابن معين وأبو داود والذهلى والدارمى وأبو زرعه وخلق قال أحمد كان صاحب تصحيف وكان ممن أجاب فى المحنه تقيه قيل له بعد ما انصرف من المحنه ما فعلتم قال كفرنا ورجعنا. (٥)

وفى تغليق التعليق ابن حجر: (٦) أن ابن عباس أنه لم ير طلاق المكره شيئاً وأما قول ابن عمر وابن الزبير فقال البيهقى أنا أبو الحسين بن الفضل أنا عبد الله بن جعفر ثنا يعقوب بن سفيان ثنا الحميدى ثنا سفيان سمعت عمرا يقول حدثنى ثابت الأعرج قال تزوجت أم ولد عبد الرحمن ابن زيد بن الخطاب فدعاني ابنه ودعا غلامين له فربطونى وضربونى بالسياط وقال له لتطلقها وضربونى بالسياط وقال لتطلقها أو لنفعلن ولنفعلن وطلقها ثم سألت ابن عمر وابن الزبير فلم يريا شيئاً رواه عبد الرزاق فى مصنفه عن عبيد الله بن عمر عن ثابت نحوه وعن ابن عيينه عن يحيى بن سعيد عن ثابت نحوه، وأما قول الشعبى فقال عبد الرزاق فى مصنفه عن الثورى وابن عيينه عن زكريا عن الشعبى قال إن أكرهه للصوص فليس بطلاق وإن أكرهه السلطان فهو جائز قال ابن عيينه يقولون إن اللص يقدم على قتله وإن السلطان لا يقتله. (٧)

وفى بغيه الطلب فى تاريخ حلب لابن العديم: (٨) قال فأما أهل البلد وأولاد المجاهدين وأولاد الغلمان وأولاد خراسان فكانوا من الأخلاق السمحه والنفوس الكريمة والهمم العاليه

ص: ٨١

١- (١). السنن المأثوره، ص ١٤٥. المنتظم (حتى ٥٧٥٢هـ-) لابن الجوزى ٦٠/٨-٢١٩/١١.

٢- (٢). النجوم الزاهره أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ١٢١/١، وفى ٣٧٢/٥ قال: وفيها توفى محمد بن يحيى بن محمد بن هبيرة أبو عبد الله عز الدين ابن الوزير عون الدين كان فاضلاً كبير الشأن عظيم القدر ناب عن أبيه فى الوزاره مده ثم قبض عليه بعد موت أبيه وصوره وحبس ثم هرب من محبسه خوفاً على نفسه فلم يستتر أمره وأخذ وقتل خنقا وكان من بيت علم وفضل ورياسه. وغير هذا المصدر كثير.

٣- (٣). الفردوس بمأثور الخطاب ١٨٦/٥، ٢١٠، كنز العمال للمتقى الهندى ٥٨/٣.

٤- (٤). ص ١٧٩.

٥- (٥). فإن كان قد علم بأنه قد كفر فهو مرتد فيعامل كذلك وإلا فهو من التهويل.

٦- (٦). تغليق التعليق، ٢٦١/٤، ٢٦٢.

٧- (٧). لماذا طلقها؟ هل تقيه أم نفاقاً؟ ثم لماذا يسأل لو كان الطلاق واقعاً؟.. وأما تفصيل الشعبى فليس بمهم إذ قد يحصل العكس.

٨- (٨). بغيه الخطيب، ١٨٠/١.

والمحبه للغريب على ما ليس عليه أحد ولكنهم كانوا فى تقيه من هؤلاء الأوباش.

وذكر المصنفون (١) فيمن أجاب المأمون بخلق القرآن تقيه سبعة أنفس وهم محمد بن سعد كاتب الواقدي ويحيى بن معين وأبو خيثمه وأبو مسلم مستملى يزيد بن هارون وإسماعيل بن داود وإسماعيل بن أبى مسعود وأحمد بن إبراهيم الدورقي. وكتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم بأن يحضر الفقهاء ومشايخ الحديث ويخبرهم بما أجاب به هؤلاء السبعة ففعل ذلك فأجابه طائفه وامتنع آخرون فكان يحيى بن معين وغيره يقولون أجبننا خوفا من السيف. ثم كتب المأمون كتابا آخر من جنس الأول إلى إسحاق وأمره بإحضار من امتنع فأحضر جماعه منهم أحمد ابن حنبل، وبشر بن الوليد الكندي، وأبو حسان الزياتي، وعلى بن أبى مقاتل، والفضل بن غانم، وعبيد الله بن عمر القواريري، وعلى بن الجعد، وسجاده، والذيال بن الهيثم، وقتيبه بن سعيد، وكان حينئذ ببغداد، وسعدويه الواسطي، وإسحاق بن أبى إسرائيل، وابن الهرش، وابن عليه الأكبر، ومحمد بن نوح العجلي، ويحيى بن عبد الرحمن العمري، وأبو نصر التمار، وأبو معمر القطيعي، ومحمد بن حاتم بن ميمون، وغيرهم، وعرض، عليهم كتاب المأمون فعرضوا ووروا ولم يجيبوا ولم ينكروا، فقال لبشر بن الوليد ما تقول، قال قد عرفت أمير المؤمنين غير مره قال والآن فقد تجدد من أمير المؤمنين كتاب، قال أقول كلام الله قال لم أسألك عن هذا أمخلوق هو قال ما أحسن غير ما قلت لك وقد استعهدت أمير المؤمنين أن لا- أتكلم فيه، ثم قال لعلى بن أبى مقاتل ما تقول قال القرآن كلام الله وإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا وأجاب أبو حسان الزياتي بنحو من ذلك ثم قال لأحمد ابن حنبل ما تقول قال كلام الله قال أمخلوق هو؟ قال هو كلام الله لا أزيد على هذا ثم امتحن الباقيين وكتب بجواباتهم وقال ابن البكاء الأكبر أقول القرآن مجعول ومحدث لورود النص بذلك، فقال له إسحاق بن إبراهيم والمجعول مخلوق قال نعم قال فالقرآن مخلوق قال لا أقول مخلوق.

وفى طبقات الشافعيه الكبرى للسبكي (٢) قال فى محمد بن عبد الله بن تومرت: أبو عبد الله الملقب بالمهدى المصمودى الهرغى المغربى... كثير الصبر على الأذى يعرف الفقه على

ص: ٨٢

١- (١). تاريخ الخلفاء السيوطي/٣٠٩، المناظره فى القرآن ابن قدامه/٤٦، طبقات الشافعيه الكبرى السبكي ٣٩/٢ وما بعدها، وكذلك ٨٢/٢، ١٤٧. وهل يكفرون المأمون أم هو من أولى الأمر؟ أم إنه مسكوت عنه لثلاث- يفتح هذا الباب فتحصل الكارثه فاعبر؟

٢- (٢). الطبقات الكبرى، ١٠٩/٦.

مذهب الشافعي وينصر الكلام على مذهب الأشعري وكان كثير الأسفار ولا يستصحب إلا عصا وركوه ولا يصبر عن النهي عن المنكر وأوذى بذلك مرات دخل إلى مصر وبالغ في الإنكار فبالغوا في أذاه وطرده وكان ربما أوهم أن به جنونا وذلك عند خشية القتل. (١)

وفي طبقات الشافعية الكبرى كذلك: (٢) فيما خرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي الطفيل سمعت عليا رضي الله عنه عليه السلام يقول حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله، وكم مسأله نص العلماء عن عدم الإفصاح بها خشية على إفصاح من لا يفهمها... وكان الشافعي رضي الله عنه يذهب إلى أن القاضي يقضى بعلمه وكان لا يبوح به مخافه قضاءه السوء فقد لاح لك بهذا أنه ربما وقع السكوت عن بعض العلم خشية من الوقوع في محذور. (٣)

وفي المنتظم (من ٧٥٢هـ-) لابن الجوزي قال: (٤) ووقعت بين الحنابلة والأشاعره فتنه عظيمه حتى تأخر الأشاعره عن الجمععات خوفا من الحنابلة....

وفي العبر في خبر من غير الذهبي: (٥) سنة تسع وخمسين ومائه فيها ألح المهدي على ولي العهد عيسى بن موسى بكل ممكن بالرغبة والرهبه في خلع نفسه ليولى العهد لولده موسى الهادي فأجاب خوفا على نفسه فأعطاه المهدي عشرة آلاف ألف درهم وإقطاعات.

وفي الكامل ابن الأثير (٦) قال: ذكر الاختلاف على نجده وقتله وولايه أبي فديك ثم إن أصحاب نجده اختلفوا عليه لأسباب نتموها عليه فمنها أن أبا سنان حيان بن وائل أشار على نجده بقتل من أجابه تقيه فشتمه نجده فهم بالفتك به فقال له نجده كلف الله أحدا علم الغيب قال لا- قال فإنما علينا أن نحكم بالظاهر فرجع أبو سنان إلى نجده ومنها أن عطيه بن الأسود خالف على نجده وسببه أن نجده سير سريره بحرا وسريه برا فأعطى سريره البحر أكثر من سريره البر فنازعه عطيه حتى أغضبه فشتمه نجده فغضب عليه وألب الناس عليه وكلم نجده في رجل يشرب الخمر في عسكره فقال هو رجل شديد النكايه على العدو وقد استنصر

ص: ٨٣

١- (١). وواضح يعني تقيه.

٢- (٢). نفس المصدر، ٢٥١/٦، ٢٥٢.

٣- (٣). فهل هذا كتمان محرم أم نفاق؟

٤- (٤). المنتظم، ١٦٣/٤. ثم انظر أيها المسلم في التاريخ تجد أغلب مشاكل المسلمين بسبب الحنابلة ومتشدد بهم.

٥- (٥). العبر، ٢٣٠/١، ٢٣١.

٦- (٦). الكامل، ٢٢/٤.

رسول الله بالمشركين وكتب عبد الملك إلى نجله يدعوه إلى طاعته ويوليه.

وفى أحداث (١) توليه ابن هبيرة العراق وخراسان نيابه عن يزيد بن عبد الملك استدعى ابن هبيرة الحسن وابن سيرين والشعبي، وذلك فى سنه ثلاث ومائه فقال لهم: إن الخليفه كتب إلى بأمر فأقلده ما تقلد من ذلك الأمر فقال ابن سيرين والشعبي قولاً فيه بعض تقيه... .

وفى عجائب الآثار للجبرتي (٢) قال: وقّد إسماعيل بك مصطفى كاشف المرابط بقلعه طرافعسف بالمسافرين الداهيين والآيين إلى جهه قبلى فلا- تمرّ عليه سفينه صاعده أو منحدره إلا- طلبها إليه وأمر بإخراج ما فيها وتفثيشها بحجه أخذهم الاحتياجات للأمرء القبلين من الثياب وغيرها أو إرسالهم أشياء أو دراهم لبيوتهم فان وجد بالسفينه شيئاً من ذلك نهب ما فيها من مال المسافرين والمتسبين وأخذه عن آخره، وقبض عليهم وعلى الرئيس وحبسهم ونكل بهم ولا يطلقهم إلا بمصلحه وان لم يجد شيئاً فيه شبهه أخذ من السفينه ما اختاره وحجزهم فلا يطلقهم إلا بمال يأخذه منهم، وتحقق الناس فعله فصانعه ابتداء تقيه لشره وحفظاً لمالهم ومتاعهم فكان الذى يريد السفر إلى قبلى بتجاره أو متاع يذهب إليه ببعض الوسائط ويصالحه بما يطيب به خاطره ويمرّ بسلام فلا يعرض له وكذلك الواصلون من قبلى يأتون طائعين إلى تحت القلعه ويطلع إليه الرئيس والمسافرون فيصلحونه وعلم الناس هذه القاعده واتبعوها وارتاحوا عليها فى الجمله واستعوضوا الخساره من غلو الأثمان... .

وفى قواطع الأدله فى الأصول لأبى المظفر السمعانى قال: (٣) أن من تبين بشرع فإنه لا- يستجيز كتمانته إلا عن تقيه فى بعض المواضع فأما إذا لم يكن هناك تقيه ولا- خوف فإنه لا يستجيز كتمانته وإخفاءه النبى... وقال ايضاً: (٤) وبه قال بعض المعتزله واختاره أبو عبد الله البصرى وقال أبو على بن أبى هريره إن كان وجد حكماً من بعض الصحابه وانتشر من الباين لم يعرف له مخالف لا- يكون إجماعاً وأن كان فتوى وانتشر ولم يعرف له مخالف يكون إجماعاً، وعكس هذا أبو إسحاق المروزى فقال: يكون إجماعاً إن كان حكماً ولا يكون إجماعاً إن كان فتياً والأصح هو القول الأول وأما من قال ليس بحجه أصلاً فاحتج فى ذلك وقال لا يمتنع

ص: ٨٤

١- (١) . شذرات الذهب لابن العماد ١٣٧/١، وفيات الأعيان لابن خلكان ٧١/٢.

٢- (٢) . عجائب الآثار، ٨٢/٢.

٣- (٣) . قواطع الأدله فى الأصول، ٤٦١/١.

٤- (٤) . نفس المصدر ٧-٤/٢.

أن يكون سكوت من سكت لتقيه أو هيبه كما روى عن ابن عباس أنه لما أظهر قوله في مسأله العول قيل له هلا قلت في زمان عمر رضى الله عنه قال: إنه كان رجلاً مهيباً. (١) فلا يتصور دوام السكوت من كل المجتهدين مع تكرار الواقعه في حكم العاده ولهذا أن ابن عباس أظهر خلافه من بعد في مسأله العول والذين يقولون لعل السكوت لتقيه أو هيبه. قلنا ليس هذا مما يدوم على الدهر ولأن المسأله مصوره فيما إذا لم يكن تقيه ولا هيبه... وفي كتاب التقرير والتحبير لابن أمير الحاج: (٢) تكلم عن الإجماع هناك وتعرض للتقيه كسابقه هنا....

وجاء في القول المفيد للشوكانى: (٣) فاسأل غيره من العلماء الموجودين وهم بحمد الله فى كل صقع من بلاد الإسلام، فالله سبحانه حافظ دينه بهم وحجته قائمه على عبادهم بوجودهم كتموا الحق فى بعض الأحوال، أما لتقيه مسوغه كما قال تعالى إلا أن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاهُ أو بمداهنه... (٤)

وفى ظلال القرآن لسيد قطب: (٥) ويرخص فقط بالتقيه لمن خاف فى بعض البلدان والأوقات ولكنها تقيه اللسان لا ولاء القلب ولا- ولاء العمل قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس التقيه بالعمل إنما التقيه باللسان فليس من التقيه المرخص فيها أن تقوم الموده بين المؤمن وبين الكافر والكافر هو الذى لا يرضى بتحكيم كتاب الله.

أقول: قد حصل خلط هنا بين مصطلحي التقيه والمداهنه، فالثانيه هى التودد بين المؤمن والكافر من الأول إلى الثاني كقوله تعالى: وَذُوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيُدَّهِنُونَ (القلم:٩)، وهذا هو المنهى عنه لا عن التقيه.

وقال ابن تيميه: (٦) والأشعري ابتلى بطائفتين طائفه تبغضه وطائفه تحبه كل منهما يكذب عليه

ص: ٨٥

١- (١). فى أول من أعال فى الفرائض وهو عمر بن الخطاب فقيل لعبد الله بن عباس ألا أشرت عليه فقال هبته.. ورد فى: (مآثر الإنافه القلقشندى ٣/٣٣٩-أحكام القرآن الجصاص ٣/٢٢- المبدع ابن مفلح ٦/١٥٦- الفروع ابن مفلح ٥/١٣- التبصره الشيرازى ٣٩٣/٣٩٤- المستصطفى الغزالي ١٥١/١- روضه الناظر ابن قدامه ١٥١/١- أصول السرخسى ١/٣٠٤- قواطع الأدله فى الأصول أبى المظفر السمعانى ٢/٥- كتاب التقرير والتحبير ابن أمير الحاج ٣/١٣٧- الإنصاف للمرداوى ٧/٣١٦- منار السبيل ابن ضويان ٢/٧٦- الوسيط الغزالي ٤/٣٧٧). وكان جميع الصحابه يعلمون ذلك إلا- من أشار عليه بالعول كما هو معلوم من أن من أشار عليه هو العباس ولكن هل يحكم على من كان يعلم بخلاف ذلك بأنه آثم لأنه كتم حكم الله تعالى؟

٢- (٢). التقرير و التحبير، ٣/١٣٦-١٣٧.

٣- (٣). القول المفيد، ص ٩٦-٩٧

٤- (٤). أما التقيه فنعم وأما المداهنه فمرفوضه.

٥- (٥). فى ظلال القرآن، ص ٣٨٦.. التقيه تقيه إن كانت فى الفعل أو القول كما فى الوضوء مثلاً....

٦- (٦). مجموع الفتاوى ١٢/٢٠٤، كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه فى التفسير ١/٢٠٤... وهذا يعنى أن العمل بالتقيه بين المسلمين أنفسهم كان مشهوراً أما تفسيرات ابن تيميه فهو أمر يخصه وهذه قراءته كما أن غيره كانت قراءته كما ذكره.

ويقول إنما صنف هذه الكتب تقيّة وإظهاراً لموافقه أهل الحديث والسنة من الحنبليّة وغيرهم....

قال المغيرة لصعصعه بن صوحان: (١)

إياك أن يبلغني أنك تعيب عثمان وإياك أن يبلغني أنك تظهر شيئاً من فضل علي فأنا أعلم بذلك منك ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد أخذنا بإظهار عيبه للناس فنحن ندع شيئاً كثيراً بما أمرنا به ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بداً ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّة فإن كنت ذاكراً فضله فاذكره بينك وبين أصحابك في منازلكم سراً وأما علانية في المسجد فإن هذا لا يحتمله الخليفة لنا فكان يقول له نعم ثم يبلغه عنه أنه فعل ذلك فحقد عليه المغيرة فأجابه بهذا الجواب فقال له صعصعه وما أنا إلا خطيب فقط قال أجل....

هذا هو حال الصحابة مع علي بن أبي طالب عليه السلام وأتباعه والحال هو الحال في الوقت الحاضر!! ولكن ماذا فعل هذا الرجل ليفعل به هذه الأفاعيل؟ هل سرق أحداً؟ هل غش أحداً؟ ألا تسأل نفسك؟ لماذا كل هذا البغض والحقد؟ هل عين والياً يؤخّر الصلاة؟ أم وزع الأموال في بني هاشم؟ أم بدلّ حكماً؟ فكر وسل نفسك!!!! لماذا يقال بعد كل أذان: الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك ثم يشتم علي وولده صلوات الله تعالى عليهم ويقتل أتباع الآل في المسيب واللطيفيه وأبي غريب والزيبر والدوره وسامراء والضلوعيه والمشاهده والأنبار وتكريت والموصل وبيجي وراوه وديالى والمدائن والغزاليه؟ لماذا يقتل من يسمى محل تجارته باسم الزهراء؟ ويحرس من يسميه باسم غيرها من النساء؟ لماذا يجهز هؤلاء القتل بالأموال من الدول الإسلاميه ومؤسساتها؟ وبعد سكوت الناس ثلاث سنوات من الصبر فإذا أصبحوا ميليشيات يجب حلها؟ لماذا تفجر مساجدهم وتترك المباغى والحانات على راحتها؟ أحكم بنفسك إن كنت منصفاً....

وفى دليل الطالب (٢) قال: ويحرم عليها الخروج بلا- إذنه ولو لموت أبيها، لكن لها أن تخرج لقضاء حوائجها حيث لم يقم بها ولا يملك منعها من كلام أبويها ولا منعها من زيارتها ما لم يخف منهما الضرر ولا يلزمها طاعه أبويها بل طاعه زوجها أحق.

وأما قاعده الضرورات تبيح المحظورات، فإطلاقها خير دليل على إمكان التطبيق في كل ضررٍ مرتقب. (٣)

ص: ٨٤

١- (١) . الكامل لابن الأثير ٣/٢٩٠.

٢- (٢) . مرعى الحنبلي/٢٥١.

٣- (٣) . راجع المصادر زاد المعاد ابن قيم الجوزيه ٥/٧٠٤- عون المعبود محمد آبادي ٥/٣٩- غايه المرام الآمدى/٣٨٦ - الفواكه

وقال فى جامع العلوم والحكم: (١) فهذان الحدِيثان محمولان على أن يكون المانع له من الإنكار مجرد الهيبة دون الخوف المسقط للإنكار. قال سعيد بن جبیر: قلت لابن عباس: أمر السلطان بالمعروف وأنهاه عن المنكر؟ قال: إن خفت أن يقتلك فلا، ثم عدت فقال لى مثل ذلك ثم عدت فقال لى مثل ذلك، وقال: إن كنت لا بد فاعلا ففيمما بينك وبينه. وقال طاوس: أتى رجل ابن عباس فقال: ألا أقوم إلى هذا السلطان فأمره وأنهاه؟ قال: لا تكن له فتنه، قال: أفرأيت إن أمرنى بمعصية الله، قال: ذلك الذى تريد فكن حينئذ رجلا... وقد ذكرنا حديث ابن مسعود الذى فيه يخلف من بعدهم خلوف فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن الحديث وهذا يدل على جهاد الأمراء باليد. وقد استنكر الإمام أحمد هذا الحديث فى روايه أبى داود وقال هو خلاف الأحاديث التى أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها بالصبر على جور الأئمة. وقد يجاب عن ذلك بأن التغيير باليد لا يستلزم القتال وقد نص على ذلك أحمد أيضا فى روايه صالح فقال التغيير باليد ليس بالسيف والسلاح فحينئذ جهاد الأمراء باليد أن يزيل بيده ما فعلوه من المنكرات مثل أن يريق خمورهم أو يكسر آلات اللهو التى لهم أو نحو ذلك أو يبطل بيده ما أمروا به من الظلم إن كان له قدره على ذلك وكل ذلك جائز وليس هو من باب قتالهم ولا من الخروج عليهم الذى ورد النهى عنه فإن هذا أكثر ما يخشى منه أن يقتله الأمراء وحده وأما الخروج عليهم بالسيف فيخشى منه الفتن التى تؤدى إلى سفك دماء المسلمين نعم إن خشى فى الإقدام على الإنكار على الملوك أن يؤذى أهله أو جيرانه لم ينبغ له التعرض لهم حينئذ، لما فيه من تعدى الأذى إلى غيره، كذلك قال الفضيل بن عياض وغيره ومع هذا متى خاف على نفسه السيف أو السوط أو الحبس أو القيد أو النفى أو أخذ المال أو نحو ذلك من الأذى سقط أمرهم ونهيههم وقد نص الأئمة على ذلك منهم مالك وأحمد وإسحاق وغيرهم قال أحمد لا يتعرض إلى السلطان فإن سيفه مسلول وقال ابن شبرمه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كالجهاد يجب على الواحد أن يصابر فيه الاثنى ويحرم عليه الفرار منهما ولا يجب عليه مصابره أكثر من ذلك فإن خاف السب أو سماع الكلام السيئ لم يسقط عنه الإنكار بذلك نص عليه الإمام أحمد وإن احتمل الأذى وقوى عليه فهو أفضل

نص عليه أحمد أيضا وقيل له أليس قد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ليس للمؤمن أن يذل نفسه أى يعرضها من البلاء ما لا- طاقه له به قال: ليس هذا من ذلك ويدلّ على ما قاله ما خرجه أبو داود وابن ماجه والترمذى من حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أفضل الجهاد كلمه عدلٍ عند سلطان جائر... وخرج ابن ماجه معناه من حديث أبي أمامه وفى مسند البزار بإسناد فيه جهاله عن أبي عبيده بن الجراح قال: قلت يا رسول الله: أى الشهداء أكرم على الله قال رجل قام إلى إمام جائر فأمره بمعروف ونهاه عن المنكر فقتله. وقد روى معناه من وجوه أخرى كلها فيها ضعف. وأما حديث لا ينبغي للمؤمن أن يذلّ نفسه فإنما يدلّ على أنه إذا علم أنه لا يطيق الأذى ولا يصبر عليه فإنه لا يتعرض حينئذ للأمرء وهذا حق، وإنما الكلام فيمن علم من نفسه الصبر لذلك قاله الأئمة كسفيان وأحمد والفضيل بن عياض وغيرهم وقد روى عن أحمد ما يدل على الاكتفاء بالإنكار بالقلب قال: فى روايه أبى داود نحن نرجو إن أنكر بقلبه فقد سلم وإن أنكر بيده فهو أفضل، وهذا محمول على أنه يخاف كما صرح بذلك فى روايه غير واحد. وقد حكى القاضى أبو يعلى روايتين عن أحمد فى وجوب إنكار المنكر على من يعلم أنه لا يقبل منه وضح القول بوجوبه وهذا قول أكثر العلماء وقد قيل لبعض السلف فى هذا فقال: يكون لك معذره وهذا كما أخبر الله تعالى عن الذين أنكروا على المعتدين فى السبب أنهم قالوا لمن قال لهم: أتعتظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذره إلى ربكم ولعلمهم يتقون... الأعراف... وقد ورد ما يستدل به على سقوط الأمر والنهى عند عدم القبول والانتفاع به ففى سنن أبى داود وابن ماجه والترمذى عن أبى ثعلبه الخشنى أنه قيل له: كيف تقول فى هذه الآيه: عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم... المائدة قال: سألت عنها خبيرا أما والله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال بل ائتمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى إذا رأيتُ شحاً مطاعاً... (١)

وقال فى جامع العلوم والحكم كذلك: (٢) وفى سنن أبى داود عن عبد الله بن عمر قال بينما نحن جلوس حول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ ذكر الفتنة فقال: إذا رأيتم الناس مرجت عهودهم وخفت أماناتهم وكانوا هكذا وشبك أصابعه فقامت إليه فقلت له: كيف

ص: ٨٨

١- (١). مما تقدم يتضح أن هناك كتمان فى الجملة وذلك فيما إذا كان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعيش بين قوم يعلمون الحق ولكنهم معاندون، فماذا يفعل مع هؤلاء؟ لأنه إن ذكرهم قتلوه أو فتنوه وإن تركهم نجى ليعظ غيرهم.. وكما قرأت عن هؤلاء الحكام والسلاطين المذكورين الذين تراق خمورهم وتزال منكراتهم أهم كفار أم مسلمون؟

٢- (٢). جامع العلوم والحكم، ص ٣٢٣.

أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ فقال: الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ بما تعرف ودع ما تنكر وعليك بأمر خاصه نفسك ودع عنك أمر العامه... وكذلك روى عن طائفه من الصحابه في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ (المائدة: من الآية ١٠٥)، قالوا: لم يأت تأويلها بعد إنما تأويلها في آخر الزمان. وعن ابن مسعود قال: إذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعا وذاق بعضكم بأس بعض فيأمر الإنسان حينئذ نفسه فهو حينئذ تأويل هذه الآية وعن ابن عمر قال: هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا: لم يقبل منهم وقال جبير بن نفير عن جماعه من الصحابه قالوا: إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك حينئذ بنفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت. وعن مكحول قال: لم يأت تأويلها بعد إذا هاب الواعظ وأنكر الموعوظ فعليك حينئذ بنفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت، وعن الحسن أنه كان إذا تلا هذه الآية قال: يا لها من ثقه ما أوثقها ومن سعه ما أوسعها... وهذا كله قد يحمل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف أو خاف الضرر سقط عنه... وكلام ابن عمر يدل على أن من علم أنه لا يقبل منه لم يجب عليه كما حكى روايه عن أحمد وكذا قال الأوزاعي مر من ترى أن يقبل منك. وقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الذي ينكر بقلبه وذلك أضعف الإيمان يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الإيمان... .

وقال في بدائع السلك: (١) الفائدة الرابعة قال ابن عيشون أجاز إعطاء الرشوه إذا خاف الظلم على نفسه وكان محققاً... وقال أيضاً: (٢) أنه أول من قدم الرشا في الإسلام المغيره بن شعبه، كان يعطى يرفا حاجب عمر بن الخطاب ليستأذن له عليه وأن يرفا هذا أول من قبلها في الإسلام... وبرر المؤلف فعل المغيره أنه من باب التوصل به إلى حق منع منه على ما تقدم... (٣)

وفيه أيضاً: (٤) هذا في القول فأمراً الفعل فيه الحال فمنه ما لا خلاف في جوازه كشرب الخمر إذا خاف على نفسه القتل، وإن يخف إلا- ما دون القتل فالصبر له أفضل، وإن لم يخف في ذلك إلا كسجن يوم أو طرف من خفيف فلا تحل له المعصيه من أجل ذلك. وأما

ص: ٨٩

١- (١) . بدائع السلك، ٣٤٦/١.

٢- (٢) . نفس المصدر، ٣٤٧/١.

٣- (٣) . نفس المصدر، هذا إما تقيه من المغيره أو مخالفه شرعيه واضحه تخل بعداله الحاجب والمحجوب، هذا مع عدم علم المحجوب عنه.

٤- (٤) . نفس المصدر، الأزرق، ٣٤٧/١.

الإكراه على القتل فلا خلاف في لأنه إنما رخص له فيما دون القتل ليدفع بذلك قتل نفس مؤمنه وهي نفسه فأما إذا عن نفسه بنفس أخرى فلا رخصه. واختلف في الإكراه على الزنى، فذكر عن ابن الماجشون، قال: لا رخصه فيه لأنه لا ينتشر له إلا عن إرادته في القلب أو شهوه، وأفعال القلب تباح مع الإكراه. وقال غيره: بل يرخص في ذلك لمن خاف القتل لأن انبعاث الشهوه عند بمنزله انبعاث اللعاب عند مضغ الطعام وقد يجوز أكل الحرام إذا أكره عليه... .

وفي مواهب الجليل (١) قال: وقد جوز الشارع الاستعانة بالمفسده لا من جهه أنها مفسده على درء مفسده أعم منها... السابع قال ابن فرحون أجاز بعضهم إعطاء الرشوه إذا خاف الظلم على نفسه وكان الظلم محققا... قال ابن عيشون أجاز بعضهم إعطاء الرشوه إذا خاف الظلم على نفسه وكان محققا وقال قبله قال أبو بكر بن أويس يحرم على القاضى أخذ الرشوه فى الأحكام يدفع بها حقا أو يشهد بها باطلا وأما أن يدفع بها عن مالك فلا بأس... .

وفي أصول السرخسى: (٢) وكذلك إباحه إتلاف مال الغير عند تحقق الإكراه فإنه رخصه مع قيام سبب الحرمة وحكمها وكذلك إباحه الإفطار فى رمضان للمكروه وإباحه الإقدام على الجنايه على الصيد للمحرم ولهذا النوع أمثله كثيره والحكم فى الكل واحد له أن يرخص بالإقدام على ما فيه رفع الهلاك عن نفسه فذلك واسع له تيسيرا من الشرع عليه وإن امتنع فهو أفضل له ولم يكن فى الامتناع عاملا فى إتلاف نفسه بل يكون متمسكاً بما هو العزيمه... .

وفي شرح الزرقانى: (٣) وقد استثنى من الإنصات فى الخطبه ما إذا انتهى الخطيب إلى كل ما لم يشرع فى الخطبه مثل الدعاء للسلطان مثلا بل جزم صاحب التهذيب بأنه مكروه وقال النووى محله إذا جازف وإلا فالدعاء لولاه الأمر (٤) مطلوب اه... ومحل الترك إذا لم يخف الضرر وإلا فيباح للخطيب إذا خشى على نفسه اه- .

وفي التاج والإكليل: (٥) والإكراه على وجوه: منها أن يكره على إيقاع الطلاق، ومنها: أن يكره على أن يحلف بالطلاق، وأن لا يفعل شيئا ثم يفعله طوعا، ومنها: أن يكره على أن يحلف ليفعلن فلا يفعل، ومنها: أن يحلف بالطلاق أن لا يفعل شيئا فأكره على فعله. ويختلف

ص: ٩٠

١- (١). مواهب الجليل، ١٢١/٦.

٢- (٢). أصول السرخسى، ١١٨/١.

٣- (٣). شرح الزرقانى، ٣٠٩/١.

٤- (٤). فهل خص ولواه الأمر المذكورين بالكفره؟

٥- (٥). التاج و الإكليل، ٤٤/٤.

إذا حلف ليدخلن فحيل بينه وبين الدخول، وانظر إذا بدر باليمين قبل أن يسألها ليذب عما خاف عليه من بدنه أو ماله، فقال مالك: يلزمه اليمين، وقال ابن الماجشون: إذا حلف بالطلاق ثلاثاً من غير يحلف وكانت يمينه خوفاً من قتله أو ضربه أو أخذ ماله فأسرع باليمين فلا شيء عليه، فإن كان لم يحلف رجاء النجاة لزمته. وقال مالك: في لصوص استحلّفوا رجلاً بالحريه والطلاق أن لا يخبر بهم ثم أخبر عنهم، قال مالك: لا حنث عليه. قال ابن رشد: معناه إذا خشى على نفسه منهم مكروهاً، وأما إن لم يخش فإن اليمين تلزمه إن أخبر عنهم، ويجب عليه أن يخبر عنهم ويحنث. قال ابن العربي: قال أبو حنيفة: طلاق المكره يلزم لأنه لم يعدم فيه أكثر من الرضا وليس وجوده بشرط في الطلاق كالهازل، وهذا قياس باطل فإن الهازل قاصد إلى إيقاع الطلاق وراض به والمكره غير راض ولا نيه له في الطلاق ولكل امرئ ما نوى. ومن غريب الأمر أن علماءنا اختلفوا في الإكراه على الحنث في اليمين... وقال هناك أيضاً: (١) وإن لم يحلف لم يكن عليه حرج وإن لم يكن عنده مال ولا كان مستخفياً في داره إلا أنه يعلم مكانه أو مكان ماله فليل له إن لم تحلف أنك ما تعلم مكانه ولا مكان ماله فعلنا بك كذا وكذا من ضرب أو سجن أو خشى ذلك على نفسه إن لم يحلف جاز له أن يحلف أنه ما يعلم موضعه إن أرادوا قتله ولم تلزمه اليمين باتفاق لأنه في حكم المكره عليها إذ لا خروج له عنها إلا بإباحه حرمة نفسه أو بإباحه دم غيره وذلك لا يجوز وأما... .

وفي المعين: (٢) والدعاء للسلطان بخصوصه لا يسن اتفاقاً إلا مع خشية فتنه فيجب ومع عدمها لا بأس به حيث لا مجازفه في وصفه ولا يجوز وصفه بصفه كاذبه إلا لضروره.... .

وفي حاشيه الطحطاوى على مراقى الفلاح: (٣) ولذلك يحسن أن يستخار في النهي عن المنكر في شخص متمرّد يخشى بنهيه حصول ضرر عظيم عام أو خاص وإن جاء في الحديث أفضل الجهاد كلمه حق عند سلطان جائر لكن إن خشى ضرراً عاماً للمسلمين فلا ينكر وإن خشى على نفسه فله الإنكار ولكن يسقط الوجوب كذا في العيني.... .

وفي حاشيه الدسوقي: (٤) نعم محل الوجوب إذا خشى ضياعه ما لم يخف على نفسه ضرراً

ص: ٩١

١- (١) . التاج و الإكليل، ٤٥/٤.

٢- (٢) . المعين، ٦٧/٢.

٣- (٣) . حاشيه الطحاوى، ٢٦٣.

٤- (٤) . حاشيه الدسوقي، ١٢٧/٤.

من السلطان إذا أخذه ليخبر صاحبه به وإلا حرم عليه أخذه قوله وإلا فلا يأخذه) صرح بهذا المفهوم لأنه مفهوم غير شرط ولأن عدم نذب أخذه لا يقتضى النهى مع أن المراد الكراهه وليفرع عليه قوله فإن أخذه الخ قوله أى يكره له أخذه) أى لاحتياجه للإنشاد والتعريف فيخشى أن يصل لعلم السلطان فأخذه... .

وجاء فى تاريخ يعقوبى (١) وغيره عند ذكر سريره بسر الذى بعثه الصحابى معاويه الذى نوبته بعد نوبه على عليه السلام ليقتل كل من بلغ الحلم إلى الشيوخ فى المدينة بعد التحكيم فقدم المدينة وعليها أبو أيوب الأنصارى ففتحى عنها ودخل بسر فصعد المنبر ثم قال يا أهل المدينة مثل السوء لكم قريه كانت آمنه مطمئنه يأتيتها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ألا وإن الله قد أوقع بكم هذا لمثل وجعلكم أهله شأهت الوجوه ثم ما زال يشتمهم حتى نزل قال فانطلق جابر بن عبد الله الأنصارى إلى أم سلمه زوج النبي صلوات الله تعالى عليه وآله فقال إني قد خشيت أن أقتل وهذه بيعه ضلال قالت: أنا أعلم أنها بيعه ضلال فاذهب وبيع فإن التقيه حملت أصحاب الكهف على أن كانوا يلبسون الصلب ويحضرون الأعياد مع قومهم.... .

وفى الفتاوى الكبرى ابن تيميه (٢) قال:

قلت: هذه الفتيا كتبت هى وجوابها فى فتنه ابن القشيري لما قدم بغداد فإن ملك بغداد محمود ابن سبكتكين كان قد أمر فى مملكته بلعن أهل البدع على المنابر فلعنوا وذكر فيهم الأشعريه وكذلك جرى فى أول مملكه السلاجقه الترك وكان الذين سعوا فى إدخالهم فى اللعنه فيهم من سكان تلك البلاد من الحنفيه الكراميه وغيرهم ومن أهل الحديث طوائف وجواب الدامغانى جواب مطلق فيه رضى هؤلاء وهؤلاء فإنه أجاب بأنه من أقدم على لعنه فرقه من المسلمين وتكفيرهم فقد ابتدع وفعل ما لا يجوز وهذا

ص: ٩٢

١- (١). تاريخ يعقوبى، ١٩٧/٢- وراجع: الاستيعاب ابن عبد البر ١٦٢/١- التمهيد ابن عبد البر ٣٥٥/١٦- المنتظم (حتى ٥٧٢هـ-) ابن الجوزى ١٦٢/٥- تاريخ الطبرى ١٣٩/٥ و ٨٠/٦- معالم الفتن سعيد أيوب ١٤٣/٢- البدايه والنهايه ٣٢٢/٧- شرح النهج لابن أبى الحديد ١٠/٢- التاريخ الصغير (الأوسط) البخارى ١١٥/١- الكامل ابن الأثير ٢٥٠/٣- كنز العمال للمتقى الهندي ٣١٠/٥- معالم الفتن سعيد أيوب ١٤٢/٢- الخدعه صالح الوردانى ٨٣) ثم تمعن فى قول أم المؤمنين أم سلمه عليها الرحمه والرضوان حيث قالت: أنا أعلم أن هذه البيعه أى بيعه معاويه بيعه ضلاله، فبأى قول تعمل إن كنت تعمل بأقوال أمهات المؤمنين فلماذا تتبع واحده دون أخرى أو غير ذلك فماذا تقول فيمن تسبب فى قتل المسلمين فى حرب الجمل... فالمسأله مسأله دين.. لا تشكل بيعه الإمام الحسن السبط عليه السلام لأن الضلاله من جهه الغاصب وأما المغضوب حقه ففعله تقيه ليس غير وذلك حفظاً لدماء المؤمنين.. وإن أردت المزيد من أفعال بسر فراجع ملحق المصادر تحت عنوان بسر بن أرطاه ص ٢١٩ وكذلك من يرتبط اسمه وفعله به كسمره بن جندب ص ٣١٧ ومعاويه بن خديج وأشباههم.

٢- (٢). الفتاوى الكبرى، ٢٨٧/٥.

مما لا- ينازع فيه أحد أنه من كان من المسلمين لا- يجوز تكفيره إذ المكفر لشخص أو طائفه لا- يقول إنهم من المسلمين ويكفرهم بل يقول: ليسوا بمسلمين... .

قال صاحب مدافع الفقهاء: (١)

الفقهاء ويزيد بن معاوية: يروى البخارى فى كتاب المغازى أن معاوية خطب فى الناس يطلب البيعه لولده يزيد من بعده فبلغ الخبير ابن عمر فدخل على حفصه أخته فقال لها: قد كان من الأمر ما ترين. فلم يجعل لى من الأمر شىء، فقالت: الحق فإنهم ينتظرونك. وأخشى أن يكون فى احتباسك عنهم فرقه، فلم تدعه حتى ذهب، فلما تفرق الناس خطب معاوية فقال: من كان يريد أن يتكلم فى هذا الأمر فليطلع لنا قرنه. فلنحن أحق به منه ومن أبيه. قال حبيب بن مسلمه لابن عمر: فهلا أجبته؟ قال ابن عمر: فحللت حبوتى. وهممت أن أقول: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام. فخشيت أن أقول كلمه تفرق بين الجمع وتسفك الدم وتحمل عنى غير ذلك، فذكرت ما أعد الله فى الجنان. فقال له حبيب: حفظت وعصمت.

وقال صالح الوردانى: (٢)

علمه بحقيقه معاوية ومكانته المهزوزه فى قلوب المسلمين وهو ما يتضح من قوله: أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، لم يتراجع عن بيعته ولا- عن بيعه ولده يزيد... وحين ثار أهل المدينه على يزيد وخلعوه وأطاحوا بواليه فيها جمع ابن عمر حشمه وولده وقال: إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول [نقله البخارى فى كتاب الفتن]: ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة، وإننا قد بايعنا هذا الرجل - يزيد - على بيع الله ورسوله. وإنى لا أعلم غدرا أعظم من أن نبايع رجلا على بيع الله ورسوله ثم ننصب له القتال، وأنى لا أعلم أحدا منكم خلعه ولا بايع فى هذا الأمر إلا كنت الفيصل بينى وبينه.

وفى المدهش قال ابن الجوزى: (٣) «كان بعض الصالحين يتستر بإظهار الجنون فتبعه مريد فقال له والله ما أبرح حتى تكلمنى بشىء ينفعنى فإنى قد عرفت تسترك فسجد وجعل يقول فى سجوده اللهم سترك فمات».

من يدارى ممن

جميعنا يعلم بما جرى فى أحداث وفاه النبى صلوات الله تعالى عليه وآله والسقيفه ونقل لنا

ص: ٩٣

١- (١). مدافع الفقهاء، ١١.

٢- (٢). مدافع الفقهاء ١٢، وعلى كل حال إذا كانت بيعه يزيد على بيعه الله ورسوله فعلينا السلام. ولكن هل تدرى لماذا ردد كلامه السابق مع حبيب بن مسلمه ضد معاوية ولم يفعل شيئاً الآن مع يزيد؟ فمن الأولى أن يرد بيعه يزيد!! فلماذا بايع وأمر بالبيعه؟ الله تعالى أعلم، ولماذا تخلف عن بيعه على راجع ملحق المصادر ص ٢١٩... .

٣- (٣). المدهش، ٢٣٩، فهذا إما تقيه أو كتمان فهل يكون حكمه حكم من يكتم؟ أو أن ابن الجوزى غير صادق.

التاريخ أجزاء منها هنا وهناك في مطاوى الكتب أنقل منها ما جاء عن ابن تيميه فيما ذكره عمر بن الخطاب عن نفسه. فهذا عمر يدارى ممن؟ من أبي بكر من أجل كلمتين يريد أن يقولهما أمام الناس فهل يحكم ابن تيميه بالنفاق على كل من دارى؟ أم مداراه قوم كفر ونفاق ومداراه غيرهم إيمان؟ أترك الجواب إلى المنصفين فقط....

وإليك ما ذُكر: (ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان هو الذى خطب الناس وخطب يوم السقيفه خطبه بليغه انتفع بها الحاضرون كلهم حتى قال عمر: كنت قد زورت فى نفسى مقاله أعجبتنى أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر وكنت أدارى منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال: أبو بكر على رسلك فكرهت أن أغضبه فتكلم أبو بكر وكان أحلم منى وأوقر والله ما ترك من كلمه اعجبتنى فى تزويرى إلا قال فى بديتهه مثلها أو أفضل منها). (١)

ومما نقل عن هذه الواقعة التى زور بها عمر مقالته أنها كانت فى لحظاتٍ شديدهٍ عليه وعلى أتباعه نقلاً عن أنس حيث نقل ذلك ابن تيميه فى المصدر المذكور: (وقال أنس: خطبنا أبو بكر رضى الله عنه ونحن كالثعالب فما زال يثبنا حتى صرنا كالأسود).

والسؤال الذى يطرح نفسه أنه كيف كانوا ثعالب ثم كيف صاروا أسوداً؟ ولماذا هذه الثعلبه والأسأده؟ وعلى من كان ذلك؟ هل على بيت فاطمه صلوات الله تعالى عليها؟ أم على هذا البيت ومن امتنع عن البيعه؟ هذا الأمر متروك للبحث الذى سيقوم به القارئ إن كان ممن يحب أن يعرف المأساه التى حلت بهذا البيت الشريف بعد غياب النبى الأكرم صلوات الله تعالى عليه وآله. وعلى كل حال من خلال تصريح أنس بهذا الكلام نستشف أن الموقف فى ذلك اليوم من هذه الجماعه موقف مداراه ليس غير فتأمل.

للصحابه جميعاً تقيّه مع عمر

حيث نقلت لنا كتب العامه والخاصه أن طلحه بن عبيد الله تكلم فى شأن توليه أبى بكر عمر أمر المسلمين فقد جاء فى كتب القوم: (٢) أن الصحابه قد وجهوا اللوم لأبى بكر على تعيينه

ص: ٩٤

- ١- (١). ورد هذا فى منهاج السنه النبويه ابن تيميه ٥٢/٨. كما ورد ذلك فى هذه المصادر: (الفصل للوصل المدرج الخطيب البغدادي ١/٤٩١- الرياض النضرة الطبري ٢/٢٠٣- المنتظم (حتى ٥٧٥٢هـ-) ابن الجوزي ٤/٦٥- تاريخ الخلفاء السيوطي ص ٦٧- الفائق الزمخشري ٢/١٣١- الصواعق المحرقة ١/٣٢). والمطروح أن عمر زور مقاله ليقولها ثم لم يقلها ففعل غير ما أضمر فى قلبه.
- ٢- (٢). والمصادر التى تحدثت عن ذلك أذكر منها: (شرح النهج لابن أبى الحديد ١/١٦٤ و ٦/٣٤٣/١١ و ١٧/١٧١/٢٢٠ و

عمر من بعده فقالوا له - والقائل طلحه - : «و لهذا لما استخلفه أبو بكر كره خلافته طائفه حتى قال طلحه: ماذا تقول لربك إذا وليت علينا فظا غليظا». على أنه لم يجرؤ أحد أن يتكلم عليه والنطق بذلك إبان فتره حكمه... فماذا يقال عن هؤلاء الصحابه أكانوا قد لبسوا ثوب النفاق؟

موقف لعمر بن العاص

ممن نقله ابن أبي الحديد فى شرحه للنهج ١ قائلاً: (عن ابن عباس، قال: تعرض عمرو بن العاص لعلى عليه السلام يوماً من أيام صفين، وظن أنه يطمع منه فى غره فيصيبه، فحمل عليه على عليه السلام فلما كاد أن يخالطه أذرى نفسه عن فرسه، ورفع ثوبه وشعر برجله، فبدت عورته، فصرف عليه السلام وجهه عنه، وقام معفراً بالتراب، هارباً على رجليه، معتصماً بصفوفه. فقال أهل العراق: يا أمير المؤمنين، أفلت الرجل! فقال أتدرون من هو؟ قالوا: لا، قال: فإنه عمرو بن العاص، تلقانى بسوءته، فصرفت وجهى عنه، ورجع عمرو إلى معاويه، فقال: ما صنعت يا أبا عبد الله؟ فقال: لقينى على فصرعنى، قال: أحمد الله وعورتك، و الله إنى لالظنك لو عرفته لما أفتحت عليه، وقال معاويه فى ذلك:

ألا لله من هفوات عمرو يعاتبني على تركي برازي

فقد لاقى أبا حسن علياً قآب الوائلى مآب خازى

فلو لم يبد عورته لطارت بمهجته قوادم أى بازى

فإن تكن المنيه أخطأته فقد غنى بها أهل الحجاز!

فغضب عمرو وقال: ما أشد تعظيمك أبا تراب فى أمرى هل أنا إلا رجل لقيه ابن عمه فصرعه أفترى السماء قاطره لذلك دماً؟ قال: لا ولكنها معقبه لك خزيا.

وفى البدايه والنهايه ابن كثير: ٢ (وقد فعل ذلك على رضى الله عنه يوم صفين مع بسر بن أبى أرطاه لما حمل عليه ليقتله أبدى له عورته فرجع عنه. وكذلك فعل عمرو بن العاص حين حمل عليه على فى بعض أيام صفين أبدى عن عورته فرجع على أيضاً. ففى ذلك يقول الحارث بن النضر:

أفى كل يوم فارس غير منته وعورته وسط العجاجة بادية

يكف لها عنه على سنانه ويضحك منها فى الخلاء معاويه

وعن المناقب - للموفق الخوارزمى: (١) (فحمل عليه أمير المؤمنين على عليه السلام وعمرو لا يشعر به، فطعنه وصرعه وبدت عورته، فصرف على عليه السلام وجهه فانسئل عنه عمرو، قيل لعللى فى ذلك فقال إنه ابن العاص تلقانى بعورته فصرفت وجهى عنه. وروى أن علياً حمل عليه بسيفه وقال: خذها يا ابن النابغه فسقط عن فرسه وأبدى عورته، فقال له على: يا ابن النابغه أنت طليق دبرك أيام عمرك، وعذله معاويه وقال: ما هذه الفضيحة التى فضحت بها نفسك؟ فقال عمرو لمعاويه: يا أبا عبد الرحمن من يتعرض لبلاء نفسه لا طاقة لى بعلى ولا لك ولا للوليد ولا لأحد من جموعنا، وان لم تصدقنى فجرب وقد دعاك مراراً إلى البراز ولا تبرز إليه وقال عمرو فى ذلك:

يدكرنى الوليد شجى على وصدر المرء يملاه الوعيد

متى تذكر مشاهده قريش يطر من خوفه القلب الشديد

فاما فى اللقاء فأين منه معاويه بن حرب والوليد

وعيرنى الوليد بقاء ليث إذا ما زار هابته الاسود

لقيت - ولست أجهله - علياً وقد بلى من العرق اللبود

فاطعنه ويطعنى خلاسا وماذا بعد طعنته مزيد

فرمها منه يا بن أبى معيط فانت الفارس البطل النجيد

واقسم لو سمعت ندا على لطار القلب وانتفخ الوريد

ولو لا قيته شقت جيوب عليك ولطمت فيك الخدود

وقال معاويه يا عمرو: ولو عرفت عليا ما أقحمت عليه. وقال معاويه فى ذلك:

ألا لله من هفوات عمرو يعاتبنى على تركى برازى

ص: ٩٦

فقد لاقى أباحسن علياً فآب الوائلي مآب خازي

ولو لم يبد عورته لاودى به ليث يذلل كل نازي

له كف كأن براحتيها منايا القوم تخطف خطف بازي

فان تكن المنيه أحرزته فقد عنى بها أهل الحجاز

فغضب عمرو، وقال: هل هو إلا رجل لقيه ابن عمه فصرعه، أترى السماء قاطره لذلك دماً...أه؟

وكذا جاء أن علياً صلوات الله تعالى عليه ارتجز قائلاً:

أتى على فسلوني تخبروا سيفي حسام وسناني أزهر

منا النبي الطاهر المطهر وحمزه الخير وصنوي جعفر

له جناح في الجنان أخضر ذا أسد الله وفيه مفخر

هذا الهزبر وابن هند مجحر مطرد مذذب مؤخر

فاستقبله بسر قريباً من التل فطعنه على عليه السلام ولم يعرف أنه بسر، فانحنى سيفه فدفعه بيده فصرعه على وجهه وانكشفت عورته فانصرف عنه على، فناده الأشر: يا أمير المؤمنين إنه بسر، فقال: دعه لعنه الله فحمل ابن عم بسر على عليه السلام وهو يقول:

أرديت بسراً والگلام ثأره أرديت شيخاً غاب عنه ناصره

فحمل عليه الأشر وهو يقول:

أكل يوم رجل شيخ شاغره وعوره وسط العجاج ظاهره

تبرزها طعنه كف واتره عمرو وبسر رميا بالفاقره

وطعنه الأشر فكسر صلبه، قام بسر من ضربه على عليه السلام وولت خيله وناده أمير المؤمنين على عليه السلام: يا بسراً... معاويه كان أحق بهذا منك، فرجع بسر إلى معاويه، فقال له معاويه: ارفع طرفك فقد أدال الله عمراً منك، فقال في ذلك النضر بن الحارث:

أفي كل يوم فارس تندبونه له عوره وسط العجاجه باديه

يكف بها عنه عليّ سنانه ويضحك منها في الخلاء معاويه

بدت أمس من عمرو ففنع رأسه وعوره بسر مثلها فرج جاريه

ص: ٩٧

فقولاً لعمر بن الخطاب وأبصاراً سبيلكما لا تلقيا الليث ثانياً

ولا تحمداً إلا الحيا وخصا كما كانتا والله للنفس واقية

فلولاهما لم تنجوا من سنانة وتلك بما فيها عن العود ناهية

متى تلقيا الخيل المشيحه صبحه وفيها على فاتر كا الخيل ناحيه

وكونا بعيداً حيث لا تبلغ القنا وحمى الوغى إن التجارب كافيته

وإن كان منه بعد في النفس حاجه فعودا إلى ما شتتا هي ماهيه

وكان بسر بعد ذلك إذا لقي الخيل التي فيها على عليه السلام تنحى ناحيه عنه. وفي النصائح الكافيته محمد بن عقيل. (١) وقد أشار الإمام على عليه السلام بقوله: يمنح القوم سبته إلى مكيدته عمرو بكشف عورته فراراً من القتل، فقد ذكر المدائني، وابن الكلبي، وغيرهما من أهل السير أنّ علياً كرم الله وجهه حمل على عمرو في بعض أيام صفين، فلما تصوّر أنّه قاتله ألقى بنفسه عن فرسه وكشف سوءته مواجهاً له عليه السلام، فلما رأى ذلك منه غض بصره عنه، وانصرف عمرو مكشوف العوره ونجا بذلك، فصار مثلاً لمن يدفع عن نفسه مكروهاً بارتكاب المذله والعار وفيه يقول أبو فراس:

ولا خير في ردّ الردى بمذله كما ردّها يوماً بسوءته عمرو

وروى مثل ذلك قصه بسر بن أرطأه (٢) معه كرم الله وجهه، فإنّه حمل على بسر فسقط بسر على قفاه، ورفع رجله فانكشف عورته فصرف على عليه السلام وجهه عنه، فلما قام سقطت البيضة عن رأسه فصاح أصحابه: يا أمير المؤمنين إنّه بسر بن أرطأه، فقال: ذروه لعنه الله، فلقد كان معاويه أولى بذلك منه. فضحك معاويه، وقال: لا عليك يا بسر أرفع طرفك ولا تستحى فلنك بعمره أسوه، وقد أراك الله منه ما أراه منك، فصاح فتى من أهل الشام أما تستحيون، لقد علمكم عمرو كشف الاستاء ثم أنشد: إلخ... .

وعلى كل حال فهذا الفعل لا يدخل تحت عنوان التقيه جزماً، بل حتى تحت عنوان قاعده أخف الضررين، التي سيأتى الكلام عنها في محله - إن شاء الله تعالى - وأوردته ليعلم أن التقيه حكم شرعي وكشف العورات حرام.

ص: ٩٨

١- (١). النصائح الكافيته، ص ٧٤.

٢- (٢). الاستيعاب، ابن عبد البر، ١، ١٦٥-١٦٦- السيف والسياسة، صالح الورداني، ص ١٣٢- السيره الحلبيه، ٢/٤٩٨- الروض الأنف، أبو محمد المعارفي المدخله، ٣/٢٥٧.

من موارد التقيه، عدم هدم قبور النبي (صلوات الله تعالى عليه وآله) ومن دفن معه، وإلا فما الفرق بين هذا القبر أو ذاك؟

ومن مواردها أنه جرت مناظره بين اثنين من منكري التقيه من جهه، ومع الدكتور عبد الحميد النجدي - أستاذ في جامعه إسلاميه في لندن، والدكتور التيجاني - باحث تحول إلى التشيع -، في إحدى القنوات التلفزيونيه الفضائيه، حيث استدل الدكتور التيجاني بمقطع أقره الأزهر كان على شكل قطعه فنيه - تمثليه - فتخلل هذا المقطع مقطعاً موسيقياً، وما إن تمّ تشغيل جهاز التسجيل من قبل الدكتور التيجاني، وسمع مناظره صوت الموسيقى رفعا أيديهما وأخذا يناديان بحرمة سماع هذا المقطع، ولا أظن أن أحدهما يفعل هذا الفعل مع أحد حراس بيت رأس الدوله، التي ينتمى إليها أحدهما، بل حتى مع الشرطي الذي يقف بباب الإذاعه. وكفى بذلك تقيه... مع العلم بأن رأس الدوله مسلماً من نفس مذهبه... .

محاكاه وحوار مع الأدله

من خلال التعرض لما نقلت من أدله القوم - بشكل عام - على المداراه والتقيه من تفسير الآيات القرآنيه الشريفه الخاصه بالمقام ومتون الروايات، التي نقلتها مصادرهم وسنه الصحابه، التي يعتمدونها كمنبع للاستنباط وأقوال وأفعال التابعين وأقوال الفقهاء، فالكلام الآن يقع في البحث الدلالي من مجموع ما تقدّم من الأدله تتضح الأمور التاليه:

أولاً: أنهم قد جمعوا بين التقيه والمداراه، حتى كأنه يفهم أن بينهما ترادف، وما ينفعا في المقام أنّ التقيه عندهم أوسع وأشمل نطاقاً ممّا نذهب نحن إليه من الفصل بينهما، ولكلّ عندنا دليله الخاصّ به التأكيد على استخدام المداراه أو التقيه، وتتضح الثمره في كون المداراه سلوكك خلقى تربوي محض لتقيه المجتمع لو خالفها المكلف يحاسب بالعنوان الثانوي، وأمّا التقيه فمسأله فقهيه حساب المكلف المخالف لها يكون بالعنوان الأولي، وكما سيأتي، وإن اتحدا هدفاً وغايه كما سيتضح إن شاء الله تعالى.

ثانياً: من خلال قراءه الأدله السابقه يستشف منها موارد للاستحباب وكذا يمكن اقتناص الوجوب.

ثالثاً: عدم وجود دليل على كونها خاصه باللسان، كما نقلوه عن ابن عباس، بل هي

مترشحه على الفعل أيضاً، وفقاً لما جاء في الدليل الثالث من الروايات. وليست كذباً كما قال ابن تيميه: (١) (والتقاء ليست بأن أكذب وأقول بلساني ما ليس في قلبي، فإن هذا نفاق...) فهذا أول الكلام، وخلاف ما جاء في الأدلة السابقة.

رابعاً: أما البحث السندي فاعتقد أنه لا حاجة له في المقام بعد ورود روايه البخارى، وإنما تكتسب الروايات الضعيفه بذلك قوه. بل قد يكون ذلك سبباً في القطع بالصدور. ثم إن ما نقلته يكفي في أنها موضع اتفاق كافة المذاهب، فإن ما جاء سابقاً ليست مجرد روايات في كتاب، إنما سيره للصحابه والتابعين والفقهاء.

خامساً: ممّا تقدم لم يعثر على المعارض لهذه الأدله، فينتهى إلى ما وصل إليه هذا الجمع منه بخصوصها.

سادساً: إذا وصل الحد إلى هتك حرمت المؤمنين، أو المداهنه لا تشرع التقيه أو المداراه.

وبعد هذا العرض الذى قدمته من كتب أتباع المذاهب تبين أن التقيه، التى عندهم تستخدم فى كل شىء، حتى إذا أراد أن يتكلم من كان متفقاً عليه بين مجموعه معينه أن يكون هو الخليفه المعين من قبل، وهذا الكم الكبير من المصادر يكفي بأن التقيه مشروعه عند الجميع.

نعم إذا حصل تلاعب بالألفاظ وقيل إن التقيه غير المداراه فلا بأس ولكن مع كل هذا يبقى أصل التعامل ينصب فى مجرى واحد إذا لم نقل بتوسع عندهم، أو عندنا التقيه وعندهم المداراه فلا يشكل على أحد دون أحد.

تحليل حال

فى الحقيقه كلما تأملت فى ما قام به المتشددون فى إجبار الناس على التلفظ بكلمه، فإنهم بهذا الفعل، كما قال الله تعالى: وَ مَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ (البقره: من الآيه ٩)، لأنهم من سوء تفكيرهم وضحاله وسخافه عقولهم يطلبون كلمه أو فعلاً يريحون به أنفسهم؛ لأن هذا المطلوب إنما يقوم به الشخص المعنى هو فى الظاهر فقط ولا علاقه للباطن به، ففى الحقيقه إن من يحارب الحق وأهله هو الذى يخدع نفسه؛ لأنه يعلم أنه لا يستطيع أن يدخل أعماق هذا المؤمن ويغير من عقيدته شيئاً.

ص: ١٠٠

وهذا الكلام نفسه يقال فى حق من لا يتسع صدره للآخرين، ولا يهمله مخالفه من خالف.

ومن مثل على صلوات الله تعالى عليه؟

يا رب هذا الغسق الدجى والفلق المبتلج المضى

بين لنا عن أمرك المقضى بما نسمى ذلك الصبى

خصصتما بالولد الزكى والطاهر المنتجب الرضى

وإسمه من قاهر على على اشتق من العلى

ص: ١٠١

هذا الفصل خاصّ بمسألة إجازة الكذب في مواضع حددها الشارع المقدّس لظروف استثنائية، ولو لم يكن ذلك ما نجا من أحد، وإنّ ذلك في الحقيقة من أطفاف الله تعالى علينا. فقد جاء في الأثر عنه (صلوات الله تعالى عليه وآله) كما نقل في الفتاوى الكبرى لابن تيمية: (١) سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: (ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمى خيراً أو يقول خيراً) متفق عليه، وفي روايه لمسلم: (ولم يرخص في شيء ممّا يقول الناس إلاّ في ثلاث يعنى الحرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأه زوجها) (٢) في روايه له: قال الزهري: ولم أسمع يرخص في شيء ممّا يقول الناس أنّه كذب إلاّ في ثلاث، وعن أسماء بنت يزيد بن السكن، أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم خطب الناس فقال:

أيها الناس ما يحملكم على أن تتابعوا في الكذب كما يتتابع الفراش؟ كل الكذب يكتب على ابن آدم إلاّ ثلاث خصال: رجل كذب امرأته ليرضيها، ورجل كذب بين امرأين ليصلح بينهما، ورجل كذب في خدعه حرب.

رواه الترمذى بنحوه ولفظه: (لا- يحل الكذب إلاّ في ثلاث) وقال: حديث حسن و يروى - أيضاً - عن ثوبان موقوفاً ومرفوعاً: الكذب كله إثم إلاّ ما ينفع به المسلم أو دفع به عن دين فلم يرخص فيما تسميه الناس كذباً، وإن كان صدقاً في العبارة، ولهذا لما قال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: لم يكذب إبراهيم إلاّ ثلاث كذبات، قوله لساره: أختي، وقوله: بل فعله

ص: ١٠٣

١- (١). الفتاوى الكبرى، ١٩١/٣.

٢- (٢). كما لو قال الزوج لها: أنت أجمل النساء، والواقع ليس كذلك.

كبيرهم، هذا وقوله إني سقيم والثلاث معاريض وملاحه فإنه قصد باللفظ ما يطابقه في عبارته لكن لما أفهم المخاطب ما لا يطابقه سمى كذباً، ثم هذا الضرب قد ضيق فيه كما ترى. يؤيد هذا التفسير ما روى مالك، عن صفوان بن سليم: أن رجلاً قال لرسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم:

«أكذب امرأتى فقال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم... إلخ».

وقد جاء في مداراه الناس لابن أبي الدنيا، (1) وغيره نقلاً عن النبي صلوات الله تعالى عليه وآله كان يقول:

«لا أعده كذباً، أو لا أعده كاذباً، أو ليس بالكاذب، وذكر الموارد، ومما نقل عنه كمثل: (2) [حدثنا أحمد بن جميل أخبرنا عبد الله بن المبارك أخبرنا يونس... عن الزهري أخبرنا حميد بن عبد الرحمن بن عوف، أن أمه وهى أم كلثوم بنت عقبه بن أبي معيط، أخبرته أنها سمعت رسول الله يقول: «ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس ويقول خيراً وينمى خيراً» قال ابن شهاب: «ولم أسمع يرخص فيما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأه زوجها. حدثنا داود بن عمرو الضبي حدثنا داود بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، أن رسول الله خطب الناس فقال:

«كل الكذب يكتب على ابن آدم إلا ثلاث خصال رجل كذب امرأته ليرضيها ورجل كذب بين امرأتين ليصلح بينهما ورجل كذب في خديعه الحرب...» .

ومما تقدم يتضح أن الكذب الشرعي أخص من الكذب اللغوي، فلا ترض أن يخلطوا عليك الأمر وتستخدمهما في معنى واحد مع الأنبياء.

وقفه عند أبي الأنبياء: عليه وعلى نبينا وآلهما الصلاه والسلام أنه جاء في معاريضه عن البخاري ومسلم وغيرهما: أنه لم يكذب [وحاشاه من الكذب] إلا ثلاث كذبات، وقالوا: إن ثنتين منهن في ذات الله، والثالثة في ساره، وإنها كانت معاريض، وقد كان مأموراً بها، وكانت

ص: ١٠٤

١- (١) . مداراه الناس، ص ١٣١-١٣٣.

٢- (٢) . راجع [الفتاوى الكبرى ابن تيميه، ١٩٢/٣- منهاج السنه النبويه ابن تيميه، ٤٢٨/٢- مجموع الفتاوى ابن تيميه، ٢٢٤/٢٨- مداراه الناس ابن أبي الدنيا، ص ١٣٢- الصمت ابن أبي الدنيا، ص ٢٤٥- الجامع للأزدى، ١٦٢/٢- معتصر المختصر أبوالمحسن، ٢٤٢/٢- مسند الشاميين الطبراني، ٢٠٥/١- جزء الألف دينار لأبي بكر القطيعي، ص ٤٨٣- كتاب العيال لابن أبي الدنيا، ٧٧٤/٢- الأدب المفرد للبخاري، ص ١٣٩- الإحياء للغزالي، ١٣٧/٣- الفصل للوصول المدرج للخطيب البغدادي، ٢٦٠/١ وحتى، ص ٢٧١- تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقي، ٥١/٣- كنز العمال للمتقى الهندي، ٤٨٦/٣].

منه طاعه لله، والمعارض قد تسمى كذباً. (١) إلا أنه قد تكلم في ذلك صاحب صحيح شرح العقيدة الطحاوية حسن بن علي السقاف: (٢) «وحدِيث أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات، آحاد معارض للآيه، ويمكن تأويله أن ذلك في حالة الاضطرار».

مخالفه روايتى البخارى ومسلم للقرآن

علماً أن هاتين الروايتين مخالفتان للقرآن الكريم مخالفه صريحه لا تقبل النقاش والتأويل، كما أوردها البخارى ومسلم، فكيف يصح الكتابان بعد ذلك والله لا أعلم!!!

جاء فى البخارى (٣) أنه:

لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ثِنْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى قَوْلُهُ: (إِنِّي سَوِّقِيمٌ)، وَقَوْلُهُ: (بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا) وَقَالَ: بَيْنَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ وَسَارَهُ إِذْ أَتَى عَلَى جَبَّارٍ مِنَ الْجَبَابِرَةِ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَذَا رَجُلًا مَعَهُ أَمْرَةٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ فَأَرْسَلْ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ عَنْهَا فَقَالَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَ: أُخْتِي فَاتَى سَارَهُ قَالَ يَا سَارَهُ لَيْسَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مُؤْمِنٌ غَيْرِي وَغَيْرِكَ ...

فوقع فى مخالفه صريحه للآيتين الكريمتين من قوله تعالى: فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ (العنكبوت: من الآية ٢٦)، وَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (الذريات: ٣٥)، فخفيتا عليه نصره لخليل الرحمن. وقد التفت مسلم إلى هذه المخالفه كما التفت غيره لها وهو صاحب عون المعبود محمد آبادى، (٤) فأبدل مسلم لفظ (ليس على وجه الأرض مؤمن غيرى وغيرك) بلفظ آخر

ص: ١٠٥

١- (١). الفتاوى الكبرى ابن تيميه، ١٩١/٣- درء التعارض ابن تيميه، ١٤١/٤- منهاج السنه النبويه ابن تيميه، ٤٢٨/٢- مجموع الفتاوى ابن تيميه، ٣٣٤/٣ و ٣٤٢/٦ و ١٥٩/١٩- الرد على البكرى ابن تيميه، ٧٠٨/٢ و ٧٢٤- كرامات الأولياء اللالكائى، ص ٨٨- مسند ابن المبارك، ص ٦٣- تعظيم قدر الصلاه المروزى، ٢٢٨/١ و ٢٧٣- مسند الحارث (زوائد الهيثمى)، ١٠١١/٢- الفردوس بمأثور الخطاب إلكيا، ٣/٤٥٠- العلل الوارده فى الأحاديث النبويه الدارقطنى ٨/ ١٠٦- فضائل الصحابه النسائى ص ٨٠- تفسير ابن كثير ١٤/٤- تفسير البيضاوى ١/١٦٨ و ٩٩/٤- الجامع الصحيح المختصر البخارى ص ١٧٤٦- البرهان فى علوم القرآن الزركشى ٨٨/٢- تفسير أبى السعود ١/٤٢- تفسير البغوى ٣/٢٤٩- سنن الترمذى (الجزء الخاص فى التفسير) ص ٣٠٨- السيره الحلبيه ٢/٣٨٧- الخصائص الكبرى السيوطى ٢/٣٨١ و ٤١٥- التنبيه والرد على أهل الأهواء أبى الحسين محمد الملقى ص ٩٤- تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثاله الأغب ابن حميرص ٩٢ و ٩٥- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه فى العقيدة ابن تيميه ٣/٣٣٤ و ٦/٣٤٢- شرح كتاب التوحيد سليمان بن عبد الله ص ٣٩٢- الفصل فى الملل ابن حزم ٤/٥- تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقى ٤/١٣٨- كنز العمال للمتقى الهندى ١١/٢٨٣ و ١٤/١٩٩ و ٢٠٠ و ٣١٧- زياده الجامع الصغير للإمام السيوطى ١١٣ و ١١٤ و ٢٨٢.

٢- (٢). صحيح شرح العقيدة الطحاوية، ص ٤٠٣.

٣- (٣). كتاب أحاديث الأنبياء ٤/١١٢ ح ٣١٠٨.

٤- (٤). ٢١٣/٦، فأشكل عليه بأن لوطاً عليه السلام كان معه لكن رجع ودافع عنه والدفع مردود بما ذكرت.

وهو: (١) (فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري و غيراك) . فوقع الآخر مع ذلك في مخالفه قوله تعالى: فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ* فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (الذريات: ٣٥ و٣٦) الذي خفى عليه، فأى صحيح يخالف القرآن الكريم.

ومن الطبيعي جداً يسهل الحكم على عدم صحة الكتابين بعد معرفه الخلل، ولكن سيحاول المدافعون عن صحتيهما التبرير بأعذار واهيه، وأقول: لماذا لا يكون المدافع شجاعاً ويعترف بالخطأ؟ أيهون كتاب الله، وكذلك أحد أنبياء أولى العزم، و خليل الرحمن على البخارى ومسلم وعليك؟ علماً إنه لم يعين أرض الطاغيه بتعيين ما، ولكنه عليه وعلى نبينا وآلهما أفضل الصلوات والسلام قال كما زعموا:

«فَأِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ». (٢)

وما يمكن الحديث عنه هنا أنه إذا رُخصَّ في الكذب أو استثنى منه موارد بعينها كما علمت، فالتقيه (٣) إنما شرعت لحفظ دم المسلم وماله وعرضه، وعلى ما مرَّ سابقاً من أن عنوان الظالم عنوان عام يشمل الفرد من عامه الناس، أم من الفقهاء من القضاء، أم من الحكام والسلاطين من أى طائفه من المسلمين - لأن كل من يهتك حرمت المسلم الثلاث المتقدمه من دون مسوغ فهو ظالم - جاز استخدامها حينئذٍ. ولا أتصور هدفاً نبيلاً مهماً عند الله تعالى وعند رسوله صلوات الله تعالى عليه وآله والمؤمنين أسمى من حفظ النفس والعرض والمال، وبالتالي حفظ المجتمع من التآكل، ومما تقدم يتضح للقارئ مدى التشويه الذى تعرض له هذا المبدأ، وذلك من خلال الفهم الخاطئ مع الأسف الشديد.

الواقع

هذه توريه ليس غير، فإنه عليه وعلى نبينا وآلهما أفضل الصلوات والسلام أخبر بواقع هذا الطاغيه لا يفهمه، فأين الكذب؟ والحق علينا أن نتأدب عندما نذكر أنبياء الله تعالى ورسله وإلا فما هو فرقنا عن الكفره حينئذٍ؟ وهل يتجرأ أحد أن يقول نفس الكلام مع أحد الصحابه، فما لكم كيف تحكمون؟

ص: ١٠٦

١- (١) . كتاب الفضائل مسلم، ٩٨/٧ ح ٤٣٧١.

٢- (٢) . من الطبيعي أن بحث المخالفه بحث عارض فانتبه والبحث الأساس فى إباحه التوريه أو الإخبار بخلاف الواقع عند الاضطرار.

٣- (٣) . هذا على قبول كون ما صدر عن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا وآلهما أفضل الصلاه والسلام هو الكذب الشرعى لا الأعم، وهو النظر فى المطابقه للواقع وعدمها، فتأمل!

ورد كل من الكتمان والتقيه والمداراه فى كتبنا، كل تحت عنوانه وبنفس درجه التأكيد التى عند القوم؛ وذلك فى أمهات كتبنا للحفاظ على المؤمن من جهه، وكذلك هذا المجتمع الذى أسسه نبى الرحمه صلى الله عليه و آله إلى أن يأتى القائم المؤمل عجل الله تعالى فرجه الشريف وجعلنا من أنصاره والمستشهادين بين يديه ليقوم الأود وينتهى الظلم الذى تسلط على البشريه - إن شاء الله تعالى.

ولا أتصور أن يتطلب هذا البحث الإتيان بتلك الأدله المذكوره فى كتبنا الغراء، فإن أصل الاعتراض قائم علينا من خلال اطلاع المنكرين على أدلتنا وما ورد فيها من نصوص تحث عليها. نعم قد نحتاج إلى مرور سريع لعرض الشرائط الواجب توفرها فى متعلق التقيه وهو فى البحث الآتى.

شرائط العمل بها:

لعمل بها وضع الشارع المقدس نظاماً خاصاً بها على نحو القاعده الكليه، ويبقى التطبيق وتعيين الموضوعات من واجب المكلف ووظيفته. على أنه يمكن إجمالها بما يلحق الضرر بالنفس أو العرض أو المال، ولو أمكن التمويه على الطرف المقابل بأن يشعره أنه يقوم بفعل يوافق ما يتبناه ذلك الطرف لم تشرع التقيه، ولتأكيد ما ذكرت راجع المسائل (١) فى الرساله العمليه ك- (منهج الصالحين للسيد الشهيد الثانى محمد صادق الصدر أعلى الله مقامه). وجاء فى البحار: (٢) عن أبى جعفر عليه السلام قال:

«إنما جعلت التقيه ليحققن بها الدماء، فإذا بلغ الدم فلا تقيه».

ص: ١٠٧

١- (١). منهج الصالحين المسائل من (١١٤-١١٨).

٢- (٢). البحار، ٣٩٩/٧٢.

لو تصفحنا كتب الشيعة الفتاويه - وهي التي يرجع إليها المكلف في عباداته ومعاملاته والتي تسمى أيضا بالرسائل العمليه - لا نجد باباً خاصاً بالتقيه، بل نجد أحكاماً معينه في نقاط الخلاف على شكل مسائل. (١)

ومما يؤسف له أنّ هناك من يتصور أنّ الشيعة يرجعون إلى فتوى تقول: التقيه ديني ودين آبائي وأجدادي، أخذوا بها من كتب الحديث التي عندنا. والصحيح أنّ هذه الكتب يرجع إليها علماء الشيعة في عمليه استنباط الأحكام الشرعيه، وذلك هو الخطأ الفادح الذي ارتكبه هؤلاء؛ لأنهم يتعاملون معنا وكأننا نملك الصحيحين، وأي شخص إذا أراد فتوى معينه يرجع إليهما ويجد ضالته هناك.

فالحق إذن أنّ علماء هذه المدرسه المباركه - أعلى الله تعالى مقامهم - يرجعون إلى هذا الحديث وما شابهه من قبيل الأصل الموضوع، يستفاد منه في باب تعارض الأدله فيما إذا كانت روايتان أو أكثر من الروايات المعتره بأى نحو من الاعتبار في مسأله فقهيه أو عقائديه إحداهما موافقه للمذهب وأخرى مخالفه له مثلاً فيتم حمل الموافقه للعامه على التقيه أو لكى يرى الظالم وقوع الخلاف بين الأتباع فيتركهم - كما سيأتى في بحث لاحق من الروايات - للحفاظ على أتباع الإمام صلوات الله تعالى عليه هذا.

إنّ المنهج العلمى للتعامل مع فكر قوم أو طائفه يبدأ من فهم طرقهم وأسسهم وقواعدهم التي تم الاستناد عليها في عمليه تشييد تراثهم الفكرى.

فإذا أردنا أنّ نتعامل مع أى ظاهره في أى مجال علينا أن نبدأ في حوارها ومحاكاتها من الجذر، وهذا هو الحوار المبنائى أو ننظر إلى تطبيقاتها، وهذا هو الحوار البنائى، عندها يكون أساس التعامل صحيحاً. وهذا هو المنهج العلمى الذى يفترض أن يتبعه من كان يريد أن يصل إلى نتيجته صحيحه.

ومثال الحوار المبنائى المناقشه في المنهج المتبع في الجرح والتعديل أو نظريه عداله الصحابه من رأس أو فى دعوى صحه البخارى ومسلم. وأخرى بنائياً فيكون النقض متناولاً ما

ص: ١٠٨

١- (١). كما إنك لا تجد للقول بالتحريف أى أثر في رساله العمليه ما لو رجعت إلى باب القراءه في كتاب الصلاه، فلو آمن الفقهاء بالتحريف لذكروا ما يجوز قراءته في الصلاه وما لا يجوز... .

تم الوصول إليه من نتائج، فيما لو خالف البناء المبني، ومثاله فيما لو تم تضعيف روايه أو راوٍ على غير القاعده مثلاً.

وهذا الأسلوب يفتقر إليه بعضٌ في الحوار، ولا أدرى سبباً لذلك أهو ناشئ من قله التدبر أم التخليط على الآخرين فقط؟!

ومما يؤسف أنّ هؤلاء يتعاملون مع التراث الشيعي على أساس تعاملهم مع ما موجود عندهم من كتب أحاديث وروايه، كيف ذاك؟

وأكرر القول إنهم يتصورون أو يصورون أننا نتعامل مع كتبنا وكأنها صحيحه من الجلد إلى الجلد - البحار مثلاً أو غيره من كتب الحديث - ويصدقون هذا التصور، ثم يبدوون بالنقض المتوهم، فما لم يفهم هذا الجانب - أننا لا نتعامل مع موسوعاتنا تعاملهم مع موسوعاتهم - لا يكون الحوار مجدياً معهم - أنفسهم - أما مواصلتنا الحوار لكي لا يفهم بعض أننا نقف أمام ما يتصور من إشكالات موقف المتحير.

والصحيح أنّ باب الاجتهاد مفتوح عندنا حتى في علم الرجال، ولا يقتصر ذلك على بابي الفقه والأصول، فكل ما يدخل مرحله الاستنباط تناله يد الفقيه أو العالم من حيث السند والمتن بحثاً، وليس لأي أحد أن يأخذ فتواه من كتاب البحار أو الكافي، ومن يفعل ذلك كان عمله محكوماً بالبطلان، ومن أراد مزيد اطلاع فليبحث عن هذه المسألة في باب التقليد من كل رساله عمليه لفقيه أو مرجع شيعيٍّ أصوليٍّ اثني عشرى.

هناك مغالطتان يُتَّخَلَّطُ بينهما من النقض علينا، ولكن بدورى سأجيب عليهما إن شاء الله تعالى بما يتيسر حلاً ونقضاً... .

المغالطه الأولى

قد يُدَّعى فيها أن قولنا: (التقيه دينى...)، فهذا معناه أنه لو أجبرك حاكم أو كافر أو ظالم أو غيرهم على أكل لحم الخنزير فيكون تفسير الحديث: (أكل لحم الخنزير دينى ودين آباءى وأجدادى) وهو إشكال ضعيف.

وجوابه أنه ليس كذلك والصحيح أن الموضوع يكون:

أكل لحم الخنزير - تقيه أو خوفاً على نفسى من الهلاك - (هذا هو الموضوع)، وهذا الفعل من الدين (وهو المحمول)، فالتقيه والصوم والصلاه... إلخ هي من الفروع فيكون إنكارها إنكار للدين، فتكون القضية المتشكله تمام موضوعها (أكل لحم الخنزير - تقيه أو خوفاً من الهلاك لا مطلقاً - دينى...)، ولا محذور فى ذلك كما ذكرت، فيتضح محل المغالطه أين يكون، فالموضوع فى مدعى الإشكال غير موضوع الحكم الشرعى. وللتقريب أضرب لك مثلاً آخر فى البسكويت المصنوع على شكل خنزير، فلو قيل: هذا خنزير وأكل الخنزير حرام، فأكل هذا الخنزير - أى المصنوع من البسكت - حرام، ومعلوم أن هذا ليس بخنزير، بل هذه دميّه خنزير.

ويشكل أيضاً بأن عندنا روايه في البحار (١) تقول: «عن سليمان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا سليمان، إنكم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله»، وكتمان الدين نقض للغرض وقد توعد الله من يفعل ذلك في القرآن الكريم باللعن، حيث قال تبارك وتعالى في (البقره: ١٥٩): إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ .

أقول: نحن لا ننكر مثل هذه الروايات كما أنه توجد غيرها، كما في البحار. (٢)

فيكون الأمر واضحاً من خلال أدنى تأمل لأولى الأبواب إنَّ في ذلكَ لَعَذَابٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (ق: ٣٧).

والجواب على ذلك: أننا نمنع الكبرى - فالموجه الكليه تنتقض بسالبه جزئيه - فنقول: من أين للمستشكل إثبات أن كل كتمان هو نقض للغرض؟ فهذا أول الكلام... ونقض عليه بكتمان النبي صلوات الله تعالى عليه وآله والصحابه الأوائل أول الأمر حتى جاء أمر الله تعالى بالإذاعه: فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (الحجر: ٩٤، ٩٥).

ثم إنَّ الله تعالى خير رسوله الكريم صلوات الله تعالى عليه وآله بين الحكم بين أهل الكتاب أو الإعراض عنهم، فقال العزيز الحكيم: سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاؤَكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئاً وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (المائده: ٤٢)، وهناك أمر أخفاه النبي صلوات الله تعالى عليه وآله وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبدي به (الأحزاب: من الآية ٣٧) فهل يحكم على هذا الموقف بالكتمان؟ وبصريح عبارته إن التقيه كتمان ولكن ليس مطلقاً، بل كتمان مأمور به - أو مشرع أما درجه المشروعيه فمسكوت عنها الآن - عندها يتضح موضوع الكتمان المنهى عنه. وتأيد ذلك من خلال هاتين المقدمتين، أما الأولى منهما: فإنه لا شك أن الدين إيمان، وأما الثانية: فمقتنصه من الآية الشريفه وهى قوله تعالى: وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ

ص: ١١٢

١- (١) . البحار، ٧٢/٧٢.

٢- (٢) . نفس المصدر، ٧٣/٧٢، ٧٤.

(غافر: من الآية ٢٨)، فيكون كتماننا من هذا القبيل لا من قبيل مصداق الآية التي أوردتها المستشكل في المقام، ونفس هذه الآية الشريفه تأتي نقضاً على توهمه فتأمل.

ثم إنَّ الإمام صلوات الله تعالى عليه لا يأمر أتباعه بكتمان الدين حتى بينهم، بل كان ذلك عن الظالمين والوشاه من أتباعهم لا مطلق العامه - أعنى أتباع المذاهب - ومن يراجع كتب الرجال عندنا لوجد كثيراً من العامه يروون عن الأئمه، حيث كانوا من جملة من يروى عنهم كما سيأتي فتابع.

حديث الغريب

وهو بحث وددت التطرق إلى ما جاء في كتب المسلمين منه على ألفاظ متعدده، أُطْلِقُ عليه هذا الاسم وهو حديث الغريب وهو كما يلي:-

١. إن الدين بدأ غريباً وسيعود غريباً.

٢. إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً.

٣. إن الإيمان بدأ غريباً وسيعود غريباً.

أما دلالة الحديث الشريف فأبينها من جهات:

الأولى: لا أحد ينكر أنَّ الإسلام بدأ بالكتمان (١) ومطاردته الأعداء، وكل من شرح الحديث فهم ذلك وهو أنَّ الدين بدأ بالكتمان وسينتهي إلى الكتمان.

الثانية: إنَّ الكتمان يحصل مع المخالف لا أقل في مرتبه العلم فضلاً عن المخالف في أصل العقيدة، وكما سيتضح آخر الكتاب وليس مع المؤلف.

الثالثة: إنَّ المعنى المتقدم يؤديه ما ورد عن الإمام الصادق عليه أفضل الصلاه والسلام سوى تغيير في الألفاظ.

الرابعة: استخدم صلوات الله تعالى عليه وآله (السين) التي هي للمستقبل القريب لا (سوف) التي للبعيد، فيعنى أن التحقق موعده قريب وبعيد رحيله صلوات الله تعالى عليه وآله مباشرة، فحصل الاختلاف على الخلافه.

ص: ١١٣

١- (١). والكلام الآن ليس في تشخيص الغرباء من يكون وأتباع أى مذهب هم، بل في غربه الدين نفسه وسيأتي الكلام في تشخيص الغرباء.

الخامسة: قوله صلوات الله تعالى عليه وآله:

«فظوبى للغرباء» أى: لمن كتم دينه، والمستشكل يريد أن ينزل اللعنه عليهم، فكلام من يتقدم ومن نصدق؟!!

السادسة: تشخيص الغرباء من بين المسلمين قد عُلِمَ، وعليه فقد أقيمت الحجة على من عِلِمَ، والمسألة مسأله أخرى وغير متعلقه بالأهواء.

وأما بين أهل المعتقد الواحد فالكتمان بين أهل مراتب العلم كما سيتضح آخر الكتاب، وأما فوائده فمنها: المحافظه على أرواح المؤمنين من القتل وكذلك باقى حرمتهم. ومنها: تخفيف حده التوتر العرقى والطائفى والمرتبى لئلا يتحول المجتمع إلى غابه، ومنها: بقاء المؤمن وصاحب المبادئ فى نزاعه متخذاً جانب التعقل والخوف من الله تعالى، فلا يتصرف كما يتصرف المقابل.

مصادر الحديث

تجدها فى الهامش، (1) حتى يتضح أنّ هناك روايات بالأمر فى الكتمان عمن يستحل حرمت

ص: ١١٤

١- (١) . مسند أحمد، ١٨٤/١، ٣٩٨ و ٣٨٩/٢ و ٧٣/٤- سنن الدارمى، ٣١١/٢، ٣١٢- صحيح مسلم، ٩٠/١- سنن ابن ماجه، ١٣١٩/٢- سنن الترمذى ١٢٩/٤- شرح مسلم النووى ١٧٥/٢، ١٧٧ و ٢١/١٨- مجمع الزوائد الهيثمى ١٠٦/١، ١٥٦ و ٢٥٩/٧، ٢٧٧- ٢٧٩، ٣٠٩- فتح البارى ابن حجر ٦/٧ و ٣٥٧/١٢- الديباج على مسلم جلال الدين السيوطى ١٥٩/١- ١٦٥ و ٢٢٣/٦- تحفه الأحوذى ٣ ص ٢٧١ و ٣١٨/٧ و ٣٣٨/٨- المصنف ابن أبى شيبه الكوفى ١٣٤/٨- مسند ابن راهويه ٣٨٢/١- مسند سعد بن أبى وقاص أحمد بن إبراهيم

ثم إن ما تضمنه هذا الحديث يتفق مع البحث التالي فتابع.

حديث القابض على دينه

ورد هذا الحديث الذي يفيد أن:

«القابض على دينه كالقابض على الجمر»^(١) بألفاظ متعددة، ولكنها متقاربه المضمون كذلك، حيث جاء أنه: «قال النبي صلى الله عليه وسلم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر حتى إذا رأيتم شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثره، وإعجاب كل ذي رأى برأيه، ورأيت أمراً لا يد لك به، فعليك بخاصه نفسك، وإياك وعوامهم، فإن وراءكم أياماً صبر الصابر فيهن كالقابض على الجمر، ولهذا جعل للمسلم الصادق في هذا الوقت إذا تمسك بدينه أجر خمسين من الصحابه، ففي سنن أبي داود والترمذي من حديث أبي ثعلبه الخشني قال: «سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه الآية: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَصُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ (المائدة: من الآية ١٠٥)، فقال: بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثره، وإعجاب كل ذي رأى برأيه، فعليك بخاصه نفسك ودع عنك العوام، فإن من ورائكم

ص: ١١٥

١- (١). (شرح قصيده ابن القيم ابن قيم الجوزيه ٢/٤٦٣- يقظه أولى الاعتبار القنوجي ٢٠٣- شرح الزرقاني ١/٩٥- افتراق الأمم الصناعاني ٧٥- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه فى الفقه ١١/٥٥٦- تحفه الأ-حوذى المبار كفورى ٦/٤٤٥ و٨/٣٣٨- عون المعبود العظيم آبادى ١١/٣٣٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير المناوى، ٤/٤٨٨ و٦/٥٩٠).

أيام الصبر، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن أجر خمسين رجلاً- يعملون مثل عمله، قلت: يا رسول الله، أجر خمسين منهم. قال:

أجر خمسين منكم...» (١) فانظر إلى ما تحته خط وإياك أن تنزلق في متاهات المتعجرفين الداعين إلى القتل والقتال وهتك الحرمات، فهذا هو الكتمان الذي أمرنا به. وفي الفتن لنعيم بن حماد: (٢) «ويكون الإسلام في زمانه غريباً كما بدأ غريباً، فيومئذ المتمسك بدينه كالقابض على الجمره [وكخارط القتاد] وحتى يصير من أمره أن يرسل بجاريه في الأسواق عليها بطيطان من ذهب يعنى الخفين ومعها شرط عليها لباس لا يوارىها مقبله ومدبره ولو تكلم في ذلك رجل كلمه ضربت عنقه». وفي كشف الخفاء للعجلوني: (٣) «يأتى على الناس زمان يكون المؤمن أذل من شاته».

وكل ما ذكر هو عين الصواب وعين الحكمة والعقل... ولكن ماذا تفعل لمن ركز جهده لقتل الذين يدخلون المساجد ويصلون الصلوات الخمس، وترك الدول الإسلاميه (بالاسم) يشربون الخمر ويفعلون كل الموبقات، وإن كنا لا نأمر بقتل هؤلاء، ولكن انظر إلى مبدأ القتل المجرمين كيف يسير بالمقلوب. ولمزيد اطلاع فليُنظر في المصادر المؤشره. (٤)

ومما تقدم يظهر للقارئ كيف أن المؤمن في آخر الزمان لا- يستطيع أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهل يوصف هذا بالكتمان الملعون صاحبه؟ فإن خالفت قول نبيك صلى الله تعالى عليه وآله: (فعليك بخاصه نفسك ودع عنك العوام) فما هو حكمك؟ إلا أن تكتم على نفسك وتسير بين المسلمين بالتقيه.

ثم إنَّ القابض على الجمر يمكن أن يتصور في حالات ثلاث، فإما أن يتحمل أو يذيع أو ينحرف (٥) وكما يلي:

ص: ١١٦

- ١- (١). مدارج السالكين ابن قيم الجوزيه ١٩٨/٣-١٩٩.
- ٢- (٢). الفتن، ٣٨٧/١، ٣٩٦، ٤٠٣.
- ٣- (٣). كشف الخفاء، ٥٣٥/٢.
- ٤- (٤). عون المعبود محمد آبادي ٣٣٣/١١- يقظه أولى الاعتبار القنوجي ٢٠٣- نواذر الأصول في أحاديث الرسول الترمذي ١١٩/١، ٣٢٧/٢، ٣٢٩- الفردوس بمأثور الخطاب إلكيا ٤٤٥/٥- تاريخ واسط بحشل ١٣٢- علل الترمذي للقاضي أبو طالب القاضي ٣٢٩- الرسالة المستطرفه الكتاني ٩٧- التمهيدي ابن عبد البر ٢٥٠/٢، ٢٥٢، ٢٥٥- شرح الزرقاني ٩٥/١- بغيه الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ١٨٣٢/٤- طبقات الحنابلة ابن أبي يعلى ٢٦٢/١- المناظره في القرآن ابن قدامه ٥٦- السنن الوارده في الفتن أبو عمرو الداني ٣٩٦/١- كنز العمال للمتقى الهندي ١١٠/١، ١١٥/١٤- إمتاع الأسماع المقريزي ٣٣٥/١٢، ٣٤٣...
٥- (٥). سيأتي لاحقاً في الحديث التالي وهو حديث دعاه الضلاله ما يعطى هذا المعنى وهو أن الرجل يصبح مسلماً ويمسى كافراً فتابع.

١. أن يظل متمسكاً بدينه كاتماً صوته لا يبوح بعقيدته بالرغم من شدة الألم، وهذا هو الكاتم المتحمل.

٢. أن ينادى بأعلى صوته من الألم فيفتضح أمره، وهذا المذيع أو المرائي.

٣. أن يلقي الدين كلاً أو بعضاً تماشياً مع التيارات وتنازلاً للآخرين، كمن يتنازل عن بعض العقائد أو جميعها لكي يحصل على مؤيدين.

أحاديث أيام الفتن

من تابع الأحاديث التي وردت عنه صلوات الله تعالى عليه وآله تجد أوامره تنصب على الانزواء عن الناس، وعدم الولوج فيها والصمت والعزله وما إلى ذلك مما يفضي إلى الكتمان... فراجع كتب الحديث في باب الفتن.

حديث دعاه الضلاله

وردت أحاديث كثيره تتحدث عن فتن آخر الزمان، منها ما في كثر العمال للمتقى الهندي: (١) «تكون فتن على أبوابها دعاه إلى النار، فأن تموت وأنت عاض على جذل شجره خير لك من أن تتبع أحداً منهم... ستغربلون حتى تصيروا مثل حثاله من الناس قد مرجت عهودهم، وخربت أماناتهم، قال قائل: فكيف بنا يا رسول الله؟ قال: تعملون بما تعرفون وتنكرون ما تنكرون بقلوبكم... ستكون بعدى فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً، قيل: كيف نصنع؟ قال: ادخلوا بيوتكم وأخملوا ذكركم قيل: أرأيت إن دخل على أحدنا بيته؟ قال: ليمسك بيده وليكن عبد الله المقتول! فإن الرجل يكون في فئه الإسلام فيأكل مال أخيه ويسفك دمه ويعصى ربه ويكفر بخالقه وتجب له النار... يا حذيفه، تعلم كتاب الله واعمل بما فيه قال: يا رسول الله، هل بعد هذا الخير من شر؟ قال: فتن على أبوابها دعاه إلى النار، فلأن تموت وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحداً منهم... يأتي على الناس زمان لا يسلم لدى دين دينه، إلا من فرّ من شاهق إلى شاهق أو من جحر إلى جحر، كالثعلب بأشباله، وذلك في آخر الزمان إذا لم تنل المعيشه إلا بمعصيه الله،

ص: ١١٧

فإذا كان كذلك حلت العزبه، يكون في ذلك الزمان هلا-ك الرجل على يدي أبويه إن كان له أبوان، فإن لم يكن له أبوان فعلى يدي زوجته وولده، فإن لم تكن له زوجته ولا ولد فعلى يد الأقارب والجيران، يعيرونه بضيق المعيشه ويكلفونه مالا يطيق حتى يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها... إنه سيصيب أمتي في آخر الزمان بلاء شديد لا- ينجو منه إلا- رجل عرف دين الله فجاهد عليه بلسانه وبقلبه، فذلك الذى سبقت له السوابق، ورجل عرف دين الله فصدّق به... أتانى جبرئيل عليه السلام آنفا فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قلت: أجل، إنا لله وإنا إليه راجعون، فمم ذلك يا جبرئيل؟ قال: إن أمتك مفتتنه بعدك بقليل من الدهر غير كثير، قلت: فتنه كفر أو فتنه ضلاله؟ قال: كل ذلك سيكون، قلت: ومن أين ذاك وأنا تارك فيهم كتاب الله؟ قال: بكتاب الله يضلون، وأول ذلك من قبل قرآئهم وأمرائهم، يمنع الأمراء الناس حقوقهم فلا- يعطونها فيقتتلون، ويتبع القراء أهواء الأمراء فيمدون في الغي ثم لا يقصرون؛ قلت: يا جبرئيل! فبم سلم من سلم منهم؟ قال: بالكف والصبر، إن أعطوا الذى لهم أخذوه وإن منعه تركوه». وفي الجامع للأزدى: (١) «أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتاده، عن نصر بن عاصم الليثي، عن خالد بن خالد الشكري، قال: خرجت زمن فتحت تستر حتى قدمت الكوفه، فدخلت المسجد، فإذا أنا بحلقه فيها رجل صدع من الرجال حسن الثغر يعرف فيه أنه من رجال الحجاز، قال: فقلت من الرجل؟ قال القوم: أو ما تعرفه؟ قال: قلت: لا. قالوا: هذا حذيفه بن اليمان صاحب رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم، قال: فقعدت وحدث القوم أنّ الناس كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر، فأنكر ذلك القوم عليه، فقال لهم: إني سأحدثكم ما أنكرتم من ذلك جاء، الإسلام حين جاء فجاء أمر ليس كأمر الجاهليه وكنت قد أعطيت في القرآن فهما، فكان رجال يحيئون فيسألون رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم عن الخير، وأنا أسأله عن الشر، فقلت: يا رسول الله، أيكون بعد هذا الخير شر كما كان قبله؟ قال: نعم. قال: قلت: فما العصمه يا رسول الله؟ قال: السيف، قلت: وهل بعد السيف بقيه؟ قال: نعم، تكون إماره على أقداء وهدنه على دخن، قال: قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم ينشأ دعاه الضلاله فإن كان لله في الأرض

ص: ١١٨

يومئذ خليفه جلد ظهرك وأخذ مالك فالزمه (١) وإلا فمت وأنت عاض على جذل شجره، قال: قلت: ثم ماذا... ولمزيد اطلاع خذ هذه المصادر. (٢)

ومنه يتضح انهيار إشكال الكتمان، وذلك بمشروعيته ومشروعيه مذهب المعتقدين به منذ وفاه النبي صلوات الله تعالى عليه وآله، بل ترجع دائره الشكوك المثاره تحوم حول غيره المعتقد بعدم مشروعيته ومشروعيه التقيه.

ثم إن الكتمان له وجهان، الأول: ما يخجل الإنسان من إظهاره، وهو أن يظهر الإنسان شيئاً محبوباً ويخفي ما يستقبح، فهذا غير مرضى به، قال الله تعالى: يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطاً (النساء: ١٠٨)، وأما الثاني: فهو ما بخلافه وهو أنه يستخفي من الناس ولا يستخفي من الله، فمن أراد أن ينقض على الثاني فليثبت أنه باطل، عندها يحق له أن يشكل كما يجب.

على أن ما ورد مما تقدم من أحاديث يصلح بنفسه أن يصطف مع الأدله المصوبه لمشروعيه التقيه، بل والكتمان فانظر وتأمل.

كما تدين تدان

بناء على هذا الفهم أقول: يمكننا نحن أن ننقض على صاحب المغالطه الأولى بما يذهب إليه فأقول:

كما فسرت رواياتنا في التقيه بما مر، فنحن نفسر ما جاء من روايات مشابهه في أبواب آخر من كتبه، فهل يقبل ذلك أحد؟ وإلا فكيف يقبل أصل الإشكال!! وعليه سأتولى تفسير عده من تلك الروايات تباعاً وعلى مذاقه:

ص: ١١٩

١- (١). وبألفاظ أخرى جاء: (فإن لقيت خليفه...) والمهم أنه لا بد من خليفه الله وأنه يكون معصوماً، إلا فكيف يأمر بمثل هذه الطاعة وهو مخالف لما ورد في أحاديث أخر تأمر باتباع أولى الأمر فيما يرضى الله تعالى فقط.. فتأمل وابحث عنه لثلاث تموت وليس في عنقك بيعه لإمام.. ثم إنك تجد هذا المعنى قد تحقق في معركة صفين عندما طلب أمير المؤمنين عليه السلام أن يبايعه المؤمنون على الموت، فبايعه مائه رجل راجع ملحق المصادر في معركة صفين، ص ٢١٩.

٢- (٢). فضائل القرآن، النسائي، ١٠٠- الفتن، نعيم بن حماد ٣٧/١- حليه الأولياء، الأصبهاني، ٢٧٢/١- صفه الصفوه، ابن الجوزي ٢٠٤/١- المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري ٣٨٩/٢- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال أبو عبيد البكري ٩- البيان والتبيين الجاحظ ٢٢٠- صبح الأعشى في صناعة الإنشا القلقشندى ٤/١٤- كتاب جمهره الأمثال أبو الهلال العسكري ٢٧١/١- مجمع الأمثال، أبو الفضل النيسابوري ١٦١/١، ٣٨٢/٢- الجامع للأزدى، ٣٤٢/٢- عون المعبود، محمد آبادي ٢١٢/١- التدوين في أخبار قروين، القزويني ٤٣٧/٢- تهذيب الأسماء، النووي ٩٨/٣- العلل ومعرفة الرجال ابن حنبل ٢٠٥/٢- السنن الواردة في الفتن أبو عمرو الداني ٣٧/١- كثر العمال، للمتقى الهندي ١٢٩/١١، ١١٢/١٤، ١٣٩، ٣٠١- مفردات ألفاظ القرآن، للأصفهاني ٢٥٠- زياده الجامع الصغير، للإمام السيوطي ٢٣١.

الأول: يا أيها المستشكل يتوجه إليك نفس السؤال في قاعده أخف أو أدنى الضررين، (١) فلو اضطرت امرأه إلى الزنا أو أنها تموت جوعاً أو عطشاً وتصرفت بموجب قاعده أخف الضررين، وكما هو معلوم أن هذه القاعده من الدين، فيكون على ما ذهبت أنت إليه أن الزنا من الدين، فهل يصح هذا التفسير؟ الجواب حتماً كلا.

الثاني: من خلال حجيه سنه بعض الصحابه ينقض بما يلي:

- فعله عمرو بن العاص في حرب صفين السابق ذكرها سنه صحابي وسنه الصحابي من الدين، إذن كشف العورات من الدين.
 - وكذلك فيما حصل بين الصحابه من لعن وقتال، فهذه سنه للصحابه وسنه الصحابه من الدين، فلعن الصحابه وشمهم وقتالهم والتكيل بهم من الدين.
 - مقوله أبي بكر: (تأول فأخطأ)، فتكون هذه قاعده في الوصول إلى بعض أحكام الدين، والنتيجه أن الخطأ بعض أحكام الدين.
- الثالث: جاء في كتب المسلمين روايات عن النكاح والترغيب فيه، وكذلك في الترغيب في أمور أخرى وقد أتيت ببعض منها كشاهد، وذلك كما ذكر في أدناه:-

المبسوط للسرخسي: (٢) «وقال صلى الله عليه [وآله] وسلم: النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني، ولهذا قال علماءنا رحمهم الله تعالى النكاح أفضل من أشكال عباده الله في النوافل...». وكذلك في بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني: (٣) «قال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم: (النكاح سنتي) والسنن مقدمه على النوافل بالإجماع، ولأنه أوعده على ترك السنه بقوله: (فمن رغب عن سنتي فليس مني...». (٤)

وجاء أيضاً في مسند أبي يعلى: (٥) «النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم قال: (من تزوج فقد أعطي نصف العباده...».

ص: ١٢٠

-
- ١- (١) . شرح مسلم النووي ١/٢٢٣ و ٣/١٩١ - فتح الباري ابن حجر ٦/٢٧٨، ٢٧٩ و ٨/٣٢١، ٣٥٧، ٣٦٩ و ١٠/٣٦١، ٤٣٥ - تحفه الأحوذى المباركفوري ٨/٢٣٥ - المستصفي الغزالي ٧١، ١٧٨ - الاحكام الآمدى ٢/١٣٥.
 - ٢- (٢) . المبسوط، ٤/١٩٣.
 - ٣- (٣) . بدائع الصنائع، ٢/٢٢٩.
 - ٤- (٤) . كنز العمال المتقى، الهندي ١٦/٢٧١: (٤٤٤٠٧) - النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني..)، وكذا في فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوى ٢/٥٤٩ و ٤/٤٧٦ - وفي كشف الخفاء، العجلوني ٢/٣٢٤: (٢٨٣٣) - النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني...). وأيضاً في فتح الباري، ابن حجر ٩/١٩.
 - ٥- (٥) . مسند أبي يعلى، ٧/٣١٠.

وفى الجامع الصغير لجلال الدين السيوطى: (١) «إن أنواع البر نصف العبادة، والنصف الآخر الدعاء...» (٢) و«عمل البر كله نصف العبادة، والدعاء نصف، فإذا أراد الله تعالى بعبد خيرا انتحى قلبه للدعاء»، كنز العمال المتقى الهندي: (٣) «٣١٣٦- إن أنواع البر نصف العبادة، والنصف الثانى الدعاء...٣١٣٧- عمل البر كله نصف العبادة» جامع البيان ابن جرير الطبرى: (٤) «قال: قالت لأنس: يا أبا حمزه أبلغك أن الدعاء نصف العبادة؟ قال: لا، بل هو العبادة كلها». أحكام القرآن الجصاص (٥)

«قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: (عمل البر كله نصف العبادة والدعاء نصف العبادة...».

وتعليقاً على ما مر بحسب الفهم القاصر للدليل:-

يكون الزواج هو كل سنة النبى صلوات الله تعالى عليه وآله، فلتكن حياتنا كلها زواج فقط وننتهى.

وثبت أن الشيخين منعاً تدوين السنه وأحرقاها، فيكونا قد أحرقا الزواج، راجع المصادر التالیه فى حرق السنه والمنع من تدوينها (٦) كما سيتضح.

ثم إننا نعلم بأنّ الشىء ينقسم إلى نصفين لا أربعة أو ثلاثة أنصاف، وعلى كل حال من أخذ بنصفين مما تقدم فليترك الحج والجهاد والصوم والصلاه؛ لأن هذه عباده وبناء على ما تقدم من الأنصاف ليتشكل له دين واحد كل كما يحلو له وينتهى الأمر فلا تعب ولا نصب، بل كما قال أنس: عليهم أن يتفرغوا للدعاء فهو كل العبادة... .

الرابع: عن طريق حديث إن الدين النصيحة ورد فى كتب المسلمين: (إن الدين النصيحة...)، ومما تحت يدي من المصادر ما يقارب ٣٠٠ مورد يذكر فيها ذلك، أنقل منها ما جاء فى كتب ابن تيميه وأترك الباقي حيث جاء فى: منهاج السنه النبويه (٧) ومجموع الفتاوى. (٨)

ص: ١٢١

-
- ١- (١). الجامع الصغير، ١/٣٤٠ ح ٢٢٢٧.
 - ٢- (٢). الصغير، جلال الدين السيوطى ١٨٠/٢.
 - ٣- (٣). كنز العمال، ٢/٦٥.
 - ٤- (٤). جامع البيان، ٢٤/٩٩.
 - ٥- (٥). أحكام القرآن، ٣/٤٤.
 - ٦- (٦). سنن ابن ماجه، ١/١٢- سنن الدارمى، ١/٨٥- مستدرک الحاکم، ١/١٠٢، ١١٠- كنز العمال، ١٠/٢٨٥ و ١٠/٢٩١-
 - الذهبي فى تذكره الحفاظ، ١/٥- طبقات ابن سعد، ٥/١٤٠.
 - ٧- (٧). منهاج السنه، ٤/٥٤٢ و ٥/١٤٦.
 - ٨- (٨). مجموع الفتاوى، ١/١٩.

وتعليقاً على هذا الحديث، فإنَّ على المسلمين أن يقفوا على رؤوس الشوارع والأزقه ليس لهم شغل شاغل إلا تقديم النصيحة للناس - فقط - فهي كل الدين، ولماذا يتعبون أنفسهم في غير ذلك.

ثم إنَّه كما مر في (ص ١١٥)، قد يقال: إن الإجازة بالكذب من الدين على تفسير صاحب الإيراد، والحق أنَّ الموضوع ليس تاماً، بل يقال: الإجازة بالكذب بموارد الحديث من الدين.

تعقيباً على ما تقدم

أرجو التدبر في هذه فقره بالذات أقول: إذا كان التعامل مع النصوص بهذا الشكل فهنيئاً للأئمة الإسلاميه على مثل هذا المستشكل، فإنَّه مسخ لكل شىء... فهل يقبل المسلمون هذا الأسلوب في التعامل مع النصوص؟ فإن لم يرض المسلمون ذلك - وهو المنطق السليم - فعليهم أن يتدبروا... وأرجو التأمل و الله ولى التوفيق.

رجوع إشكال الكتمان على ملقيه

أما مصداق الآيه الكريمه المذكوره فهو من منع تدوين السنه النبويه المطهره، وحرقت ما تم تدوينه منها، وقد ورد عنه صلوات الله تعالى عليه وآله أنه قال:

«أم حسب امرؤ منكم وقد شبع حتى بطن وهو متكئ على أريكته لا يظن الله تعالى حرم شيئاً إلا ما فى القرآن، ألا إني قد حدثت ووعظت بأشياء هي مثل القرآن أو أكثر وأنه...» (١)

ومن أراد المزيد فليراجع المصادر التي تحدثت عن منع تدوين السنه من رأس، وكذلك من أحرقت ما كتب منها. (٢)

ص: ١٢٢

١- (١). جزء أشيب الأشيبي البغدادي، ٧٣/ - مسند الحميدى، ٢٥٢/١ - الآحاد والمثاني الضحاك، ٤٤/٣ - مسند أبي يعلى الموصلى، ٣٤٦/٣ - شرح معاني الآثار أحمد بن محمد بن سلمه، ٢٠٩/٤ - مسند ابن حبان، ١٨٩/١، ١ - المعجم الأوسط، الطبراني، ١٨٤/٧، ٢٩٢/٨، ٣٥٠ - المعجم الكبير، الطبراني، ٣١٦/١، ٣٢٧/١، ١١٠/٤، ٢٥٨/١٨، ٢٧٤/٢٠، ٢٨٣ - مسند الشاميين، الطبراني، ٤٠٠/١، ١٣٧/٢، ١٠٣/٣، ١٣٧/٣ - سؤالات، حمزه الدارقطني، ٥/ - سنن الدارقطني، ١٩٠/٤ - أدب الإملاء والاستملاء، السمعاني، ٩ - موارد الظمان، الهيثمي، ٥٥ - القول المسدد فى مسند أحمد، لأحمد بن على بن حجر، ٨٧ - الجامع الصغير، جلال الدين السيوطى، ٤٦٨/١ - كنز العمال، المتقى الهندي، ١٧٣/١، ١٩٤).

٢- (٢). بل المنع حتى من الروايه. راجع ملحق المصادر، ص ٢٣٦.

٧. نتيجة الأدلة من الناحية الشرعية

بعد هذا العرض لأدلة المسلمين التي تناولت التقيه أو المداراه نخلص إلى النتائج المترتبة على هذا المبدأ، وأقول المبدأ بالإفراد؛ لأنه في الحقيقة كلاهما يرجع إلى أمر واحد، وإن كان بينهما عموم وخصوص مطلق من جهة المداراه. فلو نظرنا إلى فعل النبي صلوات الله تعالى عليه وآله في الحادثتين نظره تحليليه تتضح لنا من خلالها أمور منها وكما يلي:

الأول: وهو مشروعيه هذا الفعل: حيث ذكر النبي هذا الرجل بذلك الوصف - ولا يقال: إن النبي صلوات الله تعالى عليه وآله قد اغتابه - في الأولى وفي الرواية الثانية نراه قد خبا للمعنى شيئاً، وهذان كموقفين يدلان على مشروعيه استخدام مثل هذا الأسلوب. وفعل النبي صلوات الله تعالى عليه وآله حجه، والقدر المتيقن منه أنه مباح إن لم نقل بغير ذلك.

الثاني: الغايه: وهى دفع الضرر عن النفس.

الثالث: متى تشرع: التقيه تشرع إلى حد لا يسمى هذا الفعل مداهنه.

الرابع: لا- تقيه فى المواضع التاليه: إذا لزم أو تسبب ذلك فى هتك حرمة مؤمن آخر، فإن هدف التقيه حفظ حرمة المؤمن المضطر، فإذا وصل الأمر إلى ذلك فلا تشرع قطعاً، ومن ارتكب الهتك كان فعله حينئذ مداهنه أو غيرها وليست تقيه، فيحرم ذلك عندها. وكذا إذا أمكن إراءه المخالف مشهداً من دون أن نغير من الفعل الذى نقوم به، كما لو مسح ظاهر القدمين أثناء تحريكهما لوضعهما تحت مجرى الماء؛ لإراءه المخالف غسلهما فيجب المسح ثم الغسل مثلاً.

الباب الثالث: آثار التقيه

اشاره

ص: ١٢٥

بصفتي شيعي بشكل خاص وعراقي بشكل عام أتحدث عن طائفتي، وكذلك عن أبناء شعبي - كنموذج - وعن تداخله الاجتماعي الذي أجد أن من نعم الله تعالى علينا فيه أن الذي يروم الزواج - على سبيل المثال - رجلاً كان أو امرأه في الغالب - إلا عند بعض المتشددین (1) من الطرفين - ما يسكت عن سؤال وهو: هل فلان أو فلانه من الشيعة أم من السنه؟ نعم، قد يكون عالماً قبلُ بذلك، فإما أن يقدم أو يحجم من رأس، وهذا الأمر سبب في حصول التداخل الذي حفظ المجتمع من حرب أهليه تترك الدمار كما حصل في بلدان أخرى، وأراد بعض المنتفعه والأشرار زرع ذلك، وحصلت بوادر تشير إلى حصول فتنه ولكن على نطاق ضيق، وذلك بعد أن جرّبت القوات الأجنبيه أحد الأَطراف في حصول الحرب على نطاق واسع ولكنها لم تفلح، وأفلحت في استخدام طرف آخر في زرع هذه الفتنه بالتعاون مع بعض الدول المجاوره، ولم يحصل أي رد فعل عنيف إلا بعد الاعتداء بتدمير قبه الإمامين العسكريين ونهب ما في المرقد الشريف من آثار.

وتلك نعمه - واقعاً - جعلتنا متسامحين من هذه الناحيه، بل قد نجد ذلك واضحاً من خلال علاقه مع رجال الدين حتى المسيحيين منهم، حيث نجد احترامهم أمر مفروغ منه، من قبل أفراد أي طائفه.

ص: ١٢٧

١- (١). التشدد الذي أعنيه هنا ليس معناه حمل السلاح، بل الارتباط بأهل العقيده وعدم تقبل الطرف الآخر فقط ليس غير. نعم، ظهرت بعض البوادر وتم تهجير الشيعة وقتلهم على الهويه لا لشيء آخر ولكن هذا حصل وسيحصل من قبل أطراف ليس لها علاقه بالدين ولا الخلق، وهي معروفه فلا أصرف وقتاً في الحديث عنها... بل قتلوا من اسمه على وحسن وحسين وغير ذلك من أسماء أهل البيت عليهم السلام، كأنهم الذين حاربوا الدين من بنى أميه وغيرهم.

وأؤكد على أنه قد حاولت بعض الأنظمة وبعض الدوائر إثارة نعره القتل والحرب الأهلية وأرجو أن يكون الفشل نصيبها، إذ أن من أراد أن يقتل شيعياً أو سنياً من النساء أو الرجال فعليه أن يفكر أولاً بقتل صهره أو زوجه ابنه وأطفاله أو أطفالها أولاً، وهكذا يتم تصور عظم المصيبة لو حصل شيء من هذا - لا سمح الله تعالى - لذا أوصى أبناء هذا الشعب أن يبقى متمسكاً وتمسكاً بهذا السلوك بالرغم من كل الخلافات العقائديه والفكرية والمنهجية.

فتصور أنت أيها المؤيد لفكره القتل على الهويه شيعياً كنت أم سنياً أنك ستقتل في فتنه عقيمه، وما ستركه هذه العمليه المنكره على بيتك أو بيت أقربائك أولاً، ثم على غيرك ثانياً، ثم المجتمع برمته.

ومما يلفت الانتباه أنك ترى الطيبه والتسامح غير المصنعين مرسومه على المراجع لا لأغراض سياسيه أو لكسب أتباع ومؤيدين، بحيث تؤثر على عقائد المرجع فيكون مدهاناً أو تكون أفكاره التقاطيه كما قد يتصور. ففرق بين مبدأ التسامح (١) وبين مبدأ (خذ ما نقد وذر ما اعتقد) وهو أسلوب واضح منه أنه سلوك لطريق الانتهازيه والالتقاطيه - ولا أريد اتهام أحد بهذا أو أمتدح حزباً معيناً، إنما هو كلام عام، وكمثال نذكر السيد الشهيد الأول وبعض السالكين نهجه (قدست أرواحهم) - فإنه قد وصل بهم الحد إلى الاستشهاد من أجل المبدأ، ولو كانوا من أهل المدهانه والالتقاطيه ما اختاروا الشهاده، بل لقدموا الغالي والنفيس فداءً للحياه كما يفعل بعض، والواقع غير هذا، ولكن تركيبه المجتمع وأسلوبه الحضاري فرض على العلماء والمفكرين والمثقفين تصرفاً معيناً، (٢) فإنه لكل مقام مقال ولكل حادثه حديث. وإذا أردنا أن نصف الاستفاده من أى تجربه بأنها التقاطيه ما نجا من هذا الوصف أحد مطلقاً إلا المعصومين - عليهم أفضل الصلاه والسلام أنبياء أم أئمه بوجه ما - بل أصل مبدأ أخذ الفكره وتطويرها والاستفاده من تجارب الآخريين من لوازم هذا العالم المتغير المتطور. ووصل الحد إلى أن مرجعيه العراق صورها مغرضون بأنها غير عربيه، حتى رسموا للهيئه العلميه في النجف الأشرف

ص: ١٢٨

١- (١). وقف الفرس - كما يسمونهم - مع الفلسطينيين وخذلهم العرب والمسلمون، مع أن منهم من يكنّ العداء لشيعه العراق وإيران، وأبّين الزرقاوى. وهذه هي شيمه مراجع الدين، بل ووقفوا مع الكويت في محنتهم والقومى دمّر بلدهم ولم يكتب على الصاروخ للصفويين فقط... مساكين.

٢- (٢). وهذا الأمر ليس خاصاً بمرجعيه دون أخرى، بل تجد المفكر الإسلامى الشيعى بشكل عام يتصف بهذه السمه؛ لما يحمله من نهج قوييم وما ذكرته عن العراق ما هو إلا كنموذج كما نوهت عنه، وإلا فلو تابعت علماء الشيعه لوجدتهم كذلك جميعاً، بحيث شارك مراجع الدين الإيرانيين في ثوره العشرين العراقيه.

طابعاً غير عربي، (١) بل كاد الناس أن يصدقوا أن العراقيين ليس فيهم عالم أصلاً، أو يكون ولكنّه إما يستشهد أو يكون عميلاً للنظام بحسب الاتهام والتصوير. كما وصل الحد إلى أن المرجع العراقي لا يستطيع تأديبه دوره في بلده بضغط من الحكام كي تبقى التهمه قائمه، وعليه لم تظهر كثير من آثار علمائنا من أمثال الشيخ المظفر وآخرون، كالشيخ حسين الحلّي الذي يفخر من تتلمذ على يديه في النجف الأشرف. هذا كله إذا أردت أن أتحدث بصفتي عراقي، وأما كوني شيعياً بغض النظر عن الانتماءات الأخرى، فإنني أجد في نفس هذه الرؤيه عند حملة هذا المبدأ العظيم، فلم يقل أحد بانحصار التشيع في قومه دون أخرى، بل ولا الإسلام، بل نجد علماءنا تعاملوا مع القضية الفلسطينية تعامللاً لم أر مثله حتى في من يدعى القومي، بالرغم من تعامل بعض قيادات هذه القضية مع الشيعة تعامللاً طائفيّاً، ولا أريد الخوض في التفاصيل إنما كان ذلك من باب الإشارة.

ونعود إلى صلب الموضوع فأقول: إنّ الإفراط من قبل بعض المخالفين سبّب ظهور الحاجه إلى التقية، والتفريط من قبل بعض المؤمنين سبّب ظهور الحاجه إلى الحث عليها، ونتيجة لذلك تظهر العقوبه بأن قد يكون عدم العمل بها إلقاء إلى التهلكه فتحل العقوبه.

ولكى لا يفهم بعض أن التسامح ناتج عن الخوف، فنحن نشدد مع المتشدد ونتسامح مع المتسامح ولا أتصور طريقاً أفضل من الوسط، وهو التسامح وقبول الرأي الآخر وعدم التطرف (٢) الذي يوصل إلى التقاتل، فالأصل التفاهم وتلاقح الأفكار؛ لكي تظهر نتيجته طيبه يستفيد منها المجتمع، ولا نريد بالتسامح الذي يؤدي إلى المداهنه وترك المعتقد.

ص: ١٢٩

١- (١). وكانّ الدين عربي خاص بالعرب، وهذا من التعصب الأحق، والحق أنّ التشيع أسمى من أن ينحصر في قومه أو وجهه معينه.. هذا إن كانت هناك قومه عربيه فعلاً وأما الأبقاق التي تتهم الشيعة بالصفويه ولم يتعرضوا يوماً إلى السلاجقه والعثمانيين الأتراك فمسكينه.

٢- (٢). التطرف في العقيدته أمر مهم جداً، بل حق، وهو أنك يجب أن تعتقد بأنك على الحق ١٠٠٪ وغيرك على خطأ ١٠٠٪. وإلا لما اعتنقت واعتقدت، ولكن إيصال العقيدته إلى الآخرين يجب أن يكون ذا أسلوب جميل حسن يتسم بالأخلاقه الكامله... ولذلك أمر الله جل جلاله نبيه موسى وأخاه هارون على نبينا وآله وعليهما الصلاه والسلام باتخاذ أسلوب اللين فقال تعالى: إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (طه: ٤٤، ٤٣).

إنّ الإسلام دين الحياه ومن إحدى الدعائم التي ركز عليها هذا الدين الحنيف هو الجانب التربوي للفرد والمجتمع على حد سواء، الذي له تأثير كبير على نشر السلوك القويم في الأمة، حيث يبدأ المؤمن بتحليه نفسه بالخلق الكريم ثم ينزل إلى المجتمع به ليكون مناراً يقتدى به.

ولنا في رسول الله صلوات الله تعالى عليه وآله أسوه حسنه، كما جاء في قوله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (الأحزاب: ٢١)، وكذلك في آل بيته الذين ركز عليهم مده تبليغه هذا الدين، حيث قال صلوات الله تعالى عليه وآله كما ورد عن مسلم: (١)

«أذكركم الله في أهل بيتي...» وامتداد له من بعده، فيثبت أولاً محبوبيه التعايش بالتي هي أحسن، فإذا تطلب موقف ما البراءه فهو كما ينبغي، وضرب الله تعالى لذلك مثلاً فقال: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعِدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَخِرَدَهُ (الممتحنه: من الآيه ٤)، وقال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (الممتحنه: ٦). فإذا علم مما سبق أن هذا النبي العظيم صلوات الله تعالى عليه وآله قد فعلها مع أصحاب كانوا يؤذونه: وَ مِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ... (التوبه: من الآيه ٦١) حتى أنهم وَ يَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ... (التوبه: من الآيه ٦١)، بل ترك من أراد قتله كما

حصل ليله العقبه، فحرى بالمسلم المؤمن أن يقتدى به. إلا أن يقال: إنه سوف يستغل هذا الأمر من قبل بعض، فالجواب واضح، وهو أن الموضوعات تابعه لتشخيص المكلف، فيكون ذلك تابعا له. فإذا تم هذا فإن المجتمع سوف يكون صالحاً متغاضياً إلى أن يأتي يوم تنكشف فيه الأمور بعض لبعض، فمن كان يحمل فكره سيئه عن أصحاب ذلك المعتقد قد يتبدل الرأي فيهم أو أن يعيش المجتمع بسلام. وهنا يأتي القول الذي نقلته سابقاً (ربما أغنت المداراه عن المباراه). هذا إضافه إلى استماله الطرف المقابل رأفه به لعله يتوفق في تقويم سلوكه أو اعتقاده بدلاً من سوء الأدب، إن كان من الطراز الذي تعامل معه النبي صلوات الله تعالى عليه أو يتوفق باتباع العقيدة الحقه - والكلام في الكبرى لا في الصغرى أى ليس الكلام فى تعيين الطائفه التي على الحق - كبديل عن الفكر الذي كان يحمله. وهذا فى حد ذاته جانب خلقى رفيع يدفع الفرد للتفكير فى هذا المجتمع لإنقاذه مما هو فيه ولا أقل يحصل التعايش السلمى بين أفراده.

ولما مر فإننا نلمس لهذا المبدأ القرآنى أثراً كبيراً فى امتصاص ما يؤدى إلى البغضاء بين أفراد المجتمع الواحد، ومن ثم ما قد تفرزه حاله النفرة بينهم من تفكك حيال المجتمعات الأخرى، فتكون الأمة طعمه سهله التناول من قبل الأعداء. وهذا يتضح إذا تصورنا أن مجتمعاً كبيراً تتكرر فيه مثل هذه الحاله. وإلا فإن النبي صلوات الله تعالى عليه وآله قادر على أن يؤدب المسيء من صحابته بطريق أو بآخر، كاتخاذ جانب الشده والعقاب: فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ (آل عمران: من الآية ١٥٩)، ولكنه لم يقتل حتى الذين نفروا ناقته كما ذكرت، ولم يقتل المنافقين لكى لا يقال:

«إنَّ محمداً يقتل أصحابه».(١) لذلك نرى النبي وآل البيت صلوات الله تعالى عليهم أجمعين قد سلكوا هذا النهج؛ للحفاظ على الأمة والدين، فترك أمير المؤمنين على بن أبى طالب أموراً أمام من لم يستجب له بعد إلقاء الحجه عليهم، وعایشهم واستخدم أسلوب إلقاء الحجه، هذا طول فتره حياته معهم حتى جاء يوم الشورى، واشتروا عليه أن يسير على نهج من كان من قبله فرفض، وكان بإمكانه قبول ذلك ثم يغير نهجه كما فعل عثمان بن عفان

ص: ١٣٢

١- (١). مجموع الفتاوى، ابن تيميه، ٤٢٢/٧. ونفس هذا التصرف فيه تقيه.

التعاشي السلمى من قبل آل البيت عليهم الصلاة والسلام

المتتبع لسيرتهم صلوات الله تعالى عليهم يقف متحيراً عند أمور يحسبها هينه وهى عندهم عظيمه، لما علمهم ربهم تبارك وتعالى ونبيه الكريم صلوات الله تعالى عليه وعليهم، وكذا العكس. حتى أننا نرى تمسك قسم ببعض حجج واهيه لتثبيت أحقيته غيرهم أو حبههم لهم عن طريق التسميه بأسمائهم أو التزواج مثلاً، ويرد على هذا التوهم أنّ التسميه - إن صحت الدعويان - ليس له علاقه بذلك مطلقاً، وإنما هم ضمن المجتمع وهذه الأمور تعتبر أمراً طبيعياً، وإلا فإنّ نفس التسميه ليست دليلاً تاماً على حب صاحب الاسم السابق تسميته به، وإن كان كذلك لكان الذى يسمى ابنه باسم غريب، كان محباً للمسمى السابق. وعلى كل حال فهذا على صلوات الله تعالى عليه عفى عن قاتله وأصحابه بعد انتهاء الحرب ولم يقم عليهم القصاص، ولنتصور أنه صلوات الله تعالى عليه نفذ حكم القتل بحق من أمسك به فى معركة ما، فسيأتى القوم بعد ١٣٥٠ عام مثلاً وسيقتلون شيعته تحت ذريعه قتله لهم، بل إنه لم يشارك بدم عثمان بن عفان وطالبوه به، والحق فإنّ ولاته وفعالهم هو الذى أعان على قتله وقتاله، وقسم من الصحابه هم المطالبون بدمه، ولكن قلب الحقائق ألبس الحدث الإمام وأتباعه صلوات الله تعالى عليه وعليهم، وممن ثار ضده أم المؤمنين، حيث كانت تنادى اقتلوا نعثلاً فقد كفر.

جاء فى المحصول للرازي: (١)

والاختلاف بحسب الطبقات: أنّ عثمان رضى الله عنه أخر عن عائشه رضى الله عنها بعض أرواقها فغضبت، ثم قالت: يا عثمان، أكلت أمانتك وضيعت الرعيه وسلطت عليهم الأشرار من أهل بيتك، والله، لولا الصلوات الخمس لمشى إليك أقوام ذوو بصائر يذبونك كما يذبح الجمل، فقال عثمان رضى الله عنه: ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ (التحریم: من الآيه ١٠)، فكانت عائشه رضى الله عنها تحرض عليه جهدها وطاقتها وتقول: أيها الناس، هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يبل وقد بليت سنته، اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً. ثم إنّ عائشه ذهبت إلى مكه فلما قضت حجها وقربت من المدينه أخبرت بقتل عثمان، فقالت: ثم ماذا؟ فقالوا: بايع الناس على بن أبى طالب، فقالت عائشه: قتل عثمان و

ص: ١٣٣

الله مظلوماً وأنا طالبه بدمه، والله، ليوم من عثمان خير من على الدهر كله... (١).

قال أبو الصلاح الحلبي في تقريب المعارف: (٢).

وذكر الطبري في تاريخه والثقفى في تاريخه قال: جاءت عائشه إلى عثمان، فقالت: أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر، قال: لا أجد له موضعاً في الكتاب ولا في السنه، ولكن كان أبوك وعمر يعطيانك عن طيبه أنفسهما وأنا لا أفعل، قالت: فأعطني ميراثي من رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: أو لم تجي فاطمه [عليها السلام] تطلب ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وآله فشهدت أنت ومالك بن أوس البصرى: أن النبي صلى الله عليه وآله لا يورث، وأبطلت حق فاطمه عليها السلام، وجئت تطليبه؟ لا أفعل. وزاد الطبري: وكان عثمان متكئاً، فاستوى جالساً وقال: ستعلم فاطمه أي ابن عم لها مني اليوم، أأست وأعرابي يتوضأ ببوله شهدت عند أبيك؟ قالا جميعاً في تاريخهما: فكان إذا خرج عثمان إلى الصلاه أخرجت قميص رسول الله صلى الله عليه وآله وتنادى: إنه قد خالف صاحب هذا القميص. وزاد الطبري يقول: هذا قميص رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبل وقد غير عثمان سنته، اقتلوا نعثلاً قتل الله نعثلاً.

وأكرر إن قتل المسلم قصاصه معلوم، ولكن على بن أبي طالب صلوات الله تعالى عليهما ترك الأمر وهو الولي حينذاك؛ لئلا يأخذ القتل من أتباعه مأخذاً عظيماً منهم، ومع ذلك كله لم نسلم من الطواغيت على مر الزمان.

كراهه إضمار نيه الشر

جاء عنهم صلوات الله تعالى عليهم ذلك وما هو إلا- تربيته للمسلمين، وإلا فستكون الحياه أشبه بغابه يأكل فيها بعض بعضاً، وإليك النص فاقراً وتأمل، فعن (٣) الإمام أبي عبد الله عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان يقول:

من أشر سريره رده الله رداها، إن خيراً فخييراً، وإن شراً فشر. وعنه عليه السلام أيضاً:

«ما من عبد يسيّر خيراً إلا لم تذهب الأيام حتى يظهر الله له خيراً، وما من عبد يسيّر شراً إلا لم تذهب الأيام حتى يظهر الله له شراً». وعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: سألته عن الملكين هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعله، أو الحسنه؟ فقال: ربح الكنيف والطيب سواء؟! قلت: لا، قال: إن العبد إذا هم بالحسنه خرج نفسه طيب

ص: ١٣٤

١- (١). راجع ما يخص هذه الواقعة في ملحق المصادر كما مر سابقاً، ص ٢٢١.

٢- (٢). تقريب المعارف، ص ٢٨٦.

٣- (٣). الوسائل، للحر العاملي، ج ١ ص ٥٧ باب كراهه نيه الشر.

الريح، فقال صاحب اليمين لصاحب الشمال: قم فإنه قد هم بالحسنه، فإذا فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها له، وإذا هم بالسيئه خرج نفسه متنن الريح، فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين: قف، فإنه قد هم بالسيئه، فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه وريقه مداده فأثبتها عليه.

وفى مستدرک الوسائل للنورى: (١) «ما من عبد أسر خيراً فتذهب الأيام حتى يظهر الله له خيراً وما من عبد أسر شراً فتذهب الأيام حتى يظهر الله له شراً، وقال عليه السلام: وروى لا يقبل الله عمل عبد وهو يضم فى قلبه على مؤمن سوءاً».

فلا تضمم الشر فإن له آثاراً سيئه على نفسك، لأنك إن فعلت أتيت حراماً، وإن لم تفعل فإن كنت مصراً ولم تتمكن من فعله بُعِثَ على هيئه شريره وهى هيئه الشيطان - نعوذ بالله منه - إلا- إذا حبستها عن فعله مع التمكن. فلماذا تنتن جسدك وتلف نفسك وتحبط عملك؟ كان أحد المؤمنين إذا حصل بينه وبين بعض خللاً استغفر له فى صلاه الليل ليتوفق صاحبه إلى التوبه ويغسل المُسْتَعْفِرُ قلبه من نيه الشر التى تلبست بها نفسه، فلينظر مضمم الشر إلى وجهه ونفسه كيف يكون منظره بشعاً؟ سيتمثل له الذئب والسبع وكل حيوان ضار؛ لأنه لا يعرف سوى التآمر والتخطيط للقتل أو انتهاك حرمت الآخرين، ولتعلم بأن الشر سيكون عندك ملكه لا- تسيطر بها على فعالك فيؤثر ذلك حتى على علاقتك مع زوجك وابنك وكل قريب، فهل هذه حياه بالله عليك؟! فَتَعَلَّمْ... .

فنحن وإن أمرنا أئمتنا عليهم أفضل الصلاه والسلام بالتقيه إلا أنهم مع ذلك أمرونا بعدم إضمار نيه الشر لأحد؛ لأنه خلق ذميم يوصل المتخلق به إلا الوحشيه وشرب الدماء ونشوء حاله حب القتل شيئاً فشيئاً، كما هو معلوم من اتصاف بعض به كالنواصب الذين ينقمون على المسلمين حب آل البيت عليهم الصلاه والسلام، فيقتلونهم ويسمون طعامهم وماءهم ويشردون بهم لا لشيء إلا لحب آل البيت الأطهار.

فالتقيه مشروع غير متكامل إذا نظرنا إليه من زاويه واحده، وأما من زوايا ارتباطه بكل مفاصل الدين فهو مشروع أخلاقى تربوى، وسترى ذلك آخر المطاف.

فإن أشكل بلعن بعض من يستحق اللعن فجوابه واضح وصريح، من أن الدين ليس فيه

ص: ١٣٥

جانب التولى فقط، بل فيه كذلك جانب التبرى، بل إنه يسبق التولى وكما قال الله تعالى: فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ
عندها يقال عنه: فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى (البقره: من الآيه ٢٥٦). نعم هذا التبرى إذا كان لله تعالى فهو، وإلا - أى إذا كان
حاصلاً بسبب الخلاف بين الطرفين - فهذا غير مشروع؛ لأنه يتطلب قصد القربه.

وسياتى إن شاء الله تعالى آخر الكتاب تفصيل أكثر من ذلك بكثير أخرته لمصلحه أوفر، فتابع ذلك على بركة الله تعالى.

من الجدير بالذكر أنّ للجانب الاقتصادي ارتباطاً وثيقاً بالجانب السياسي وكلاهما لهما ارتباط بالجانب الاجتماعي. وعليه فإذا تعرضت أي أمة إلى تهديد خارجي فإنما يكون الرد بحجم توافق أبناء تلك الأمة، وذلك عند تناسي المشاكل الداخلية وصولاً إلى هدف أسمى. فإذا ضعفت الأمة اقتصادياً يسهل السيطرة عليها.

وواقع الأمة بعد نبينا أنها كانت مستمدة عظمتها من وجوده الشريف بين ظهرانيها، ولم تدم هذه البركة طويلاً، بل رفعت شيئاً فشيئاً إلى الحد الذي نرى عليه هذه الأمة اليوم، وما كان ذلك إلا بسبب تجاوز جاده الصواب وترك حبل الله تعالى الذي أمرنا بالاعتصام به.

ومن الجدير بالذكر أنّ الذي كان يدفع ثمن المحافظة على هذا الكيان هم الشيعة، كما أنهم كانوا القوه التي تلجأ إليها الأمة في الطوارئ، ومع كل ذلك نتعرض نحن إلى ما نتعرض إليه، وإليه تعالى المشتكى ومنه نستمد العون ونصبر لنوفى أجور الصابرين الصادقين.

جاء ذكر هذه الحادثة التي نقلتها كتب التاريخ ونقلها عنها عبد الحليم الجندی في كتابه الإمام الصادق عليه السلام قال: (١)

روى الكسائي، دخلت على الرشيد فقال: هل علمت أول من سن الكتابه على الذهب والفضه؟ قلت: عبد الملك بن مروان. قال: ما السبب؟ قلت: لا أعرف. قال: كانت القراطيس للروم وكان أكثر من بمصر على دينهم. وكانت تطرز (أباً وابناً وروحاً) وتخرج من مصر تدور في الآفاق. فأمر عبد العزيز - وكان عامله على مصر - بإبطال ذلك. وأن تطرز بصورة التوحيد. مشهداً الله ألا إله إلا هو. فلما وصلت

ص: ١٣٧

القرطيس إلى ملك الروم كتب إلى عبدالملك: إن لم يرد هذا الطراز على ما كان عليه فسيتنقش على القرطيس شتم النبي. فاستشار عبد الملك، فلم يجد عند أحد رأياً، فاستشار الباقر [عليه أفضل الصلاة والسلام]، فقال له: لا يعظم عليك هذا الأمر من جهتين. الأولى: أن الله تعالى لم يكن ليطلق ما تهدد به صاحب الروم. والثانية: أن تتهدد من يتعامل بغير دنانيرك، فلما علم ملك الروم أن دنانيره سيظل التعامل بها إن حوت شتماً، كفّ عما تهد به.

والقصة معروفة فلترجع في محلها حيث نقلها السيد محمد كلانتر. (١)

فهذا هو الحال الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية بعد تسلط بعض على رقاب الناس، والغريب أنهم يعرفون أنفسهم حق المعرفة بأن من مثل هذه المعضلات لا تحل إلا بأهلها.

وخلاصه القول إن الإمام الباقر صلوات الله تعالى عليه ترك ما فعله هؤلاء - متناسياً - بأجداده، بل هم الذين رفعوا الصلاة على الآل كما مر في هذا الكتاب، وكان فعله هذا مداراه لحفظ الدين وأتباعه وإن كانوا بالتسميه فقط.

ومن مثل هذه المواقف تتضح أخلاقيه هذه المدرسه العظيمة وقوتها وعلو منزلتها، فهم صلوات الله تعالى عليهم وجود واحد يسلك منهجاً واحداً.

ومن باب المثال أيضاً أود أن انقل هذا الكلام عن ابن الجوزي؛ لأنّ هناك من يقول: إن الفتوحات كانت لغير علي بن أبي طالب صلوات الله تعالى عليهما، ولكن الواقع ليس كذلك، فقد نقل: (٢)

«أنه لما ولي عمر رضى الله عنه قال لعلي رضى الله عنه: اقض بين الناس وتجرد للحرب»، وكان بإمكانه أن يرفض التعامل معهم، ولكن أبت أخلاق علي بن أبي طالب صلوات الله تعالى عليهما وكذا مدرسته أن يتصرف تصرفاً يسيء إلى الدين، وهو الذي لم يعاقب الذين هجموا على دار الزهراء (٣) صلوات الله تعالى عليها على أقل تقدير، اجتهاداً منه للعمل بقاعده أخف الضررين.

وجاء دور حكمه واشتبكت ضده سيوف القوم وحرابهم، ووقف ذلك الموقف بعد إلقاء الحججه عليهم ولم يبدؤهم بقتال، ولكنهم أصروا على حربه إلى أن وصل الحد بمعاويه بن

ص: ١٣٨

١- (١). في تعليقه على شرح اللمعه، ٥٠/١ في مبحث الدرهم البغلي، نقلاً عن كتاب الحيوان، للدميري، ٦٣/١ عن كتاب المحاسن والمساوي، لإبراهيم بن محمد البيهقي.

٢- (٢). المنتظم (حتى ٧٥٢هـ-١٣٦٤).

٣- (٣). الحادثه مشهوره المذكوره في كتب التاريخ، بل ماتت صلوات الله عزوجل عليها وهي واجده على بعض الصحابه، راجع كتاب مأساه الزهراء للسيد جعفر مرتضى العاملي، فقد رفع عنا مؤونه البحث هناك وأوصيك بمطالعه فإنه مهم لمعرفة الحقيقه.

أبى سفيان إلى مصالحه ملك الروم بعد تهديد حدود دولته، وإلا فمن له الجرأه على تهديد الدوله الإسلاميه وأمير المؤمنين على صلوات الله تعالى عليه كان موجوداً، ولكن انشغاله بحروب ابن هند التي أججها ضد المؤمنين خلقت هذا الجو، فاضطر ابن أبى سفيان إلى دفع ضريبه من بيت مال المسلمين. (١)

أى إسلام هذا الذى يرضى بمحاربه من قام الإسلام ببطولاته ودَعَمَ أبيه أبى طالب صلوات الله تعالى عليه للنبي الأكرم صلوات الله تعالى عليه وآله، ودفع ضريبه ممن يدعى الإسلام لمن لم يؤمن بالرساله، بل كان هو ومن قبله قد قاتل أهل هذا الدين لكى يتفرغ لحرب وصى الرسول المبلغ لها!! واعجباً كل العجب لمن يترضى عليه ويجعل سيرته منبعاً من منابع استنباط الأحكام الشرعيه.

فموقف معاويه هذا هو الذى أحدث هذا الخلل على حدود الدوله الإسلاميه وصيرها بهذا المحل. وما آلت إليه الأمه الإسلاميه من تلاحق المصائب والفتن عليها كل ذلك بسبب الانشغال بعض ببعض.

والمواقف الذى نعيشه نحن - المسلمين - هذه الأيام هو نتيجة ذلك الخلاف والاختلاف.

وأمثله أخرى على مداراه أتباع مدرسه الآل الأطهار صلوات الله تعالى عليهم للأمه التى تقتلهم وتشرد بهم، ثم نراهم يقفون موقفاً مشرفاً للحاجه إليهم، ونجدهم السباقين لكل خير والكفؤ لحل كل معضله، فهذه حادثه نقلها الأمينى قدست نفسه فى كتابه الغدير (٢) قال فيه: (وكان قيصر بعث إلى معاويه بعلاج من علوج الروم طويل جسيم، معجباً بكمال خلقته وامتداد قامته، فعلم معاويه أنه ليس لمطاولته ومقاومته إلا قيس بن سعد بن عباده، فإنه كان أجسم الناس وأطولهم، فقال له يوماً وعنده العالج: إذا أتيت رحلك فابعث إلى سراويلك. فعلم قيس مراده فترعها ورمى بها إلى العالج والناس ينظرون فلبسها العالج فطالت إلى صدره، فعجب الناس وأطرق الرومى مغلوباً، وليم قيس على ما فعل بحضره معاويه فأنشده يقول:

أردت لكيما يعلم الناس أنها سراويل قيس والوفود شهود

وألأ يقولوا: غاب قيس وهذه سراويل عاد قد نمته ثمود

ص: ١٣٩

١- (١) . تاريخ اليعقوبى ٢/٢١٧- تاريخ خليفه بن خياط، ٢٠٥- أزمه الخلافه والامامه، أسعد وحيد القاسم ١٦٤- تاريخ اليعقوبى ٢/٢٦- أزمه الخلافه والامامه، أسعد وحيد القاسم ٢٨٧- معالم الفتن، سعيد أيوب، ٧٦/٢- مروج الذهب، ٢/٤١٨ - الطبرى، ١٨٦/٦.

٢- (٢) . الغدير، ١٠٨/٢.

وإني من القوم اليمانيين سيد وما الناس إلا سيد ومسود

وبز جميع الناس أصلى ومنصبى وجسم به أعلو الرجال مديد

ورواها ابن كثير فى البدايه والنهائه (١) بتغيير فيها ثم قال:

وفى روايه: أن ملك الروم بعث إلى معاويه برجلين من جيشه يزعم أن أحدهما أقوى الروم والآخر أطول الروم: فانظر هل فى قومك من يفوقهما فى قوه هذا وطول هذا؟ فإن كان فى قومك من يفوقهما بعثت إليك من الأسارى كذا وكذا ومن التحف كذا وكذا، وإن لم يكن فى جيشك من هو أقوى وأطول منهما فهادئى ثلاث سنين. فلما حضروا عند معاويه قال: من لهذا القوى؟ فقالوا: ما له إلا أحد رجلين إما محمد بن الحنفية أو عبد الله بن الزبير، فجىء بمحمد بن الحنفية وهو ابن على بن أبى طالب، فلما اجتمع الناس عند معاويه قال له معاويه: أتعلم فيم أرسلت إليك؟ قال: لا. فذكر له أمر الرومى وشده بأسه، فقال للرومى: إما أن تجلس لى أو أجلس لك، وتناولنى يدك أو أناولك يدى فأئنا قدر على أن يقيم الآخر من مكانه غلبه وإلا فقد غلب. فقال له: ماذا تريد؟ تجلس أو أجلس؟ فقال له الرومى: بل اجلس أنت. فجلس محمد بن الحنفية وأعطى الرومى يده، فاجتهد الرومى بكل ما يقدر عليه من القوه أن يزيه من مكانه أو يحركه ليقيمه فلم يقدر على ذلك ولا وجد إليه سبيلاً، فغلب الرومى عند ذلك وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنه قد غلب، ثم قام محمد بن الحنفية فقال للرومى: اجلس لى و فجلس وأعطى محمداً يده، فما أمهله أن أقامه سريعاً ورفع فى الهواء ثم ألقاه على الأرض، فسير بذلك معاويه سروراً عظيماً، ونهض قيس بن سعد فتنحى عن الناس ثم خلع سراويله وأعطاهما لذلك الرومى الطويل، فبلغت إلى ثديه وأطرافها تخط بالأرض، فاعترف الرومى بالغلب وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاويه.

وعلق الشيخ الأمينى أعلى الله تعالى مقامه قائلاً: «يستفيد القارئ من أمثال هذه الموارد من التاريخ أن أهل البيت عليهم السلام و شيعتهم كانوا هم المرجع لحل المشكلات من كل الوجوه، كما أن مولاهم أمير المؤمنين عليه السلام كان هو المرجع الفذ فيها لدى الصدر الأول». وأقول: نعم وهكذا هم على مر العصور وسيأتى من ذلك ذكر لموقف الشيعة فى هذا العصر إن شاء الله تعالى. على أنه هناك من يستسخف مثل هذه الأمثله فجوابه واضح: وهو أنه إذا كان فى مثل هذه الأمور لم يجدوا حلاً فكيف بالمعضلات؟ فتدبر....

وأعود قائلاً: لولا الموقف السياسى المهزوز الذى كانت عليه الأمة بسبب أصحاب

ص: ١٤٠

الكراسى والمناصب لما تأكل مجد هذه الأمه العظيمه، التى بنيت بتضحيات ودماء محمد وآل محمد صلوات الله تعالى عليهم والمخلصين من اتباعهم وفعل بهم ما فعل من سخرية الأمم الأخرى.

فهب يا معاويه ويا أصحاب الجمل أنّ على بن أبى طالب صلوات الله تعالى عليه - وحاشاه - كان قد أخذ ما ليس له هو أو جماعه من أتباعه، فهلا تصرفتم مثله وأنتم الذين هجتم على داره وتعرضتم لكرامه بيت النبى صلوات الله تعالى عليه وآله؟

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم

ص: ١٤١

الباب الرابع: تحليل

اشاره

ص: ١٤٣

هناك محاوره حصلت بين عبد الله بن عباس وبين عمر بن الخطاب إبان فتره حكمه، أستفيد منها ربطاً بحادثه أتصور أنها هي التي شكلت سبباً رئيساً تاريخيه ثانيه عن أهل البيت عليهم أفضل الصلاه والسلام، ولأهميتهما في نظري أتطرق إليها والحكم للقارئ المنصف.

المحاوره

نقلت هذه المحاوره عن مصادر المسلمين، (١) إذ قال عمر في حديث طويل دار بينهما:

يا بن عباس، أتدرى ما منع قومكم منكم بعد محمد [صلى الله عليه وآله وسلم]؟ (قال ابن عباس): فكرهت أن أجيبه، فقلت له: إن لم أكن أدري فإنّ أمير المؤمنين يدري، فقال عمر: كرهوا أن يجمعوا لكم النبوه والخلافه فتجحفوا على قومكم بجحاً بجحاً، فاخترت قريش لأنفسها فأصابت ووفّق - (قال) -ت: فقلت: يا أمير المؤمنين، إن تأذن لي في الكلام وتمط عنى الغضب تكلمت، قال: تكلم - (قال ابن عباس) -م: أمّا قولك يا أمير المؤمنين: اخترت قريش... فقال عمر: هيهات يا بن عباس، قد كانت تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرك عليها، فتزيل منزلتك منى... فقال عمر: بلغني أنك تقول: إنما صرفوها عنا حسداً وبغياً وظلماً... فقال عمر: هيهات هيهات، أبت والله قلوبكم يا بنى هاشم إلا حسداً لا يزول. (قال) فقلت: مهلاً يا أمير المؤمنين، لا تصف بهذا قلوب قوم أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا....

ص: ١٤٥

١- (١). هي: (المراجعات، السيد شرف الدين ص ٣٩٤-الكامل في التاريخ، لابن الأثير ج ٣ ص ٢٤؛ آخر سيره عمر من حوادث سنه ٢٣ - وفي شرح النهج، لابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٠٧ - تاريخ الطبري، ج ٤ ص ٢٢٣، ج ٢ ص ٢٨٩ ونقلها المستبصرون في كتبهم).

إنَّ عمر بن الخطاب قد جاءته أخبار وليس خبراً واحداً أنه يتكلم بها بين الناس: «تبلغني عنك أشياء أكره أن أقرّك عليها».

فأنقلها عن منهاج السنه النبويه ابن تيميه، (1) وإن كانت منقوله في المصادر الأخرى أيضاً حيث نقل صاحب الكتاب قائلاً:

في حديث عمر هذا في خطبته المشهوره الثابته في الصحيح، التي خطب بها مرجعه من الحج في آخر عمره، وهذه الخطبه معروفه عند أهل العلم وقد رواها البخارى في صحيحه عن ابن عباس، قال: كنت أقرىء رجالاً من المهاجرين منهم عبد الرحمن بن عوف، فبينما أنا في منزله بمنى وهو عند عمر بن الخطاب في آخر حجه حجها إذ رجع إلى عبد الرحمن بن عوف، فقال: لو رأيت رجلاً أتى أمير المؤمنين اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين، هل لك في فلان يقول: لو قد مات عمر لقد بايعت فلاناً، فوالله، ما كانت بيعه أبي بكر إلا فلتة فتمت، فغضب عمر ثم قال: إني إن شاء الله لقائم العشيّه في الناس فمحذّره هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمورهم، فقال عبد الرحمن: فقلت: يا أمير المؤمنين، لا- تفعل فإنّ الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاءهم وإنهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس، وأنا أخشى أن تقوم فتقول مقالته يطيرها عنك كل مطير وأن لا يعوها وأن لا يضعوها على مواضعها، فأمهّل حتى تقدم المدينه فإنها دار الهجره والسنه فتخلص بأهل الفقه وأشرف الناس، فتقول مقاتلتك متمكناً فيعى أهل العلم مقاتلتك ويضعونها على مواضعها، فقال عمر: أما والله، إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينه، قال ابن عباس: فقدمنا المدينه في عقب ذى الحجه فلما كان يوم الجمعة عجلت بالرواح حين زاغت الشمس حتى أجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر، فجلست حوله تمس ركبتي ركبته، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب، فلما رأته مقبلاً قلت لسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل: ليقولنّ العشيّه مقالته لم يقلها منذ استخلف، فأنكر عليّ وقال: ما عسيت أن يقول ما لم يقل قبله، فجلس عمر على المنبر فلما سكت المؤذنون قام فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإنّي قائل لكم مقالته قد قدر لي أن أقولها لا أدري لعلها بين يدي أجلى، فمن عقلها ووعاها فليحدّث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشى أن لا- يعقلها فلا أحل لأحد أن يكذب عليّ، إن الله بعث محمداً صلى الله عليه [وآله] وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل عليه آيه الرجم، فقرأناها وعقلناها ووعيناها ورجم رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن

ص: ١٤٦

يقول قائل و الله، ما نجد آيه الرجم فى كتاب الله فيصلوا بترك فريضه أنزلها الله، والرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء إذا قامت البيه أو كان الحبل أو الاعتراف، ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم... ثم إنه بلغنى أن قائلًا منكم يقول: و الله، لو مات عمر لبايعت فلانًا فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعه أبى بكر فلتته فتمت، ألا وإنها قد كانت كذلك ولكن الله وقى شرها، وليس فيكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر من بايع رجلا من غير مشوره من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذى بايعه تغره أن يقتلا... (١).

خلاصه هذه الحادته

أن عمر قال: «ثم إنه بلغنى أن قائلًا منكم يقول: و الله، لو مات عمر لبايعت فلانًا».

فمن خلال ما قاله عمر بن الخطاب فى الحادته الأولى: «فقال عمر: هيهات يابن عباس قد كانت تبلغنى عنك أشياء أكره أن أقرك عليها فتزِيل منزلتك منى، وقوله فى الثانية: «ثم إنه بلغنى أن قائلًا منكم يقول: و الله، لو مات عمر لبايعت فلانًا فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما. يتضح أن المتكلم هو ابن عباس. نعم، نقل صاحب المراجعات أعلى الله تعالى مقامه عن القسطلانى فى تفسيره لهذا القول (٢) نقلًا عن جده البلاذرى أن القائل هو ابن الزبير. والواقع أن ابن الزبير كان من المتشددين ضد على صلوات الله تعالى عليه، كما صرح بذلك هو فى حرب الجمل، وقيل: هو الزبير، وقيل، لم يصرح باسم القائل ولكن صرح باسم من سيباع لو مات عمر، وعلى ما جمعت من قرائن يتضح أن القائل هو ابن عباس وأنه يريد بيعه مولى الموحدين صلوات الله تعالى عليه - ولست فى مقام اتهامه - وإنما وكما توهت عنه، فإنه من باب جمع القرائن ليس غير، وإن لم يكن هو القائل غفر الله لنا وله - و الله تعالى هو العالم.

تحليل لما ورد

أيًا كان المتحدث فى الحادته الثانية خاصة، وكل ما حصل من محاورات بين الأطراف

ص: ١٤٧

١- (١). وورد ذلك أيضاً فى: (منهاج السنه النبويه، ابن تيميه، ج ٥، ص ١٤٧ ج ٨ ص ٢٧٧- غوامض الأسماء المبهمة، ابن بشكوال، ج ١، ص ٣٨٣- مقدمه فتح البارى، ابن حجر ص ٣٣٨- السيره النبويه ابن هشام ج ٦، ص ٧٨، ص ٧٩- تاريخ الخلفاء السيوطى، ص ٦٧- السيره الحلبيه، ج ٣، ص ٤٩٠- الإكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله، الكلاعى الأندلسى ج ٢، ص ٤٣٨، ص ٤٤٠- الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمى، ج ١، ص ٣١- معارج القبول، الحكيمى ج ٣، ص ١١٣٢- فلك النجاه على محمد فتح الدين للحنفى ص ١١٧).

٢- (٢). تفسير القسطلانى، ج ١١ ص ٣٥٢.

المهمته بصرف الخلافه عن أمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه التي تنقل الكلام أولاً بأول لعمر بن الخطاب، وبين الأطراف التي ترغب عنه إلى غيره، وكذلك بين الثانيه وبين عمر بن الخطاب غير منظور فيها جانب السكوت والتقيه، فلم يجد عمر بن الخطاب بدءاً من ترتيب الأمر عن ذيه بواسطه أشخاص يتم تعيينهم لهذا الغرض، وقد نجح فعلاً هذا التيار، وبسبب ذلك دفعت الأئمه الإسلاميه الثمن باهضاً نتيجة عدم التروى والتريث فى إلقاء الكلام وعدم تشخيص المقام. فلعله و الله العالم لو لم يدع أصحاب هذه المقالات ما كانوا يكونون فى صدورهم لما حصل ما حصل وَ لَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (الحجرات: من الآيه ٥).

- فلا حول ولا قوه إلا بالله العلى العظيم -

ص: ١٤٨

الباب الخامس: جذور المواجهه

اشاره

ص: ١٤٩

ابتلى النبي الأكرم صلوات الله تعالى عليه وآله بثلاثه أنماط، وهم أعداء الله من الكفار من جهه وبزمره المنافقين الذين تلبسوا بلباس الإسلام من جهه ثانيه، والذين فى قلوبهم مرض من جهه ثالثه، قال تعالى فى عده مواضع من الكتاب العزيز: فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ (المائدہ: من الآيه ٥٢)، إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ (الأنفال: من الآيه ٤٩)، وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَ مَاتُوا وَ هُمْ كَافِرُونَ (التوبه: ١٢٥)، لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْقَاسِمِ بِهِ قُلُوبُهُمْ وَ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (الحج: ٥٣)، وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (الأحزاب: ١٢)، لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (الأحزاب: ٦٠)، فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةٍ وَ ذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَى لَهُمْ (محمد: من الآيه ٢٠) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (محمد: ٢٩)، وَ مَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَ مَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ يَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَ لَا يَزَاتَبَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ مَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَ مَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (المدثر: ٣١)، وَأما فى المنافقين فقد جاء فيه ما جاء، فعمل هؤلاء جاهدين لتدمير الدين، ولكنهم لم يتمكنوا من النيل منه.

ولم يقتصر ذلك على عصر النبوه، بل امتدَّ ذلك إلى عصر الإمامه، ولكنّه في معظم الأحيان أخذ لوناً آخر من التنوع، فليس كل المخالفين للإمام يحكم بكفرهم في الدنيا، ففي كثير من الحالات كانوا يتشهدون الشهادتين إلا النواصب والغلاة والخوارج، فهؤلاء حكمهم معلوم عند جميع طوائف المسلمين.

ففي عصر كل إمام من الأئمه صلوات الله تعالى عليهم نشاطاً ملحوظاً لتيار أو تيارات تقف بوجهه ووجه أتباعه، سواء أكان من الداخل أم الخارج أم كلاهما معاً وحتى يومنا هذا. هذه التيارات تأخذ طابعاً دينياً وهو في الحقيقه غطاء تتستر به، ولكن حقيقه التحرك ناشئه من دوافع سياسيه، وذلك إما بتوجيه الناس وحثهم على اتباع المدعين والمنحرفين أو ادعاء الإمامه لغير أهلها وما شاكل ذلك، نعم، قد يكون التحرك بسبب انحرافات عقائديه ولكنّها أخيراً تنجر إلى هذه النتيجة، وبالتالي تتركز مهمتها على التعرض للتشيع، فيرمى هذا المبدأ العظيم من قِبَلِ هذه الحركات أو بسببها بِتُهَمِ الغلو والقول بتحريف القرآن وفارسيه التشيع وانتهاج النفاق والزنا وشتم الصحابه وتكفير المسلمين وغير ذلك من التهم الواهيه المردوده على أصحابها، بل إنّ معظم هذه التهم مطلقها أولى بها من غيره.

ومن خلال تلك الانحرافات - كما تقدم - توجه الضربات لهذه المدرسه الأصيله بشكل أو بآخر من أجل إذابتها، ولكن ذلك ليس بيد أحد إنما هو التشيع وهو صنيعه الله تعالى ورسوله صلوات الله تعالى عليه وآله ولا بد من حفظه إن شاء الله العزيز.

لقد عاش أهل هذه الطائفة - أئمة وأتباعاً - ظروفًا قاسية ومعاناه لأقصى وأشد أنواع العذاب وأحلك الأيام في كل مكان ومزّت وجرت عليهم الويلات.

وهذا التاريخ يحدثنا بما فيه، حيث امتلأت صفحاته بنزيف من الدماء وجرائم وهتك الحرمات بين أسطره، وإن لم يكن ليدها بشكل مركز وعلني، إما خجلاً من هذا الفعل المشين أو تدليساً ممن كتبه، على أنه ظهر أيضاً مع كل هذا وذاك كما أشرت بين الأسطر مُعلّلاً ذلك بحجج لا تخفى على اللبيب. فكلما تأتي دوله تمسك دفة الحكم وتتولى زمام الأمور تقوم باستخدام هذا الأسلوب البشع الذي يآباه الدين وتآباه الإنسانية.

وفي مثل هذه الظروف العصييه لا-اعتقد أنّ عاقلاً يأتي ويتكلم ويظهر عقيدته لمن عاداه ولا يتردد في قتله، بل يتحين الفرص لذلك، فلا-بد من طريق لحماية النفس والعرض من هذه الذئاب البشريه التي لا يهتمها سوى الجلوس على الكرسي؛ ليكون خليفه أو والياً أو مديراً أو مدرّساً أو موظفاً أو حتى مراقباً لصف أو لكي يشتري قميصاً مستعملاً - وهذا هو ديدن عبده الأحزاب والكراسى الذين يفعلون كل شيء من أجل هذه المناصب - ولو كان ذلك على حساب انتهاك حرمات الآخرين كما حصل ويحصل. وهذا هو الواقع وما جرى على آل محمد صلوات الله تعالى عليهم وعلى شيعتهم.

وكان سلاطين الجور من بنى أميه وبنى العباس وولا-تهم وغيرهم يُقتلون الشيعة ويطاردونهم تحت كل حجر ومدر ومغاره، فأخافوهم وأرعبوهم وقطعت الأيدي منهم

والأرجل، وصلبوا فى جذوع النخل، وسملت أعينهم، وطوردوا وشرّدوا ونفوا. (١) بل حدثت أهوال كثيرة حتى بعد وفاه النبى صلوات الله تعالى عليه وآله، حيث هجموا على دار الزهراء وأسقطوا جينها، وإن شئت التفصيل راجع كتاب السيد جعفر مرتضى العاملى فى كتابه مأساه الزهراء عليها السلام، وتعاملوا مع على بن أبى طالب صلوات الله تعالى عليهما أسوأ المعامله.

واعتدى فى زمن أحدهم على عمار بن ياسر بالضرب المبرح، (٢) وأما أبو ذر فما كان أقل نصيباً، حيث كانت حصته بعد الأذى النفسى إلى أرض الربذه. (٣)

وقتال أمير المؤمنين على وما فعلوه بابنيه السبطين الحسن والحسين صلوات الله تعالى عليهم أجمعين كافٍ فى قياس القتل والقتال على شيعتهم....

وكتب معاويه إلى الأمصار أن برئت الذمه ممن روى حديثاً فى فضل على بن أبى طالب صلوات الله تعالى عليهما أو فى أهل بيته (٤).

وسنّ لعن أخى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله، (٥) بل وكما مرّ سابقاً رفعوا الصلاه عن آل محمد صلوات الله تعالى عليهم.

كل ذلك يريدون أن يستأصلوا الشيعة فاستسهلوا فيهم كل شقوه وقسوه، واستقرّوهم فى البلاد فظنّب عليهم الخوف وأحاط بهم الهلع والرعب فى كل النواحي، بحيث لو كان

ص: ١٥٤

١- (١). والتاريخ يعيد نفسه كما هو حاصل الآن ويحصل قتل وتهجير وتمثيل بالجثث.

٢- (٢). الأنساب، للبلاذرى، ٤٨/٥.

٣- (٣). ملحق المصادر بعنوان نفى أبى ذر رضوان الله تعالى عليه، ص ٢٤١.

٤- (٤). راجع شرح نهج البلاغه، لابن أبى الحديد، ج ١١ ص ٤٤ نقلاً عن كتاب الأحداث، للمداينى. وللمزيد قد جاء فى السيده فاطمه الزهراء محمد بيومى، ص ٨٩: وحتى بلغ من تقيه المحدث إذا ذكر حديثاً عن على بن أبى طالب عليه السلام، كنى عن ذكره فقال: قال رجل من قريش، وفعل رجل من قريش، ولا يذكر علياً عليه السلام، ولا يتفوه باسمه. ومن ذلك - مثلاً - ما يرويه الحاكم فى المستدرک عن مالك بن بن دينار قال: سألت سعيد بن جبیر، فقلت: يا أبا عبد الله، من كان حامل رايه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: فنظر إلىّ وقال: كأنك رخی الببال، فغضبت وشكوته لإخوانه من القراء، فقلت: ألا تعجبون من سعيد: إنى سألته من كان حامل رايه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر إلىّ وقال: إنك لرخى الببال، قالوا: إنك سألته وهو خائف من الحجاج، وقد لاذ بالبيت فسله الآن، فسألته فقال: كان حاملها على، هكذا سمعته من عبد الله بن عباس. ويبدو لى فى أكبر الظن، أنّ معاويه لم يعد يأبه بأحد فى تطاوله على الإمام على وأهل البيت الطاهرين، حتى أعرف الناس به والإمام على من أكابر الصحابه، روى أنّ معاويه حجّ فمرّ بالمدينه فدعا سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه - أحد العشره المبشرين بالجنه وبقية أصحاب الشورى، وكان قد اعتزل الفتنة، ولم يبايع علياً - وأخذاً بأطراف الحديث، وغرّ معاويه إقبال سعد عليه، فشرع فى سب الإمام على، وقال لسعد: ما يمنعك أن تسب أبا تراب، فبان... .. ثم يمكنك مراجعه كتب التحول إلى طريق

أهل البيت في هذه الأحداث وغيرها مما سيأتي كمعالم الفتن لسعيد أيوب وغيره.
٥- (٥). راجع ملحق المصادر، ص ٢٤١.

يقذف الشيعى باليهوديه لكان أسلم له من انتسابه إلى الأمه، (١) حتى أنّ الناس كانوا لا- يتسمون باسم على أمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه خوفاً من السفاحين.

وقد قتل بسر (٢) بعد التحكيم ثلاثين الفأ عدا من أحرقتهم بالنار. وأتلفت ذرارى رسول الله صلوات الله تعالى عليه وآله كذلك، وبنوا عليهم الاسطوانات وقتلوهم وشردوهم، بل ومنهم من أراد أن يحرقهم بالنار ولم يرحم حتى الطفل الصغير ولا الشيخ الكبير. وما فعله سمره بن جندب فليس بقليل. (٣)

وكان من أشدّ العصور عصر زياد وابن زياد والحجاج، حيث قتل من الشيعة أكثر من مائه ألف، وهذا هو الذى قتل كميل بن زياد رضوان الله تعالى عليه عامل على عليه السلام على هيت فيمن قتل منهم.

وأما مصعب الذى سماهم الحسينيه، فهو الآخر تتبّع الشيعة بالكوفه وغيرها وقتلهم، وضيق الأمر على أهلها، وظفر بالمختار وقتله واحتز رأسه، وقطّع أعضائه وجلس فى قصر الإمارة.

كان الشيعة يعيشون هم والأئمه صلوات الله تعالى عليهم هذه الظروف القاسيه والعصبيه.

وأفتى نوح افندى فى وجوب مقاتله الشيعة وقتلهم ونهب أموالهم وسبى نسائهم وذراريهم، وهو معلوم من كتب التاريخ.

وكذا فعل أبو مسلم بهم، حيث كتب إلى أبى العباس يستأذنه فى قتلهم وملاحقتهم وألقوا بأطفالهم فى نهر دجله، حتى ماتوا. إلى غير ذلك من المآسى التى صبّها العباسيون على المؤمنين، حتى أنه سم المأمون الرضا عليه السلام فقتله، وقد كان قتل الفضل بن سهل وجماعه من الشيعة.

ورمى الشيعة بالزندقه ليقتلوا تحت هذا الغطاء، وكان ذلك دأبهم ومن باب المثل فليراجع القارئ ما فعله المهدي العباسى بهذا الصدد.

ولا يخفى ما فعله المتوكل العباسى بزائرى مرقد الإمام الحسين صلوات الله تعالى عليه، وكذا بنفس القبر الشريف.

ص: ١٥٥

١- (١). ولحد الآن يتصلون بإسرائيل فى الدول العربيه ويتفقون لا من أجل شىء إلا لكى لا يقال: بأغلبه الشيعة فى العراق فيكون تمثيلهم فى مجلس النواب بالغالبية.

٢- (٢). للاطلاع على شخصيه بسر وما أحدثه راجع ملحق المصادر، ص ٢٣٣.

٣- (٣). راجع ملحق المصادر، ص ٢٣٤.

وكان الجمهور يستعينون بالجند ضد الشيعة، حيث حصلت مجازر رهيبه وقتل جماعى بشكل وحشى كما فى إشعال النار فى أحيائهم السكنيه وأسواقهم، حتى قتل الكثيرون منهم كما فى سنه ٣٦٣هـ- من أجل إقامتهم لشعائهم. (١)

كان أهل المدينه ثلاث طوائف شافعيه وهم الأقل، وحنفيه وهم الأكثر، وشيعه وهم السواد الأعظم، لأن أهل البلد كان نصفهم شيعه، وأما أهل الرستاق فليس فيهم إلا- شيعه وقليل من الحنفيين، ولم يكن فيهم من الشافعيه أحد، فوَقعت العصبية بين السنه والشيعه فتضافر عليهم الحنفيه والشافعيه وتناولت بينهم الحروب حتى لم يتركوا من الشيعه من يعرف، فلما أفنؤهم وقعت العصبية بين الحنفيه والشافعيه ووقعت بينهم حروب كان الظفر فى جميعها للشافعيه، هذا مع قله عدد الشافعيه إلا أن الله نصرهم عليهم وكان أهل الرستاق وهم حنفيه يجيئون إلى البلد بالسلاح الشاك ويساعدون أهل نحلتهم فلم يغنهم ذلك شيئاً حتى أفنؤهم، فهذه المحال الخراب التى ترى هى محال الشيعه والحنفيه، وبقيت هذه المحله المعروفه بالشافعيه وهى أصغر محال الرى ولم يبق من الشيعه والحنفيه إلا من يخفى مذهبه، ووجدت دورهم كلها مبنيه تحت الأرض ودروبهم التى يسلك بها إلى دورهم على غايه الظلمه وصعوبه المسلك؛ فعلوا ذلك لكثرة ما يطرقهم من العساكر بالغارات ولولا ذلك لما بقى فيها أحد... (٢)

وقال ابن الأثير: (٣) فى هذه السنه فى المحرم قتلت الشيعه بجميع بلاد أفريقيا، وكان سبب ذلك أن المعز بن باديس ركب ومشى فى القيروان والناس يسلمون عليه ويدعون له، فاجتاز بجماعه فسأل عنهم فقيل هؤلاء رافضه يسبون أبا بكر وعمر، فقال رضى الله عنه: أبا بكر وعمر فانصرفت العامه من فورها إلى درب المقلى من القيروان وهى تجتمع به الشيعه فقتلوا منهم، وكان ذلك شهوه العسكر وأتباعهم طمعاً فى النهب، وانبصطت أيدي العامه فى الشيعه وأغراهم عامل القيروان وحرصهم، وسبب ذلك أنه كان قد أصلح أمور البلد فبلغه أن المعز بن باديس يريد عزله فأراد فساده فقتل من الشيعه خلق كثير وأحرقوا بالنار ونهبت ديارهم وقتلوا فى جميع أفريقيا، واجتمع جماعه منهم إلى قصر المنصور قريب القيروان فتحصنوا به

ص: ١٥٦

١- (١). راجع ملحق المصادر، ص ٢٤٣.

٢- (٢). الأربعين البلدانيه، ابن عساكر ١١٧/٣.

٣- (٣). الكامل ابن الأثير ١١٤/٨- ذكر قتل الشيعه بأفريقيه -.

فحصرهم العامه وضيقوا عليهم فاشتد عليهم الجوع، فأقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم، ولجأ من كان منهم بالمهدية إلى الجامع فقتلوا كلهم، وكانت الشيعة تسمى بالمغرب المشاركة نسبة إلى أبي عبد الله الشيعي وكان من المشرق وأكثر الشعراء ذكر هذه الحادثة فمن فرح مسرور ومن باك حزين.

والتاريخ المعاصر يكشف لنا ما قام به سلاطين الجور للدوله العثمانيه وكذا باقى الحكومات والدول التى بعدها، ولا أتصور أنه خاف على الناس، حتى أن التعيين فى الدوائر الحكوميه كان يبتنى فى كثير من الأحيان على الأسماء، على أن الظلم مستمر لحين أن يجعل الله تعالى لنا الفرغ إنه جواد كريم.

المقابر الجماعيه للشيعة حصه الأسد منها

وقد أطلع أهل الأرض على جرائم صدام حسين وأتباعه من مجرمين أو مغرر بهم التى ارتكبتها أياديهم فى دفن الموالين لآل البيت - صلوات الله تعالى عليهم - فى مقابر جماعيه، هذه الجريمه التى راح ضحيتها النساء والأطفال، الشيوخ والشباب، وكانت أعداد ضحايا هذا النظام من مهاجرين ومهجرين ومن الذين أعدموا أو دفنوا أحياءً أو بعد قتلهم جماعياً بالأسلحه التقليديه وكذلك بالكيمياويه إلى الملايين، هذا من الشيعة العراقيين فقط غير الإيرانيين والكويتيين (١) - إلا- أنه لم يكن الأمر مختصاً بالشيعة من شعب الكويت الشقيقه، حيث تسرب إلى السنه كذلك - هذا غير الذين قدموهم إلى الحيوانات المفترسه وهم أحياء وغير النساء التى اعتدى عليهن اغتصاباً. وكان هذا النظام يجرى تجارب الأسلحه الكيماويه على سجناء الشيعة أو يلقي بهم فى أحواض الأحماض الكيماويه، وكان ذلك بموافقه وتحريض الغالبية العظمى من دول العالم.

ص: ١٥٧

١- (١). لا- أدرى كيف يعتبر القوميون أن صداماً كان قومياً مع مهاجمته لجميع أهل قوميته، وإلا فإن كان الشيعة فرساً - كما يدعون - فإن الصواريخ والقذائف العراقيه التى ألقيت على الكويت وحفر الباطن لم يكن مكتوباً عليها للشيعة فقط. ولا أدرى لماذا يبقى شيعة العراق متشبثون بالقوميه العربيه، والأمه العربيه ترفضهم، ولماذا لا ينفصلون عن الجامعه العربيه ويشكلون أمه عراقيه شيعه وأكراداً فى اتحاد فدرالى أو كونفدرالى وأما الأقلية إما يعجبهم أن يبقوا مع الغالبية أو يرحلوا عن هذه الأرض.. تعسا لأمه تتصل من أبنائها الذين هم على نهج النبى العربى وآله صلوات الله تعالى عليهم وتحتضن الرافضات، بل تجد أن العرب تصالحو مع إسرائيل وامتنعت إيران. والعجيب يأتى من يريد إرجاع من حارب العرب إلى السلطه؛ لأنه لم يجد مؤيدين يرفعون قائمته لأن أحد القوائم اختزلت كل الشيعة فى الانتخابات كما يزعم، فهل يرضى أن تتعامل معه هذه القائمه بنفس ما تعامل معها إن كان هو الفائز؟ كلا..

فلا أتصور أنّ عاقلاً يقوم بإظهار نفسه في هذا الخضم الموحش المدلهم بين قوم لا يشتهون إلا دماء الشيعة، فلو كان ما حصل مع الشيعة حاصلاً مع غيرهم لاستخدموا كل شيء للخلاص، ولا أعتقد أننا سنجد لهم أثراً أبداً، ولولا بركات آل البيت صلوات الله تعالى عليهم أجمعين لما كان عددنا الآن كما نحن عليه. فأى دين يرضى لأتباعه الهلاك ولا يجد لهم مفرعاً ومخلصاً من التورط مع مخلوقات فاقت حيوان الغاب وحشيه. (١)

هل من معتبر

هل رجح الذي ينادى بالقومية العربية أو غيره ممن يريد قتل الناس إلى التاريخ وتصفّح ما فيه من فضائح؟ هل راجع سنه التشريد والقتل على الهويه ما هي نتائجها؟ هل رأيت من قبلك كيف تسلط عليهم من لا- يرحمهم؟ أين الذين سبقوك؟ هل تقتل المؤمنين وتشرّد بهم؟

إن لم تعتبر فخذ هذه العبره واستفد، حيث قال الله تعالى إن كنت تعرفه: قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (الأعراف: ٨٨)، وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (إبراهيم: ١٣)، بتعبير بسيط أرادوا أن يخرجوا المؤمنين من الأرض، والأرض لله وأمثالك السابقون إنما يرحمون بهؤلاء المؤمنين، فقال لهم الله تعالى: اخرجوا وسوف يرى هؤلاء كيف كنت أرحمهم بسبب وجودكم بينهم، فإذا خرج سبب نزول الرحمة حل سبب الغضب... فتمنع أنت حتى حين، وسوف ترى من الذي سيلقى حتفه أنت أم الذي أخرجته من أرض الله تعالى التي سخرها لعباده؟ وسوف ترى لمن تكون عاقبه الدار؟.

ص: ١٥٨

١- (١). والتاريخ يعيد نفسه بارتكاب القتل والتشريد والتعذيب والسجن ضد أهل هذه المدرسة الإسلامية دون غيرهم، ولا تعجب ففي مثل هذا الزمن حصل ما حصل بهم سوى أنه سابقاً كان بالسيف أما الآن فبالأسلحة الكيميائية والبيولوجية وسمّ مواكب الزوار، وحادثه جسر الأئمة التي استخدموا فيها السلاح الكيميائي وهم ليسوا في السلطه، فكيف كانوا يتصرفون وهم فيها؟ سؤال يتوجه إلى من يريد إعادتهم أو قد أعاد قسماً منهم إلى الحكم.

عند تفحص تاريخ المعصومين الأربعة عشر صلوات الله تعالى عليهم أجمعين فإننا نجد أنهم تعاملوا مع الأحداث تعاملًا يثير التساؤل واقعاً؛ لعدم إكفائهم بما لديهم وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (الكهف: ٦٨). ولا شك أن ذلك كله كان طبقاً للمصلحة المشخصة من قبلهم، وفي الحقيقة أنا أعتقد جازماً أن من نعم الله تبارك وتعالى علينا أن ما تثار من تساؤلات في أنفسنا عن سنتهم إنما هي تساؤلات استفهام لإنسان جاهل يريد التعلم منهم لا استفهام مستنكرين كبعضهم أو مبررين لأعدائهم، متخذين هذه التصرفات وردود الفعل منهم دليلاً على حقيقته من عادتهم. فنراهم مره يدارون في موقف نحسبه مهماً للغاية، فكيف صدر منهم رد الفعل الكذائي دون غيره وأخرى قد نحسبه هيناً.

ولكن من خلال التفحص نجد أن الحاكم في ذلك هو مصلحة الدين لا المصلحة الشخصية، فعندما لا تتوقف مصلحة الدين إلا على التحمل فهو ذاك، كما في الهجوم على دار بنت النبي صلوات الله تعالى عليهم أجمعين. فإن من الجلي أن الإمام صلوات الله تعالى عليه لم يكن ليتهور ويتصرف تصرفاً يكون ثمنه محق الدين كل ذلك ثاراً لما حصل. والفرق بين الشجاعه والتهور واضح، فالشجاعه ملكه نفسانيه موجوده في المتصف بها لا- يمكن أن تتخلف إلا- بزوال الملكه وكذا ضده وهو الجبن، وقد تتوطن النفس عليها فتكون حالاً، وأما التهور فليس من الشجاعه، وكذلك ليس من العقل بشيء. وهذا هو الذي لم يفهمه من استشكل على عدم نهوض (١) على صلوات الله تعالى عليه - وإن كان وحيداً - بوجه من تعرض

ص: ١٥٩

١- (١). هناك من يشكل فيقول: ألا- تقولون بشجاعه على عليه السلام فلماذا لم يستخلص حقه. وجوابه في قوله تعالى على

لداره فأثر الصبر على النهوض لما فيه من مصالح للدين، هذا وكذلك تنفيذاً لوصيه النبي صلوات الله تعالى عليه وآله له بالصبر.

وأنقل من أمثله ما تقدم من سيره النبي صلوات الله تعالى عليه وآله وتصرفه مع الأحداث مثاليين، وذلك عندما ارتفع صوت الشيخين عنده فلم يتكلم ولم يغضب، لأنّ المسأله وإن كان مرجعها إلى احترام هذا الوجود المقدس ولكنه لو تكلم أو أبدى غضبه لقيـل: إنه ثار لنفسه وليس ذلك ببعيد، ولكنّ الله تعالى أنزل قرآناً بذلك، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (الحجرات: ٢) فعلم ما حصل، وإن أردت مزيد اطلاع فراجع كتب التفسير لهذه الآيه المباركه، وجاء ذلك فى البخارى فيطلب فى محله ١. وأخرى نجده صلوات الله تعالى عليه وآله غضب عندما جاءه عمر بن الخطاب بصحيفه لليهود، فقرأها عليه صلوات الله تعالى عليه وآله: «فغضب وقال: أمتهوكون فيها يابن الخطاب، والذى نفسى بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيه لا تسألوهم عن شىء فيخبروكم بحق فتكذبونه». ٢ وإلا فبمقتضى ما نراه نحن فإنّ الموقفين يقتضيان نفس ردود الفعل على حساباتنا.

ولم نر النبي الأعظم صلوات الله تعالى عليه وآله قد قتل من أراد قتله ليله العقبه وهم متلبسين بالجرم، وغير ذلك كثير. وهكذا جميع الحجج الطاهرين صلوات الله تعالى عليه وعليهم وذلك من خلال تتبع مواقفهم. فلم يتخذوا الجانب السلبي - كما يدعى - أو اتخذوا التخفى والخضوع بغطاء التقيه، ولم ينكمشوا على حال وسلوك واحد لم يتغير على مدى التاريخ، بل كانت مواقفهم تتغير وفقاً لتغير الموضوعات، فمره جهاد وأخرى تقيه وفى كلا الحالين كانت والتعذيب والتشريد هو النصيب الأوفر، وخير دليل على ذلك مواقف على سبيل المثال لا الحصر:

١. موقف الزهراء بعد وفاه النبي صلوات الله تعالى عليه وآله، وموقفان للإمام على صلوات الله تعالى عليهم أجمعين في هذه الفترة، وبعد توليه دفة الحكم.

٢. موقفان للإمام الحسن صلوات الله تعالى عليه عند توليه الخلافة، ثم عقد الصلح. ثم الموقف الذى اتخذته الإمام الحسين وأصحابه وأهل بيته صلوات الله تعالى عليهم.

٣. أما ثوراتنا فلم تقف، فتوره العشرين شارك فيها مراجع الشيعة من أى بلد، بل إن من علماء إيران من شارك فى ثوره العشرين، وشهداء الهيئه العلميه فى النجف الأشرف كالشهيد المرجع الدينى السيد محمد باقر الصدر وغيره من العلماء، من أمثال الشهيد عارف البصرى وخزعل السودانى وعبد الجبار البصرى وأخيه ناظم البصرى وآل المبرقع وآل دخيل وغيرهم كثير منذ بدء عصر الغيبه الكبرى، كانت هناك فترات نهداً فيها فلا ترى لنا تحركاً ملحوظاً، وتاره تجد هناك ثورات ترتسم على جبين التاريخ بكل فخر واعتزاز، وكله - كما تقدم - كان خاضعاً للظروف التى نعيشها فى ظل الحكام، فاختلقت المواقف بين بلد وآخر وبين زمن وآخر.

الجهاد مره ابتداءً وأخرى دفاعاً

الجهاد مره يكون ابتداءً لتوسيع رقعه الدين، وأخرى يكون دفاعاً عنه. ففى كلا القسمين تكلم الفقهاء فى عصر الغيبه فى جوازهما أو عدمه، ومن خلال فتوى أو إذن المجتهد الجامع للشرائط، لما فيه من مسؤوليات تترتب عليه، فقد ينكسر الجيش فينجم عنه كارثه لا تحمد عقباها، أو ينتصر ويبقى حصول مشاكل اجتماعيه واقتصاديه وغيرها أمراً محسوباً، والمعروف لدى الجميع أنّ من نتائج الحروب وقوع أسرى بيد العدو كما ينجم عنه وجود معوقين وشهداء، وهؤلاء لهم أسرّ وعوائل كانوا يدبرون أمرها، ومثل هذه المخلفات لا يمكن تجاهلها، وعليه فإنّ هذا الأمر متوقف على دراسه الجوانب السلبيه للجهاد قبل الإيجابيه كون الفقيه غير معصوم فيمكن أن يرتكب خطأ يجر على الأمه الويلات، فمن مهام الدين أن يوازن بين ذلك كله، وإلا فإنه لا يمكن أن يسمح لقائد أن يتسبب فى هلاك الأتباع دون تعقل للأمر. أما بخصوص الثانى فهذا هو التاريخ بين يدينا، نقرأ فيه تسطير أروع الملاحم لثوراتنا وقوفاً بوجه المستكبرين والظالمين. ومن الملموس فى عصرنا هذا ثوره الجمعه التى فجرها السيد الشهيد المرجع محمد صادق الصدر. وإنّ دخول المحتل

كان مقرراً بحسب الاستقراء قبل التاريخ المعروف، وكان تأجيله متوقفاً على قتله وقتلها ومضى فتره لنسيانها. وإن لمن بركات هذه الثورة تعثر الاحتلال في اتخاذ القرارات لوقوف بعض أنصار (١) هذه الثورة البيضاء الحمراء سداً منيعاً بوجه الظلم الذى يحاك ضد هذا البلد، بالرغم من ارتكاب بعض الأخطاء، فالذين ساروا على هذا النهج غير معصومين ولكن عليهم أن يستفيدوا من تجارب غيرهم ويسمعوا لنصح من أحبهم ذلك خير لهم.

ومن عظيم ما سطره الأبطال ممن أقامها كالشهيد الشيخ على الكعبي وغيره - قدست أرواحهم الطاهرة - وأتباعهم، وكأهالى مدينه الصدر المنسيه وغيرها من المدن الفقيره الغنيه - التى تعانى من كل النواحي قبل سقوط النظام وبعده لأسباب عديده - فى الوقوف بوجه النظام الذى استخدم الإيرانيين الفارين المعادين للدين لقتل المؤمنين من أبنائنا، ووصل الحد بأنه لو خيّر أحد من قبل قوات الأمن بين اعتقاله أو إقامه الصلاه تنفيذاً لتوجيه السيد رحمه الله تعالى بإقامتها لاختار اعتقاله، وهذا ليس مدحاً أو تمجيذاً لطرف - فقد ينحرف الإنسان آخر حياته - وهذا خير دليل على الثورة، الإقدام والذوبان فى ذات الله تعالى - على الأقل بحسب ظاهر المُقَدِّم - فأرجو من الله تعالى للجميع الثبات وحسن العاقبه وعدم الركون إلى ما سبق من العمل لئلا يحرق.

ص: ١٦٢

١- (١). وإن وجدت بعض الأخطاء فلم يدع أحد منهم العصمه.

ولكى نبقى لما هو أهم وكما فعل عمار رضوان الله تعالى عليه، وقد علمنا أنّ حال آل محمد صلوات الله تعالى عليه وعليهم وحال أتباعهم فى زمن لم يبعد عن زمن النبى صلوات الله تعالى عليه وآله كثيراً، وقد جرى عليهم ما جرى وخير مثال على ذلك حادثه كربلاء، فقد عبرت أيما تعبير عن مجازاه آل البيت الأطهار ومواليهم، بل حرب الجمل وصفين، بل يوم الهجوم على دار الزهراء، بل اتهام النبى صلوات الله تعالى عليه وآله بأنه يهجر وهو - روى فداه - مسجى على فراش الموت.

جاء فى علل الشرائع للشيخ الصدوق (١) عن زراره، عن أبى جعفر عليه السلام قال:

سألته عن مسأله فأجابنى قال: ثم جاء رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابنى، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابنى وأجاب صاحبى، فلما خرج الرجلان قلت: يا بن رسول الله، رجلان من أهل العراق من شيعتك قدما يسألان فأجبت كل واحد منها بغير ما أجبت به الآخر! قال: فقال: يا زراره، إنّ هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم ولو اجتمعتم على أمر واحد لقصدكم الناس، ولكن أقل لبائنا وبقائكم، قال: فقلت لأبى عبد الله عليه السلام: شيعتكم لو حملتموهم على الأسنه أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين قال: فسكت فاعدت عليه ثلاث مرات فأجابنى بمثل أبيه. (٢)

ص: ١٦٣

١- (١). علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٩٥.

٢- (٢). (شرح أصول الكافي؛ المازندراني، ج ٢ ص ٣٢٨- البحار، ج ٢ ص ٢٣٦- الكافي، الشيخ الكليني، ج ١، ص ٦٥- وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، والد البهائي العاملى، ص ١٧٠- مستدرک سفينه البحار، الشيخ على النمازى، ج ٣، ص ١٥٧- درر الأخبار، حجازى خسرو شاهى، ص ٤٨). ومنه يتبين أن المهم هو أصل الإمامه، والإمام المشخص من قبل الله هو العالم بمصالح المؤمنين.

وخير دليل على تلك الظروف التي عاشها الأئمة، بحيث كانوا يتصرفون بهذه الدقه في إيقاع الخلاف بين شيعتهم، ما نقله ابن حجر العسقلاني في كتابه سبل السلام (١) في الذين رفعوا الصلاه على الآل حقدًا عليهم. فمتابعه سلاطين الظلم والجور لآل البيت صلوات الله تعالى عليهم ولأتباعهم بلغت مبلغاً يحتم هذا التأكيد على التقية، فهي وقايه لنا وقد جاء في البحار: (٢) «عن ثابت مولى آل جرير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: كظم الغيظ عن العدو في دولاتهم تقيه حزم لمن أخذ بها، وتحرز من التعرض للبلاء في الدنيا».

وقد تبين من كتب المسلمين أنّ للمؤمن حرمه عظيمه ولم يخول الله تعالى لأحد أن يلقي بنفسه إلى التهلكه، فوضع لنا مخرجاً فمن كان يعتقد بأنه على الحق أياً كان مذهبه على أن يتشهد الشهادتين ويكون مؤمناً بها، فقد جعل له هذا المؤمن لخلصه وحسابه عند ربه تبارك وتعالى فعند الله تعالى تجتمع الخصوم.

دوافع التأكيد على التقية بهذا النحو

من المعلوم أنّ العوامل النفسيه لها تأثير كبير على تصرفات الفرد ومن ثم على المجتمع، بشكل أنت تستطيع أن ترسم صورته للشخص من خلال ما ترى من سلوكه، وأمثله كثيره من واقع الحياه يمكن لأي واحد منا أن يقع على ذلك، فالمطاراد من قبل السلطات في دوله تستطيع سلطاته النيل منه ترى منه أفعالاً تختلف عما لو كان في بلد يعيش فيه بحريه تامه.

ومن المعلوم أنّ حياه الشيعة رافقت القتل والتشريد والتعذيب وغير ذلك. فالأجواء والظروف التي أحاطت بهم لم تكن كالتى تمتع بها غيرهم، وبناءً على ما تقدم كان هدف الأئمة من خلال هذا التركيز على التقية خلق جو نفسى للمؤمنين من حولهم، بأن لا يظهروا أنفسهم مظهرًا يدفع ثمنه حمله هذا الفكر إماماً ومأموماً قتلاً وإباده، فإنّ الشجاعه شىء والتهور شىء آخر، وعلى المؤمن أن يدخر نفسه ليوم أشد.

وهذا فى اعتقادى تابع للزمان والمكان، فنرى أنّ الإمام مره يبرز ظاهراً بين الناس، كما حصل فى الكوفه إبان فتره ضعف الدوله الأمويه وتوالى الثورات عليها وبدء نشاط الدوله العباسيه، ثم رجع كما لو لم يكن تحرك من قبل.

ص: ١٦٤

١- (١). سبل السلام، ج ١ ص ١٩٣.

٢- (٢). بحار الانوار، ج ٧٢ ص ٣٩٩.

ولم يكن الإمام ليكتف كل شيء وعن كل أحد، فلو راجعنا كتب الرجال - الجرح والتعديل - الشيعيه لوجدنا بعض الرجال الذين وصفوا بأنهم من أصحاب الأئمة ورووا عنهم صلوات الله تعالى عليهم من أتباع المذاهب - العامه - فيقال في أحدهم عامي روى عن الإمام، وليس هذا فحسب، بل ووثقوهم وقبلوا روايتهم أيضاً. ومن هؤلاء (في رجال النجاشي (١)) أصرم بن حوشب البجلي عامي، ثقه، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، وكذلك (٢) الفضيل بن عياض بصرى، ثقه، عامي، روى عن أبي عبد الله عليه السلام، ويحيى بن سعيد القطان أبو زكريا، (٣) عامي، ثقه، روى عن أبي عبد الله عليه السلام - وراجع باقى كتب الرجال - كالفهرست للطوسى وخلاصه الأقوال للعلامه الحلى أعلى الله تعالى مقام علمائنا جميعاً، وإنما أوردت ما تقدم للمثال وليس للحصر.

فالنتيجه إذن أن الأئمة صلوات الله تعالى عليهم كانوا من خلال ذلك يتغون تعليم أتباعهم وترويضهم على تحمل مصاعب الكتمان، وهو أمر ليس بهين واقعاً؛ لأنك تسمع من يشتم سيدك ومولاك وصى النبي الأعظم صلوات الله تعالى عليهم أجمعين وتسلم عليه وتضحك معه، وإن علم ما أنك من محبيه تعرضت للقتل هذا أمر يحتاج إلى مران ومتابعه ليكون ملكه عند المعاصرين لتلك الفتره العصبيه، ولولا هذه الفسحه لما كان للتشيع من أثر وإنما نحن ثمار تلك المجاميع التى كانت تستضعف مشرقاً ومغرباً والله المستعان. أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (البقره: ١٥٧)، فالسلام عليكم يا أتباع آل محمد يوم ولدتم ويوم تموتون ويوم ترجعون أو تبقون ويوم تبعثون أحياء، على ما دفعتم من أثمان باهضه لقاء إلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى (الشورى: من الآيه ٢٣)، فَاسْتَبَشِرُوا بِنَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (التوبه: من الآيه ١١١).

ومن الدوافع أيضاً مواساه الأئمة صلوات الله تعالى عليهم لأتباعهم وطرح شبهه كون التقيه نفاقاً - من أذهانهم - والتى يرمى بها المؤمنون لكى يخلعوا هذا الدرع الواقى بعد تعييرهم، فينكشف أتباع أهل البيت الأطهار أمام الآخرين فيقتلوا تحت أنواع التهم.

وبهذا النحو من التأكيد وبركته تكاثر الشيعة إلى ما نحن عليه الآن، فلم يستطع أحد أن

ص: ١٤٥

١- (١) . ص ١٠٧.

٢- (٢) . رجال النجاشى ص ٣١٠.

٣- (٣) . رجال النجاشى ص ٤٤٣.

يُطْفِئُ نُورَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (التوبة: ٣٢).

وتمت أمر يجب ألا- ننسأه وقد قدمنا إليه فى الباب الأول وهو أن الظالم عنوان عام، فقد يكون هناك حاكم يلبس قناع التشيع ويجور على المسلمين وهو غير بعيد، بل هو أمر متوقع من كل غير معصوم، وقد يكون لابساً قناع أحد المذاهب الأخرى فيفعل ما فعله الأول وفى الحقيقة نجد أن كلاهما لا- يمت إلى الدين بأى صله، فيسير المسلمون جميعاً معه بالثقة، أعاذ الله تعالى المسلمين منهما.

ص: ١٦٦

إشاره

من يراجع التاريخ الشيعي يجد فرقاً مالت عنه، لا- أتصور خفاءها على القراء ولو في الجملة، فهناك الفطحيه والإسماعيليه والنصيريه والواقفيه وغيرهم كثير، بل نجد ذلك حتى في تاريخنا المعاصر، حيث نسمع صيحات لهذا وذاك يدعون الانتساب إلى هذه المدرسه العظيمه، إلا- أنه في تصوري انتماء بالاسم فقط، نعم هناك تكفير وإخراج من المله والدين ولكن - ومع الأسف الشديد - من غير تأمل كما يحصل مع قسم من الشيعة لمجرد الاختلاف في المنهج.

وعجبت من الذين اقتدوا بمن اتهم على بن أبي طالب صلوات الله تعالى عليه بشرب الخمر، بل ادعى هذا الرجل بأن مسأله شرب الخمر كانت من الأمور المتأصله فيه وفي باقي الصحابه، (١) بل يذكرون هذا الرجل بكل إجلال وتعظيم واحترام في حين أنه لم يحترم البيت الذي تربي فيه الإمام عليه أفضل الصلاه والسلام.

تصحيح

والحقيقه أنّ - قسماً وليس جميعاً- من هؤلاء ليس لهم أيّ علاقته بالتشيع بعد الميل عنه، فالتسميه تطلق عليهم بعلاقه ما كان ولا يمكن قبول الانتساب بعد ذلك عليهم. كيف أنّ الأحزاب السياسيه إذا انشق عنها فريق كان كل فريق له اتجاه وفكر يتبناه على غير ما كان عليه وإلا فلا يسمى منشقاً. ومثال ذلك أنّ فكر مدرسه أتباع المذاهب الإسلاميه الأربعة قائم على أساس نظريه عداله الصحابه وقبول خلفه من جاء بعد النبي صلوات الله تعالى عليه

ص: ١٦٧

١- (١). راجع في ظلال القرآن، سيد قطب، ص ٦٦٥.

وآله، كما كان تسلسلهم من بعده، وكذلك على أساس صححه كتابي البخارى ومسلم، فمن خرج عن ذلك ولو فى الجملة لا يرضون إطلاق اسم التسنن عليه، فكذا نحن الشيعة لا يمكن قبول دعوى كون هذه الفرق من الشيعة بتاتاً.

تمييز المنشقين عن الإماميه

نعم، كان تمييز المنشقين عن أئمة أهل البيت صلوات الله تعالى عليهم إلى الإمام العسكرى عليه أفضل الصلاه والسلام سهل يسير، وأما فى زمن الغيبه فيحتاج إلى التأمل والتدبر فى أفكار ذلك الشخص أو التجمع أو الحزب أو المرجعيه، والنظر فى أهدافهم وميولهم، وكل يعرف نفسه بعد ذلك فى ميوله هل نضب لنفسه معصوماً غير الأربعة عشر أم لا! وقد يدل على نفسه من خلال التشكيك بعقائد الشيعة والتعرض للأئمة والعقائد وغير ذلك، ولا أريد أن أذكر الأسماء - عسى أن يعود إلى جاده الصواب، فليس من ضامن لنفسه كى يتعرض لغيره والله الموفق للخيرات -. وأما من كان من خارج التشيع فهو واضح. ولكن يبقى أمر مهم تجدر الإشارة إليه، وهو أن هناك مدارس أخرى وجدت فى قبال مدرسه التشيع لآل محمد صلوات الله تعالى عليهم أجمعين، ولكنها تمتاز بالهدوء وقبول التعايش مع الآخرين والاعتراف بوجود هذه الطائفه كوجود مشروع قائم على أسس ومبانٍ لا يمكن تجاهلها.

ومما يؤسف له أن هناك تيارات متشدده نشأت، همها التكفير والتعرض للشيعة مره بوجه خاص وأخرى لهم وللمذاهب الأخرى، ولكن بطريق مبطن ظاهره الود وباطنه العدا، ومن يراجع بعض الكتب والمؤلفات يجد البغض والعداء الحقيقين قد ارتضعهما ضد التشيع لآل محمد صلوات الله تعالى عليهم وقد يلتمس العذر لبعض منهم، فقد يكون قد حمل فكره خاطئه ليس لها من الواقع شىء.

٥. بعد التغيير في إيران

بعد التغيير الذى حصل فى إيران ثارت ثائره دوائر الحقد على الدين، وتحركت أساطيلهم لشن حروب من جميع الجهات فى نطاق حملة همجيه على أتباع مدرسه آل محمد صلوات الله تعالى عليهم والسنه المحمديه التى جاءتنا عنهم، حيث نسبت التهم التى طبل لها وزمر شخصيات لم يكن لها أى اسم فى الدين والتدين، وما كان ذلك إلا اجترار لتلك التهم التى توجهت إلينا عبر هذا التاريخ الطويل المرير، وتم دفع أموال طائلة لهذا الغرض، هذا فى إطار الحمله الفكرية، كل ذلك ولم يدع أحد أن هذه الدوله هى دوله العدل الإلهي ولم يقل أحد بعصمه القائم بالثوره، بل لا يرضى هو (قدس سره) أن يوصف بهذا الوصف، (١) ومع هذا ظهرت صيحات تدعى التشيع لضربه من الداخل وتمثلت هذه الحركات بنشاطات لفلان و فلان ممن رمى الشيعة فى هذه الدوله بتهمه إنكار الإمام الحجه صلوات الله تعالى عليه وألف كتباً وخط مقالات تتضمن هذا المعنى لكى يضل الناس، حيث توهم إنكار النص والمصير إلى الشورى، ولكنه هو الذى تبنى إنكار الإمام الحجه صلوات الله تعالى عليه، ومشكله صاحب هذه الأطروحه كانت ناتجه من خلافات تسربت إلى عقائده طلباً للرئاسه (٢) فلما اختلف (٣) معه

ص: ١٦٩

١- (١). راجع الرسائل العمليه باب التقليد فى مسائل تخلف عداله مرجع التقليد. فماذا يفعل هؤلاء لو ظهر الإمام صلوات الله تعالى عليه؟

٢- (٢). إشاره إلى ما جاء فى وسائل الشيعة للحر العاملى، ج ٢٧ ص ١٢٩: وفى (معانى الأخبار) عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن خالد، عن أخيه سفيان بن خالد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إياك والرياسه فما طلبها أحد إلا هلك، فقلت: قد هلكنا إذا ليس أحد منا إلا وهو يحب أن يذكر ويقصد ويؤخذ عنه، فقال: ليس حيث تذهب، إنما ذلك أن تنصب رجلا دون الحجه فتصدقه فى كل ما قال وتدعو الناس إلى قوله.

٣- (٣). فقد يكون محققاً فى نفس الخلاف ولكن انحرافه العقائدى ممنوع، قال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ

انحرف عن جاده الصواب، والحقيقه فإنّ هذا ناشئ من سوء التوفيق - أعوذ بالله - فما هو ذنب الدين لتتحامل عليه وقد اختلفت مع شخص يماثلك في عدم العصمه عن الوقوع في الخطأ؟ وعلى كل فسأطرق إلى ذلك في كتاب غير هذا إن سمح لي الوقت إن شاء الله تعالى. وقد رمى - هذا وغيره - الشيعة بالغلو بدوافع سياسيه لا علاقه لها بالأمر العقائديه إما ترشيحاً عن تلك الأخطاء التي سجلها عنده على غيره أو مخالفه لهم لاستباحه حرمتهم.

وأما على النطاق العسكري فمما لا يخفى على عاقل فقد تم خوض حروب وتصفيات ضدنا ولم يقف إلى جانب المؤمنين المخلصين إلا الله تعالى وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً.

وعن طريق الغزو الثقافي الغربي حاولت الدوائر المذكوره إدخال ثقافه التحلل الخلقي في هذا المجتمع.

ولكن العنايه الإلهيه كانت بالمرصاد لجميع محاولات التدمير والهدم، وإن كانت هناك بعض الخسائر التي لا بد منها في الواقع.

والنتيجه أنه اتضح مما تقدم أنّ هذا المبدأ - أعني التقيه - كان متعرضاً للمد والجزر أن صح التعبير، وذلك بحسب ما تقتضيه المصلحه الشرعيه. فهناك مواقف يتطلب فيها العمل بها، وهناك مواقف يتم فيها تقديم الضحايا وإن كان الضحيه هو الإمام نفسه.

لا يمكن أن يعتبر الشيعة طبقه فيها نوع أناس يحيون تحت الظلم ويخضعون للظالمين تحت غطاء مبدأ التقيه.

وتّم فتح باب العداء لمدرسه آل البيت صلوات الله تعالى عليهم وبأغطيّه متعدده، وقد استحلّت حرمت الشيعة على أساس ذلك وطُورِدوا وعُذِّبوا وقُتِلوا وطرِدوا من أعمالهم ووضائفهم عن طريق نسبه الغلو والتقيه والقول بالتحريف إليهم وباقي التهم المشيره للنفره والاشمئزاز، من قبل الحركات الهدامه المرتديه لباس التشيع أو غيرها والتي همها الوحيد إثارة الغبار.

ومما نسب إليهم فيما يخص هذا البحث: أن التقيه تساوى النفاق.

فاتضح مما تقدم أنّ هدف التيارات المعاديه هو هدف سياسى يتبنى إسقاط التشيع وأتباعه من بين المسلمين.

الباب السادس: النتائج

اشاره

ص: ١٧١

النتيجة الأولى: أن الله تعالى لا يعث

من ينكر هذا المبدأ فعليه أن يلتزم بلوازم باطله قطعاً، وبيان ذلك أن الأمر ينتهي إلى:

العبث: وهو أن يأكل الظالم المظلوم، والمؤمن سيكون اللقمة السائغة لأي متجبر يناله وينال منه متى يشاء قال تعالى: وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا - ذَلِكَ ظُنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا (ص: من الآية ٢٧)، وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (الأنبياء: ١٦)، أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا (المؤمنون: من الآية ١١٥)، وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (الدخان: ٣٨). وكذلك عدم التفات المولى إلى إمكانية انهيار هذا البناء الذي من أجله بعث الأنبياء والرسول، ونصب أئمة الهدى وسخر له كل شيء. وأنه يفرط بالمؤمن من أجل ظاهر لا يساوى شيئاً وعدم الاكتراث بما فى باطنه من عقيدته خالصه. والأدلة القطعية ترد كل ذلك - أعوذ بالله تعالى من ذلك كله.

ولما كان المؤمن هو أساس هذا البناء - وهو الدين - ومع عدم المؤمن ينتفى الدين، وكذلك لما كان بقاءه ووجوده متعلقاً بهذه الرخصة - لأن دائره تحرك الجائرين لا- تحكها أى قيم، فتسهل لهم عملية فتنه المؤمنين، فقد يزل المؤمن أو يضعف إيمانه أو يقتل فى لحظه ما تحت ضغوط معينه - . وأما المؤمن فتحكمه الضوابط التى تمنعه من الرد بالمثل فى كثير من الأحيان - حيثند تتضح أهميه التقيه ويأتى دورها، فأهميتها ليست ناشئه من حيث هى تقيه، بل من حيث هى حفظ لهذا البناء المقدس، وإلا فستبقى الأرض بيد الظالمين وأهل الجور والفساد وهذا خلاف الحكمة الإلهيه بالضرورة.

ويتضح أيضاً أنها منحه من قبله تبارك وتعالى لعباده كما أجاز أكل الميتة عند المخمصة فكذلك هنا.

نعم، نحن لا ندعى إنَّ هذا المبدأ خاص بالشيعة فقط، بل ليكن هذا المبدأ سيَّلاً في كل حاله يعتقد المكلف أنه على حق في دوله أو مجتمع ظالمين - وكما أسلفت من هو الذى على الحق فى الواقع ونفس الأمر هذا مسكوت عنه هنا - على أن السبب فى ظهور الشيعة فقط بالعمل بهذا الفرع هو تكالب سلاطين الجور عليهم، وهذا لا يعنى أنهم لم يستخدموها، وإلا فقد ظهر كيف استخدمها غيرهم من أتباع المذاهب من خلال ما تقدم.

النتيجه الثانيه: العامل بها ليس بمنافق

كما سبق من إيراد الأدله التى أباحت استخدام التقيه ومبدأ المداراه، فقد كان أول دليل هو الذى جاء عن النبى صلوات الله تعالى عليه وآله، فهل يجرؤ أحد على نسبه ما اتهموا به الشيعة إليه - وحاشا النبى - أو إلى المسلمين أو جميعاً؟ فإن لم يجرؤ فمنشؤه إما:

١. عملاً بالتقيه، فتوجه لهم نفس التهمه وتنطبق عليهم القاعده التى أسسوها فيطلق عليهم وصف النفاق.

٢. عدم مراعاة الدقه فى التعرض لأفكار الآخرين، فيوجب الخلل فى التدوين واقعاً.

٣. إنَّ التقيه من حيث المبدأ صحيحه ولكنهم تورطوا فى تسميتها نفاقاً.

النتيجه الثالثه: حمل النفاق على التقيه خطأ علمي

اشاره

ولغرض توضيح هذه النتيجه نحتاج إلى مقدمات:

المقدمه الأولى: جاء فى تعريف التقيه أنَّها من التقوى ومن الوقايه، ومعلوم أنَّ التقوى هى الإيمان والإيمان هو التقوى، والإيمان هو الدين والدين كله وقايه، فإنَّه وقايه من النار ومن النجاسات ومن تسليم المرء نفسه للهلاك اعتباراً (وهو التقيه)، ومن أكل المحرمات (إلا فى المخمصة خوف الموت)، وهكذا يكون (الدين كله تقيه فما لهم ينكرون هذا الفرد منها).

ومن ثم فإنَّ الأئمه - صلوات الله تعالى عليهم - بأسلوب الحكيم أتوا للمستمع بهذا اللفظ - الذى له أفراد متعدده - فمنها المعنى المتبادر إلى ذهن السامع. أو كما لو شكى شخص

فقره، فتقول له: كلنا فقراء إلى الله - تعالى - ترغيباً أو مواساه، فينتهى الإشكال. ولما تقدّم قد يتحصل معنى قولهم صلوات الله تعالى عليهم مرّه التقيه كل الدين وأخرى تسعه أعشاره، فكله وقايه من الفتنة عموماً أو خصوصاً فتأمل.

نعم، قد يُشكّل على ذلك: بأنهم صلوات الله تعالى عليهم كانوا فى مقام بيان حكم المعنى الأخص والعامل بها دون الأعم. وجوابه: إنّه لا- بأس من الإتيان بالعام وإرادته العام بأفراده بضمنها الحصة الخاصه، فيكون المعنى: الدين كله تقيه فلا معنى لأن تكون حصه منها نفاق وأخرى إيمان.

وإن لم تقبل هذه المقدمه كنتيجة من رأس فحينئذٍ نحتاج إلى بيان المقدمات التى تلى.

المقدمه الثانيه: وفيها أمران:

الأول: عند أهل النظر كل قضيه يجب أن يتوفر فيها ركنان الأول الموضوع والثانى المحمول. فإذا تمّ حمل العام على الخاص من قبيل قولنا: (الأسد حيوان) فيطلق على هذا النوع من الحمل ب- (الحمل الطبعى). وأما إذا كان العكس أى حمل الخاص على العام من قبيل قولنا: (الحيوان إنسان) فهذا يطلق عليه ب- (الحمل الوضعى). وحيث إنّ الأول موافق للطبع سمي كذلك، وأنّ الثانى لم يكن كذلك سمي بالوضعى. على أن كلا الحملين صحيح ومفيد علمياً ولكل دلالتة الخاصه به.

الثانى: طريقه أهل اللغه فى تأليف الجمل: فإن كل جملة تامه يجب أن يتوفر فيها ركنان الأول المسند والثانى المسند إليه ويطلق عليهما ركننا الإسناد، ولا- مانع من تقدّم أحدهما على الآخر؛ نظراً لما يريد المتكلم إظهاره من أهميه من خلال كلامه، وكلا الطريقتين مفيد وضعاً فضلاً عن ذلك دلالة أسلوب الحصر فليراجع مفصلاً فى محله، وإجمالاً وفى ما نحن فيه استخدام هذا الأسلوب بجعل أحد ركنى الإسناد منحصرأ فى الآخر لبيان الأهميه كذلك، هذا فى اللغه العربيه طبعاً وقد تتوفر هذه الخاصيه فى لغات أخرى، ولكن أغلب اللغات ليس فيها جمل إسميه، وتقتصر على الفعلية منها فقط على التفصيل الذى فى محله من كون الفعل تاماً أو ناقصاً مساعداً.

المقدمه الثالثه: سبق أن تطرقنا فى الباب الخامس إلى أمر مهم فى شأن تأريخ الشيعة، وخلاصه ذلك: أنّ الأئمه صلوات الله تعالى عليهم كانوا بصدد خلق جو نفسى للموالى يتوقى من خلاله تنكيل المخالف المتجبر - وقيد المتجبر يخرج المخالف المسالم.

ص: ١٧٥

المقدمه الرابعه: وما تقدم فى المقدمه الثالثه لا- يحصل إلا- بإظهار أهميه التقيه بمظهر تحرك المعنيين باتجاه الحفاظ على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم، وكذلك حفظ المجتمع من التآكل، وذلك عن طريق دليل لفظى يخصها. وهذا الإظهار ستنين وتتضح كفيته من خلال ما سياتى لتعرض إلى بيان الفروق بين ما تقدم من مفاهيم فى الباب الأول الفصل الأول منه وكذلك لبيان طريقه الحمل أو الإسناد بعد الاستفاده من المقدمات السابقه.

بيان الخطأ الذى وقع فيه القوم

أولاً: على ما جاء فى المقدمه الأولى لا إشكال أن المسأله محلولة من رأس، بأن التقوى إيمان وهى الدين وهما التقوى، نعم حصل تعويض لفظ بلفظ. وهذا كما ذكرت مبتن على قبول هذه المقدمه، وأما بخلافه فنحتاج إلى (ثانياً) أدناه.

ثانياً: بعد أن نجمع بين المقدمات الثانيه والثالثه والرابعه نصل إلى بيان أنواع الحمل، وكذلك طرق الإسناد وما هو المستفاد منها معنى، ومنه ستتضح الفروق بين التقيه والمداراه وبين غيرهما:

التقيه والمداراه: التقيه والمداراه هما إظهار ما يعتقد المدارى والمتقى بطلانه واستبطان ما يعتقد حقيته - مع السكوت الآن فى هذا الكتاب عن قيد كونه حقاً فى الواقع أم لا - ويقع ذلك فى الأقوال والأفعال.

ثم إن الشخص يبقى على إيمانه ولا- يمسه بسوء عند استخدامه التقيه، أى من دون تحمل أى إثم، بل قد يقع فى الإثم عند مخالفتها.

ويصح إسناد أو حمل لفظ المتقى والمدارى - تمشياً مع اصطلاح العامه - على المؤمن، وكذا العكس كقولنا: (المتقى مؤمن، المؤمن متقى)، كما يصح إطلاق الوصفين (التقيه والمداراه) على وصف الإيمان وهو عليهما (التقيه إيمان، الإيمان تقيه) من باب الحمل الطبعى أو الوضعى أو من باب تقديم المسند أو المسند إليه.

ومن باب أولى يتضح عدم صحه حمل أو إسناد المداهنه والنفاق على التقيه، فهى عكس النفاق كما سيتضح تماماً.

الإذاعه: هى الإظهار بشكل عام، فإذا كانت إظهاراً للحق فى مقام يشرع فيه الإخفاء تقيه فهى ضد للتقيه، أو فى مقام الكتمان فتكون ضداً له. ويصح حمل وصف الإذاعه على المؤمن وعلى الإيمان، مقيداً بحال كون الإذاعه مشروعاً فقط، نعم قد تقع ضداً للكتمان أيضاً.

ومما تقدّم يتضح أنه لا يصح حمل وصف الإذاعة على شخص المتقى حال التلبس بوصف التقيه، وكذا الإسناد إليه. وكذا ذات الوصفين أحدهما على الآخر وله. بعبارة أخرى أنه لا يصح الحمل والإسناد من حيث ارتكابهما أو من حيث هما طرداً وعكساً مطلقاً؛ لأنهما ضدان. ومن باب أولى عدم صحه ذلك مع المداهنه والنفاق، وإلا فإنه من باب حمل الإنسان على الحجر أو العكس.

وارتكاب الإذاعة قد يوقع بالإثم ولكن ليس بالعنوان الأولى، بل لمخالفه مقام العمل بالتقيه أو الأمر بالكتمان، هذا إذا لم يرد النهى عنها، ومعه فيكون الأثم بمخالفه النهى المشار إليه وقد ورد.

المداهنه: أما المداهنه ومرادفاتهما فهي معرفه الحق والإيمان به ومخالفته في قول أو فعل أو في كليهما، وارتكابها يوقع في الإثم بالعنوان الأولى، ولا يخرج المرتكب من دائره الإيمان.

ويصح إطلاق المداهن على شخص المؤمن أو المتقى لا من حيث هو متقى، بل من حيثيه أخرى، فتقول: هذا المؤمن مدهن، ذمماً لتصرف إدهان أوقع نفسه فيه، ولا يصح العكس (أى لا يصح قولنا: المداهن مؤمن ولا المداهن متقى) إلا مع اختلاف الحيثيه، وكذا لا يصح حمل وصف المداهنه على وصف الإيمان أو التقيه من حيث هما ولا العكس.

النفاق: والنفاق هو معرفه الحق دون الإيمان به ومعرفه الباطل واعتناقه وإظهار الأول واستبطان الثانى، فيتضح أنه خلاف الإيمان، ومنه يتضح أيضاً أنه عكس التقيه تماماً؛ لأنها إخفاء الأول وإظهار الثانى بقيود وليس دائماً.

ويصح حمل أو إسناد المداهن على المنافق وكذا العكس (المنافق مدهن) و (المداهن منافق) ولكن مجازاً وتوسعاً من باب الذم والتشبيه.

ولا يصح إطلاق لفظ المنافق على المؤمن أو المتقى فضلاً عن العكس، كما لا يصح حمل أحد الوصفين (التقيه أو الإيمان من جهه والنفاق من جهه أخرى) على الآخر، والمنافق أسوأ حالاً من الكافر والنفاق أشد من الكفر، قال تعالى: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً (النساء: ١٤٥). نعم، عاملهم النبي صلوات الله تعالى عليه وآله معاملة المسلم رأفه بهم فى الدنيا، فهو مظهر اسم الرحمن، قال تبارك وتعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء: ١٠٧)، وكذلك لظروف الدين الحنيف آنذاك و الله تعالى العالم بتشخيص المصلحه، وهو كذلك بإذن الله تعالى، حيث قال الله العزيز الحكيم: وَمَا كَانَ

لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ (الرعد: من الآية ٣٨)، وَتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (إبراهيم: من الآية ١)، وَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ (إبراهيم: من الآية ١١)، وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ (فاطر: من الآية ٣٢)، وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ (غافر: من الآية ٧٨).

المقدمة الخامسة: وفيها أمران: الأمر الأول: الفرق بين الحملين أو الإسنادين:

الأمر الثاني: الفرق بين الحملين أو طريقتي الإسناد في المعنى المستفاد من الأدلة:

أما الحمل أو الإسناد بالطريقة الأولى فهو معلوم؛ لأنه طبعى وذلك واضح لا يحتاج إلى بيان، فَإِنَّ التَّقِيَةَ مَسْأَلَةٌ مِنْ مَسَائِلِ الدِّينِ فَكَمَا أَنَا نَقُولُ الصَّلَاةَ إِيمَانًا وَالزَّكَاةَ مِثْلَهَا فَالتَّقِيَةُ كَذَلِكَ، مِثَالُهُ (الإنسان حيوان)، (الصلاة عبادتى).

وأما الحمل أو الإسناد بالطريقة الثانية فهو تابع إلى بيان الأهمية وكذا في علم البلاغة من حيث التقديم والتأخير بين ركني الإسناد (الدين المرءه).

ومن أراد إبطال ما قدّمناه فعليه أن يغيض النظر عن علمي المنطق والبلاغة من رأس، فَإِنَّ مِنْ حَقْنَا إِنْ أَرَدْنَا أَنْ نَشْدُدَ وَنُرَكِّزَ عَلَى أَمْرٍ مَعِينٍ نَحْمَلُهُ عَلَى مَا هُوَ أَعْمُ مِنْهُ، فَكَذَا هُنَا عِنْدَمَا نَقُولُ: الإِيمَانُ الصَّلَاةَ وَالإِيمَانُ الزَّكَاةَ وَالِدِينُ الصَّلَاةَ وَالِدِينُ التَّقِيَةَ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا تَقِيَةَ أَوْ لِمَنْ لَا صَلَاةَ لَهُ وَهَكَذَا.

وأما قولهم عليهم أفضل الصلاة والسلام: (ولا دين لمن لا تقية له) فهذا محمول على عده وجوه وكما يلي:-

الوجه الأول: إِنَّ مَنكَرَهَا مَنكَرٌ لِتَشْرِيعِهَا، وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُ إِذَا أَنْكَرَ مَكْلَفٌ تَشْرِيعًا بَعْدَ ثُبُوتِهِ - وَالْكَلَامُ فِي الْكِبْرِي، وَأَعْنَى بِذَلِكَ مَعَ التَّسْلِيمِ بِتَشْرِيعِهَا وَهُوَ صَحِيحٌ - حَكْمُهُ حَكْمٌ مِنْ أَنْكَرَ الضَّرُورَى.

الوجه الثاني: إِنَّ مَنْ لَا يَعْمَلُ بِهَا وَقْتَ وَجُوبِهَا يَكُونُ ارْتِكَابًا لِلْمَحْرَمِ، فَيَكُونُ الْمَكْلَفُ عَلَى غَرَارٍ (لا يزنى المؤمن وهو مؤمن).

الوجه الثالث: إِنَّ مَنْ لَا يَعْمَلُ بِهَا مَعَ تَشْخِصِ الْمَوْقِفِ يَنْصَبُ النِّفَى عَلَى كِمَالِ الدِّينِ. (١) ونفى الكمال تكلم فيها القوم على تفصيل فى كتبهم.

الوجه الرابع: للحث على الأخذ بها والتشديد على عدم تركها حفاظاً على أرواح المؤمنين.

ص: ١٧٨

الأمر الثاني: كونها كل الدين أو تسعة أعشار الدين

لما كانت نقاط الخلاف في الأصول والفروع وفي الفروع عبادات ومعاملات كانت تسعة أعشار الدين أو كله فهي تابعة إما للظروف أو لتركيبه المجتمع. فمع الناصبي تكون كل الدين وأخرى تسعة أعشاره، فلماذا نتمسك بحديث كل الدين أو تسعة أعشاره فقط ونبدأ بالنقض لخلق الخلل المتوهم!! وما سبق ذكره ليس معناه أن بين مذاهب المسلمين الأخرى يوجد وفاق ١٠٠٪ وإلا ما تعددت، ولكن المستهدف من الخلاف هم الشيعة، وإلا فقد استخدمها أحمد ومالك عندما استهدفتها السلطة.

وأما إنكارها فكإنكار الصوم وغيره من الضروريات كما مر في الفرق بين الحملين، وهو الواقع لما مر من الأدلة التي أوردتها بهذا الصدد.

وأما كونها كل الدين فلأنها تبقى علينا فيبقى الدين، ومنه تكون هي الدين.

الخلط في استخدام المصطلح

مما يؤسف له أنّ هناك إما خلط في استخدام المصطلح أو تعمد استخدامه في غير موضعه؛ لغرض بثّ الفكره الخاطئه وتشبيتها أو إذا فرضنا حمل هؤلاء القوم على محمل حسن، فإنه استخدام المعنى اللغوي لا المصطلح الشرعي، وهذا مما يتضح من نقل أقوال بعضهم كما ترى.

فقد جاء في الجواب الصحيح لابن تيميه: (١) «فعامه أهل الأرض مع محمد إما مؤمن به باطناً وظاهراً وهم أولياء الله المتقون وحزبه المفلحون وجنده الغالبون، وإما مسلمون له في الظاهر تقيه وخوفاً من أمتة وهم المنافقون».

وفي الصارم المسلول ابن تيميه: (٢) «إلى المفسده فقال القاضي أبو يعلى وغيره وهو ممن أطلق الروايتين: التوبه غير محكوم بصحتها بعد قدره الإمام عليه؛ لجواز أن يكون إظهارها تقيه من الإمام والخوف من عقوبته...».

وفي مجموع الفتاوى ابن تيميه: (٣) «وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ (التوبه: من الآيه ١٨...) فإذا قيل الأعمال الظاهره تكون من موجب الإيمان تاره وموجب غيره أخرى كالتكلم بالشهادتين

ص: ١٧٩

١- (١) . الجواب الصحيح، ٩٧/٥.

٢- (٢) . الصارم المسلول، ٩٤٢/٢.

٣- (٣) . مجموع الفتاوى، ٥٨١/٧.

تاره، يكون من موجب إيمان القلب وتاره يكون تقيه كإيمان المنافقين، قال تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (البقره: ٨)»

وفى تفسير الثعالبي: (١)

والحسن والسدى وغيرهم من المفسرين إن هذا الخدع هو أن الله تعالى يعطى لهذه الأمه يوم القيامة نوراً لكل إنسان مؤمن أو
منافق، فيفرح المنافقون ويظنون أنهم قد نجوا، فإذا جاؤوا إلى الصراط طفيء نور كل منافق ونهض المؤمنون، فذلك قول
المنافقين انظرونا نقتبس من نوركم، فذلك هو الخدع الذى يجرى على المنافقين، ثم ذكر سبحانه كسلهم فى الصلاه وتلك
حال كل من يعمل كارهاً غير معتقد فيه الصواب، بل تقيه أو مصانعه...

وفى روح المعانى الالوسى: (٢) «يخلفون أنهم مؤمنون مثلكم و ما هم منكم (التوبه: من الآيه ٥٦) فى ذلك لكفر قلوبهم و لكثهم
قَوْمٌ يَفْرُقُونَ (التوبه: من الآيه ٥٦) أى: يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلوا بالمشركين فيظهرون الإسلام تقيه ويؤدونه بالإيمان
الفاجره... وفيه أيضاً: (٣) «وإنما أعدوه كذلك؛ لأنهم لا ينفقونه احتساباً ورجاءً لثواب الله تعالى ليكون لهم مغنماً وإنما ينفقونه
تقيه». وفيه كذلك: (٤) «مما لا يليق بمقام النبوه والمانع من ذلك فيه عليه الصلاه والسلام عصمته كسائر الرسل الكرام عليهم
السلام عن كتم الوحي المأمور بتبليغه والخيانه فيه وتركه تقيه والمقصود من ذلك تحريضه».

وفى السيره الحلبيه للحلبى: (٥) «أبى ذلك عليهم فنزل قوله تعالى: وَ أَنْ أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ (المائد: من
الآيه ٤٩...) ومن اليهود من دخل فى الإسلام تقيه من القتل...».

رفع الحصانه الإسلاميه

بالجمع بين ما تقدّم وبين حديث الرفع نصل إلى نتیجه مهمه وهى أنهم أرادوا محاسبتنا على ما رفع عنا أصلاً. فهل يرضى بنفس
النهج من يقوم بهذا الفعل لنفسه، وإن رضى بذلك فهل نصّب الله تعالى المقياس أم لا؟ فإذا عرف كل منا حده انتهت المشكله.
حينئذ نتساءل لماذا يتحول

ص: ١٨٠

١- (١) . تفسير الثعالبي، ١/٤٢٥.

٢- (٢) . روح المعانى، ١٠/١١٨.

٣- (٣) . نفس المصدر، ١١/٥.

٤- (٤) . نفس المصدر، ١٢/١٨.

٥- (٥) . السيره الحلبيه، ٢/٣٣٧.

عنوان التقيه إلى النفاق؟ الجواب لرفع الحصانه الإسلاميه، فأولاً يبرهن على عدم جوازها لك لأنك لست بمسلم، أو لا يجوز استخدامها مع المسلم وإلا كان المستخدم كافراً، عندها يرتفع الحاجز وتنتهي الحصانه فتستباح الحرمات. ولكن انتبه لنفسك، سوف يأتي يوم يتسلط عليك من يرفع حصانتك إما بسبب قتلك المؤمنين أو هكذا لمجرد السلطه أو الخلاف، فتستباح حرماتك فلماذا تضع نفسك هذا الموضوع؟ لماذا تكفر الآخرين ثم تسمى من يكفرك (التكفيريون الجدد)؟ لماذا تضع غيرك بين خيار إما أن تصبر على قتلك ونهب ثرواتك ومنحها إلى الفئانات والراقصات أبداً أو إذا صدر منك رد فعل فأنت المليشيات يجب حلك وحلها... والله عجيب. قل أنا أريد قتلك وأريد أن تبقى ساكناً راضياً بكل ما أريد.

من الكافر ومن المسلم ومن المنافق؟

جوابه في قوله صلى الله تعالى عليه وآله:

«تفترق أمتي...»، (١) أخبر بدخول واحده في الجنه دون غيرها، فليس لأحد أن يدعى حقيقته ما لم يكن معصوماً؛ لئلا يقع في إشكال هتك الحرم الثلاث الدم والعرض والمال، وما دمنا نؤمن بصدور هذا الحديث فكل يرى أنه على الحق، وكل طائفه تقول بكفر غيرها، ولكن ثمت فرق بين من لا يقتل وبين من همه القتل والإباده فأين هذه من تلك، وعلى هذا تترتب أمور منها أن معبود كل طائفه غيره في الأخرى؛ لأنه عند بعض له يد وعين والأخرى لا ترى ذلك، ونبي طائفه يبول واقفاً ويتأثر بالسحر وينطق بالكفر ويخطئ ويسهو ويصلى الظهر خمساً (٢) وعند غيرها ليس كذلك، أما حكمهم فموكول إلى الله تعالى، ولكنهم ألبوا على الشيخ المفيد (قدس) ونسوا أنفسهم. وعلى كل حال تنتفى تهمة النفاق بما ورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (٣) «خالطوا الأبرار سرّاً وخالطوا الفجار جهاراً ولا تميلوا عليهم فيظلموكم...». وهذا فعل يناقض النفاق الذي هو العكس، فمن حكم بطلانها آمن بنقيضها فيحكم بنفاقه ويبرأ غيره من هذه التهمه فافهم وتأمل. وأما الأبرار بموازين الشرع فهم كما ستعرف صفاتهم في الفصل التالي من الباب، وليس من تلبس بالخلافه الإسلاميه وشرب الخمر وقتل العباد الزهّاد وسرق أموال المسلمين

ص: ١٨١

١- (١). راجع ملحق المصادر، ص ٢٤٤.

٢- (٢). مصادر ما ذكرت موجوده ومناقش في تلك الدعاوى ومحلّه في محلّه ليس هنا.

٣- (٣). الكافي، للكلينى، ١١٧/٢. تمام الحديث في الفصل اللاحق إن شاء الله.

وفتح البلدان بالسيف وشوّه صورته الدين ولم يلتفت إلى قوله تعالى: لا إكراه في الدين (البقره: من الآية ٢٥٦)؟ فالدعوة إلى الدين بالخلق القويم وإذا اعتدى علينا نرد بالمثل قال تعالى: فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ (البقره: من الآية ١٩٤)، ولسنا بحاجة إلى فاتح يقتل آل محمد صلوات الله تعالى عليهم، بل كما أوصى الصادق عليه السلام نفراً من الكوفه (١) فقال:

أوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته واجتناب معاصيه، وأداء الأمانه لمن ائتمنكم، وحسن الصحبه لمن صحبتموه، وأن تكونوا لنا دعاه صامتين. فقالوا: يا بن رسول الله، وكيف ندعو إليكم ونحن صموت؟ قال: تعلمون ما أمرناكم به من العمل بطاعه الله، وتتناهون عما نهيناكم عنه من ارتكاب محارم الله، وتعاملون الناس بالصدق والعدل، وتؤدون الأمانه، وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، ولا يطلع الناس منكم إلا على خير، فإذا رأوا ما أنتم عليه قالوا: هؤلاء الفلانيه، رحم الله فلاناً، ما كان أحسن ما يؤدب أصحابه، وعلّموا فضل ما كان عندنا، فسارعوا إليه، أشهد على أبي محمد بن علي رضوان الله عليه ورحمته وبركاته، لقد سمعته يقول: كان أولياؤنا وشيعتنا فيما مضى خير من كانوا فيه، إن كان إمام مسجد في الحى كان منهم، وإن كان مؤذن في القبيله كان منهم، وإن كان صاحب وديعه كان منهم، وإن كان صاحب أمانه كان منهم، وإن كان عالم من الناس يقصدونه لدينهم ومصالح أمورهم كان منهم، فكونوا أنتم كذلك، حبيونا إلى الناس، ولا تبغضونا إليهم.

وقال عليه السلام للمفضل: (٢)

«أى مفضل قل لشيعتنا: كونوا دعاه إلينا بالكفّ عن محارم الله، واجتناب معاصيه واتباع رضوانه، فإنهم إذا كانوا كذلك كان الناس إلينا مسارعين» وعن المفضل قال: «قال لى أبو عبد الله عليه السلام: إنما شيعه جعفر من كفّ لسانه، وعمل لخالقه حتى يكون كالحنيه من كثره الصلاه، وكالصافى من الصيام، وكالأخرس من طول السكوت».

ص: ١٨٢

١- (١). دعائم الإسلام، للنعمان المغربي، ٥٦/١.

٢- (٢). شرح الأخبار، للنعمان المغربي، ٥٠٦/٣.

التقيه كحكم شرعى هو مشروع تكاملي من جهات ثلاث، الأولى من جهه العلاقه مع الله تعالى، والثانيه من جهه العلاقه مع النفس، والثالثه من جهه العلاقه مع الناس، لذلك لا يمكن أن يعطل. ويستشف هذا من مجمل الشرع الإسلامى كدستور كامل ينظر إليه بلحاظ كمالته، فلا يمكن أن نستل هذا الحكم من الدستور ونحكم عليه بالنقص، لأنه سيكون ناقصاً فعلاً على الأقل فى وقت ما، ولكن باجتماعه مع غيره من الأحكام - وهذا اللحاظ هو الصحيح - يحكم عليه ببقائه.

وكل ذلك يكمن فى كتم السر عن الآخرين مع التحلى بخلق ينهى عن إضمار نيه الشر - كما مر سابقاً - فضلاً عن الاعتداء، ويأمر بالنصيحه والدعاء وقضاء الحاجات للآخرين والرفق بهم والعيش معهم بسلام، وكل ما تقدم يمكن أن تجده فيما يأتى من بحوث، فتابع على بركة الله تعالى.

التقيه والكتمان خفاء وتخلص من الرياء

الخفاء يعنى السر وهو بشكل عام يقىك السمععه والرياء والمدح والإطراء، وإلا فقد يقع الإنسان فى شراك الشرك الخفى، فإن ما تقدم من أعظم المشاكل التى تواجه المؤمن، ومما يُمكنُ التخلص مما ذكرت أمور منهنّ الرياضات، وهذا أمر قد يكون صعباً إن لم يكن هناك ما يدفعه نحو ذلك، فيحتاج المرتاض إلى الثانى منهنّ، وهو التوفيق والثالث منهنّ وهو التكليف بذلك من الله تعالى، ومع هذا كله تجد قول العزيز الحكيم تعالى: **وَ مَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَ هُمْ مُشْرِكُونَ** (يوسف: ١٠٦). ومما يحث على ذلك ما عن أبى عبد الله عليه السلام

قال: (١) «قال الله تعالى: إن من أغبط أوليائي عندى عبداً مؤمناً ذا حظ من صلاح، أحسن عباده ربه وَعَبَدَ الله فى السريره، وكان غامضاً فى الناس، فلم يشر إليه بالأصابع، وكان رزقه كفافاً، فصبر عليه فعجلت به المنيه. فقل تراثه، وقلت بواكيه». وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (٢)

«ثلاث منجيات، وثلاث مهلكات: فأما المنجيات: فخوف الله فى السر والعلانيه، والعدل فى الغضب والرضا والقصد فى الغنى والفقر. وأما المهلكات: فشح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه». وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (٣)

«جمع خير الدنيا والآخره فى كتمان السر، ومصادقه الأخيار، وجمع الشر فى الإذاعه، ومؤاخاه الأشرار».

وقد علمت أول الكتاب ما جاء فى الحديث القدسى:

وإن من عبادى المؤمنين لمن يشتهى الباب من العباده فأكفه عنه لثلا يدخله عجب فيفسده ذلك وإن من عبادى المؤمنين لمن لا يصلحه إلا- الغنى ولو أفقرته لأفسده، وإن من عبادى المؤمنين لمن لا- يصلحه إلا-.. إنى أدبر عبادى بعلمى بقلوبهم إنى عليم خبير).

والآخر: «وعزتى وجلالى وعلوى وبهائى وجمالى وارتفاع مكانى لا يؤثر عبد هواى على هوى نفسه إلا أثبت أجله عند بصره، وضمنت السماء والأرض رزقه وكنت له من وراء تجاره كل تاجر». فالله تعالى هو أعلم بما يصلح باطن المؤمن فيختار له ما يصلحه، ولو كان المؤمن يظهر كل عمل يقوم به يمتدح عليه لأصابه العجب، فيدخله الرياء ليفسد باطنه. ولو أن المؤمن أظهر ما عنده من علم أو عمل ظناً منه أن فى ذلك شجاعه بينما يكون أصله رياء وتهور واندفاع وفتنه إلى غيره يسبب تناحر المجتمع وتحاسده وتآكله، لكان كل ذلك قرينه لا- إلى الله تعالى، بل لغرض آخر كحب الظهور والأخير يؤدى إلى الهلكه أعادنا الله تعالى منها. ثم إن الإيمان على درجات كما بين أهل البيت صلوات الله تعالى عليهم أتباعهم، فعن (٤) عبد العزيز القراطيسى قال:

قال لى أبو عبد الله عليه السلام : يا عبد العزيز، إن الإيمان عشر درجات بمنزله السلم يصعد منه مرقاه بعد مرقاه فلا يقولن صاحب الاثني لصاحب الواحد لست على شىء حتى ينتهى إلى العاشر، فلا تسقط من هو دونك فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجه فارفعه إليك برفق ولا تحملن عليه ما لا يطيق فتكسره، فإن من كسر مؤمناً فعليه جبره.

ص: ١٨٤

١- (١) . وسائل الشيعة (الإسلاميه)، الحر العاملى، ٥٦/١.

٢- (٢) . الحكايات، الشيخ المفيد، ٩٨.

٣- (٣) . مستدرک الوسائل، الميرزا النورى، ٣٢٨/٨.

٤- (٤) . الكافى، للكلينى، ٤٤/٢، ٤٥.

فالتقيه والكتمان المأمور بهما عمليه غرضها بناء الإنسان والمجتمع ظاهراً وباطناً، وهذه غايه صنع الإنسان الخليفة: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (البقره: من الآيه ٣٠). وجاء عن أبي عبدالله عليه السلام قوله: (١)

إن الله تعالى جعل الدين دولتين دولة لآدم عليه السلام ودولة لإبليس فدولة آدم هي دولة الله تعالى، فإذا أراد الله تعالى أن يعبد علانيه أظهر دولة آدم، وإذا أراد الله أن يعبد سراً كانت دولة إبليس، فالمذيع لما أراد الله ستره مارق من الدين... [أى خارج عن كمال الدين - كما ذكروا تعليقاً على الروايه-].

ومما ورد عن أبي الصباح الكناني (٢) أن بعض البلايا تصيب الإنسان المؤمن في الدنيا لتخلصه من تبعات السمععه والشهره، فقال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه شيخ، فقال: يا أبا عبد الله، أشكو إليك ولدى وعقوقهم وإخواني وجفاهم عند كبر سنني، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هذا، إنَّ للحق دولة وللباطل دولة وكل واحد منهما في دولة صاحبه ذليل وإنَّ أدنى ما يصيب المؤمن في دولة الباطل العقوق من ولده والجفاء من إخوانه، وما من مؤمن يصيبه شيء من الرفاهيه في دولة الباطل إلا ابتلى قبل موته، إما في بدنه وإما في ولده وإما في ماله حتى يخلصه الله مما اكتسب في دولة الباطل ويوفر له حظه في دولة الحق فاصبر وأبشر.

فيتضح أنَّ كل ما يصيب المؤمن من رفاهيه وسمععه وثقل في المجتمع يدفع ثمنه مما يصيبه لكي يصل إلى الله تعالى نقياً، فاختر لنفسك ما تريد.

وقد ورد عنهم صلوات الله تعالى عليهم ما يحذر من الرياء والسمععه، إما عن طريق الدعاء أو النهي عن ذلك صراحه. فها هو السجاده صلوات الله تعالى عليه في صحيفته يطلب منه تعالى أن يبعده عنهما فقال: «اللهم إني أسألك إيماناً لا أجل له دون لقائك، أحييني ما أحييتني عليه، وتوفني إذا توفيتني عليه، وابعثني إذا بعثتني عليه، وأبرأ قلبي من الرياء والشك، والسمععه في دينك حتى يكون عملي خالصاً لك»، (٣) و «اللهم إني أعوذ بك من الغفله والقسوه والعيله والذله والمسكنه، وأعوذ بك من الكفر والفقر، ومن وسوسه الصدر وتشتيت الأمر، وأعوذ بك من الرياء والسمععه...»، (٤) و: «اللهم إني أعوذ بك من الرياء والسمععه والكبرياء والتعظيم والخيلاء والفخر والبذخ والأشر والبطر والإعجاب بنفسي...»، (٥) و: «وأعدنا من الفشل

ص: ١٨٥

١- (١). الكافي للكليني ٣٧٢/٢ و ١٥٨/٨.

٢- (٢). همان/٤٤٧.

٣- (٣). الصحيفه السجاده للإمام زين العابدين عليه السلام ٢٣٢.

٤- (٤). همان، ٢٨١.

٥- (٥). همان، ٣٦٣.

والكسل والعجز، والعلل والضرر، والضجر والملل، والرياء والسمعه...»، (١) و:

اللهم صل على محمد وآل محمد واجعلني وجميع إخواني بك مؤمنين، وعلى الإسلام ثابتين، ولفرائضك مؤدين، وعلى الصلوات محافظين، وللزكاه فاعلين، وللمرضاتك مبتغين، وللإخلاص مخلصين، ولك ذاكرين، ولسنه نبيك صلواتك عليه وعلى آله متبعين، ومن عذابك مشفقين، ومن عدلك خائفين، ولفضلك راجين، ومن الفزع الأكبر آمنين، وفي خلق السماوات والأرض متفكرين، ومن الذنوب والخطايا تائبين، وعن الرياء والسمعه منزهين. (٢)

هذا كله في جانب العبادة والتقرب إلى الله تعالى، ناهيك عن المضار الأخرى في باقى شؤون الحياه من خلال الإذاعه التى فى غير محلها، تعلمها من خلال عرض أقسام السر فتابع لاحقاً.

أقسام السر

يمكن تصنيف السر إلى ثلاثة: الأول منهن من جهة العلم أو المعرفة، (٣) والثانى من جهة العمل، والثالث عام وهو ما يخص صاحب السر من شؤون حياته الأخرى. أما القسمين الأولين فله رب من الرياء وأقرانه وكما مرّ وهما عباديان من جهة ورفق بالآخرين من جهة أخرى، وأما الثالث فلمنع الوقوع فى المصائد المعده للغافلين أو المغفلين. ويمكن أن يشمل الأخير جميع الأقسام، ولكن التفصيل فيه فائده كما ستطلع إن شاء الله تعالى.

النقسم الأول: السر من جهة العلم أو المعرفة

وقد وردت فى ذلك الآيه المباركه مبينه هذا الأمر وحثت روايات على الكتمان، فقول الله تعالى: وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ (يوسف: من الآيه ٧٦)، وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله:

«نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»، وكما جاء فى مقدمه مسلم: عن عبد الله بن مسعود قال:

«مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِيَعْضِبَهُمْ فَتَنَّهُ». (٤) وجاء كذلك عن عائشه أنها قالت: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله]

ص: ١٨٦

١- (١). الصحيفه السجديه للإمام زين العابدين عليه السلام ، ٤٧٠.

٢- (٢). همان، ٤٩١.

٣- (٣). الفرق بين العلم والمعرفة أنك قد تعلم بالشىء ولا- تعرفه كما لو كنت غائباً عن أهلک سنين طوال فى الأسر وتعلم أنك رزقت ولداً ولم تصل إليك صورته، وحينما ترجع إلى أهلک ترى أبناء الأخ وأبناء الأخت وغيرهم يستقبلونك ومنهم ابنك ولكن لا تستطيع أن تميز بينهم إلا بالإخبار.

٤- (٤). فهل كان كل من عبد الله بن مسعود وعائشه ممن كتم عندك فكانا من الملعونين أم ممن فى أعلى درجات العدالة؟

وَسَيَلَّمُ أَنْ تُنَزَّلَ النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ مَعَ مَا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ». و: «ما حدث أحد قوماً بحديث لم تبلغه عقولهم إلا- كان فتنه عليهم»، ١ ولو لم تكن التقيه إلا- هنا فهو دليل كاف على ضروره الكتمان والتقيه على حد سواء، فإن الآيه والروايه بينتا أن فوق كل ذى علم هناك عليم، ولو تساوا في العلم لما كان هناك ذو علم وعليم، ويبقى قسم من علم العليم الذى هو فوق الأول محجوب عنه لسبب ما، وأحد الأسباب أن يكون فتنه له فيخفى العليم عن تحت لمصلحته هو ومصلحه الآخرين. ولو رجعت إلى مدرسه القرآن الكريم لحكمت بنفسك، فراجع ما جرى بين موسى وهو نبي من أنبياء أولى العزم وبين العبد الصالح على نبينا وآله وعليهما وعلى جميع المصطفين الأخيار أفضل الصلاه والسلام فى سوره الكهف المباركه. وقد ذُكرت التقيه يوماً عند الإمام على بن الحسين عليه السلام فقال: (و الله لو علم أبو ذر ما فى قلب سلمان لقتله ولقد آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بينهما، فما ظنكم بسائر الخلق؟ إن علم العالم صعب مستصعب لا يحتمله إلا نبي مرسل أو ملك مقرب أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان قال: وإنما صار سلمان من العلماء لأنه أمرؤ منا أهل البيت عليهم السلام فلذلك نسبه إلينا. ٢ وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

اتقوا الله على دينكم، واحجبا بالتقيه، فإنه لا إيمان لمن لا تقيه له، إنما أنتم فى الناس كالنحل فى الطير، لو أن الطير تعلم ما فى جوف النحل ما بقى فيها شىء إلا- أكلته، ولو أن الناس علموا ما فى أجوافكم أنكم تحبوننا أهل البيت لأ-كلوكم بألستهم ولنحلوكم فى السر والعلانيه، رحم الله عبداً منكم كان على ولايتنا. ٣

فهى الدرع الواقى للمؤمن، حيث قال أبو عبد الله عليه السلام :

«إنَّ أبى كان يقول: ما من شىء أقر لعين أبيك من التقيه». وزاد فيه الحسن بن محبوب، عن جميل أيضاً قال:

«التقيه جنه المؤمن». ٤ وعن زيد ٥ قال:

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: نخشى أن لا نكون مؤمنين! قال: ولم ذاك؟ فقلت: وذلك أنا لا نجد فينا من يكون أخوه عنده أثر من درهمه وديناره ونجد الدينار والدرهم أثر عندنا من أخ قد جمع بيننا وبينه موالاه أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: كلا إنكم مؤمنون ولكن لا تكملون إيمانكم حتى يخرج قائمنا فعندها يجمع الله أحلامكم فتكونون مؤمنين كاملين، ولو لم يكن في الأرض مؤمنين كاملين إذا لرفعنا الله إليه وأنكرتكم الأرض وأنكرتكم السماء، بل والذي نفسى بيده إن في الأرض في أطرافها مؤمنين ما قدر الدنيا كلها عندهم تعدل جناح بعوضه، ولو أن الدنيا بجميع ما فيها وعليها ذهب حمراء على عنق أحدهم ثم سقط من عنقه ما شعر بها أى شيء كان على عنقه ولا أى شيء سقط منه لهوانها عليهم، فهم الخفى عيشتهم المنتقلة ديارهم من أرض إلى أرض الخميصة بطونهم من الصيام، الذبلة شفاهم من التسييح، العمش العيون من البكاء، الصفر الوجوه من السهر، فذلك سيماهم ضربه الله مثلاً في الإنجيل لهم وفي التوريه والفرقان والزبور والصحف الأولى وصفهم فقال: سَيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ. (١)

وقد عنى بذلك صفه وجوههم من سهر الليل، هم البرره بالإخوان في حال اليسر والعسر، المؤثرون على أنفسهم في حال العسر كذلك وصفهم الله فقال:

وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، (٢) فازوا والله وافلحوا، إن رأوا مؤمناً أكرموه، وإن رأوا منافقاً هجروه، إذا جنهم الليل اتخذوا أرض الله فراشاً والتراب وساداً واستقبلوا بجباههم الأرض يتضرعون إلى ربهم في فكاك رقابهم من النار، فإذا أصبحوا اختلطوا بالناس لم يشر إليهم بالأصابع، تنكبوا الطرق واتخذوا الماء طيباً وطهوراً، أنفسهم متعوبه وأبدانهم مكدوره والناس منهم في راحه، فهم عند الناس شرار الخلق وعند الله خيار الخلق.

إن حدثوا لم يصدقوا وإن خطبوا لم يزوجوا، وإن شهدوا لم يعرفوا، وإن غابوا لم يفقدوا، قلوبهم خائفه وجله من الله، ألسنتهم مسجوناه وصدورهم وعاء سر الله، إن وجدوا له أهلاً- نبذوه إليه نبذاً، وإن لم يجدوا له أهلاً- ألقوا على ألسنتهم أقفالاً غيبوا مفاتيحها وجعلوا على أفواههم أوكيه صلباً صلاب أصلب من الجبال لا ينحت منهم شيء، خزان العلم ومعدن الحلم والحكم وأتباع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، أكياس يحسبهم المنافق خرساء وعميا وبلهاء وما بالقوم من خرس ولا عمى ولا بله، إنهم لأكياس فصحاء حلماء أتقياء برره صفوه الله، أسكنتهم الخشيه لله وأعتيتهم ألسنتهم خوفاً من الله وكتماناً لسره، فوا شوقاه إلى مجالستهم ومحادثتهم، ويا كرباه لفقدهم، ويا كشف كرباه لمجالستهم، اطلبوهم فإن

ص: ١٨٨

١- (١). الفتح: من الآية ٢٩.

٢- (٢). الحشر: من الآية ٩.

وجدتموهم واقتبستم من نورهم اهتديتم فزتم بهم في الدنيا والآخرة هم أعز في الناس من الكبريت الأحمر، حليتهم طول السكوت بكتمان السر والصلاه و الزكاه والحج والصوم والمواساه للإخوان في حال اليسر والعسر، فذلك حليتهم ومحبتهم يا طوبى لهم وحسن مآب، هم وارث الفردوس خالدين فيها ومثلهم في أهل الجنان مثل الفردوس في الجنان، وهم المطلوبون في النار المحبورون في الجنان، فذلك قول أهل النار: ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعبدُهم من الأشرارِ ، (١) فهم أشرار الخلق عندهم فيرفع الله منازلهم حتى يرونهم فيكون ذلك حسره لهم في النار، فيقولون يا ليتنا نرد فنكون مثلهم فلقد كانوا هم الأخيار وكنا نحن الأشرار فذلك حسره لأهل النار.

وعن أبي عبد الله عليه السلام : في قول الله: وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، (٢) فقال: «أما والله ما قتلوهم بالسيف ولكن أذاعوا سرهم وأفشوا عليهم فقتلوا». وعن إسحاق بن عمار قال: «تلا أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ، (٣) فقال: والله ما ضربوهم بأيديهم ولا قتلوهم بأسياهم ولكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها، فقتلوا فصار ذلك قتلاً واعتداء ومعصية». وعن أبي بصير (٤) قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن حديث كثير فقال: هل كتبت على شيئاً قط؟ فبقيت أتذكر، فلما رأى ما بي قال: أما ما حدثت به أصحابك فلا بأس، إنما الإذاعه أن تحدث به غير أصحابك». وعن الرضا على بن موسى عليهما السلام قال: (٥) «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنه من ربه، وسنه من نبيه، وسنه من وليه. فأما السنه من ربه فكتمان السر، قال الله تعالى: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ، (٦) وأما السنه من نبيه فمداراه الناس فإن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله بمداراه الناس فقال: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ، (٧) وأما السنه من وليه فالصبر على البأس والضراء يقول الله تعالى: وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ . (٨)

ص: ١٨٩

١- (١) . ص: من الآية ٦٢.

٢- (٢) . آل عمران: من الآية ١١٢.

٣- (٣) . البقره: من الآية ٦١.

٤- (٤) . المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ٢٥٨/١.

٥- (٥) . معانى الأخبار، الشيخ الصدوق، ١٨٤.

٦- (٦) . الجن: ٢٦، ٢٧ من الآية.

٧- (٧) . الأعراف: ١٩٩.

٨- (٨) . البقره: من الآية ١٧٧.

قد يشمل هذا القسم جانب المستحبات نسبه كبيره منه، ولقد ورد فى ما يشير إلى ذلك من الروايات كالتى حثت على التصديق فى السر، وعن رسول الله صلوات الله تعالى عليه وآله لأبى ذر رحمه الله: (١) «يا أبا ذر، اذكر الله ذكراً خاملاً، قلت: يا رسول الله وما الذكر الخامل؟ قال: الذكر الخفى». وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (٢) «من ذكر الله تعالى فى السر فقد ذكر الله كثيراً إن المنافقين كانوا يذكرون الله علانيه ولا يذكرونه فى السر، فقال الله تعالى: يُرَاؤُنَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا». (٣) وعن أبى عبد الله عن، أبيه عليهما السلام قال: (٤)

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صدقه السر تطفى غضب الرب». وعن عمار الساباطى قال: (٥) «قال لى أبو عبد الله عليه السلام: يا عمار، الصدقه و الله فى السر أفضل من الصدقه فى العلانيه، وكذلك و الله العباده فى السر أفضل منها فى العلانيه».

القسم الثالث: ما يشمل شؤون الحياه الأخرى

وغالباً ما يكون هذا القسم فيما يخص عامه أمور الإنسان، فمن كلام لأمير المؤمنين عليه السلام مع كميل رحمه الله: (٦)

يا كميل، لا تطرق أبواب الظالمين للاختلاط بهم والاكتماب معهم، وإياك أن تعظمهم وأن تشهد فى مجالسهم بما يسخط الله عليك، وإن اضطررت إلى حضورهم فداوم ذكر الله والتوكل عليه واستعد بالله من شرورهم وأطرق عنهم وأنكر بقلبك فعلهم واجهر بتعظيم الله تسمعهم، فإنك بها تؤيد وتكفى شرهم. يا كميل؛ إن أحب ما تمثله العباده إلى الله بعد الإقرار به وبأوليائه التعفف والتحمل والاصطبار. يا كميل، لا تر الناس إقتارك واصبر عليه احتساباً بعز وتستر. يا كميل، لا بأس أن تعلم أخاك سر، ومن أخوك؟ أخوك الذى لا يخذلك عند الشديده ولا يقعد عنك عند الجريه ولا يدعك حتى تسأله ولا يذرك وأمرك حتى تعلمه، فإن كان مميلاً فأصلحه...

ص: ١٩٠

١- (١). الأمالى، الشيخ الطوسى، ٥٣٠.

٢- (٢). وسائل الشيعة (الإسلاميه)، الحر العاملى، ١١٨٩/٤.

٣- (٣). النساء: من الآيه ١٤٢.

٤- (٤). الكافى، الشيخ الكلينى، ٧/٤.

٥- (٥). الكافى، الشيخ الكلينى، ٨/٤.

٦- (٦). تحف العقول، ابن شعبه الحرانى، ١٧٣.

وعن زيد قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (١) (اكتم سرّك عن كل أحد ولا يخرج سرّك إلى اثنين فإنه ما جاوز الواحد فهو إفشاء، وإذا دفنت في الأرض شيئاً تودعه الأرض فلا- تشهد عليها شاهداً، فإنه لا تؤدى الأرض إليك وديعتك أبداً). وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (٢)

إن المشوره لا تكون إلا بحدودها فمن عرفها بحدودها وإلا كانت مضرتها على المستشار أكثر من منفعتها له، فأولها أن يكون الذى يشاور عاقلاً، والثانيه أن يكون حراً متديناً، والثالثه أن يكون صديقاً مآخياً، والرابعه أن تطلعه على سرّك، فيكون علمه به كعلمك بنفسك، ثم يستر ذلك ويكتمه، فإنه إذا كان عاقلاً انتفعت بمشورته، وإذا كان حراً متديناً جهد نفسه فى النصيحة لك، وإذا كان صديقاً مآخياً كتم سرّك إذا أطلعت على سرّك، وإذا أطلعت على سرّك فكان علمه به كعلمك تمت المشوره وكملت النصيحة.

وعن معاوية بن وهب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (٣)

سمعتة يقول: كان أبى عليه السلام يقول: قم بالحق ولا تعرض لما فاتك واعتزل ما لا يعينك وتجنب عدوك، واحذر صديقك من الأقسام إلا- الأمين، والأمين من خشى الله، ولا- تصحب الفاجر، ولا تطلعه على سرّك ولا تأتمنه على أمانتك واستشر فى أمورك الذين يخشون ربهم.

وقال الصادق عليه السلام: (٤)

«لا تتقن بأخيك كل الثقة، فإن صرعه الاسترسال لن تستقال». وقال عليه السلام لبعض أصحابه:

«لا تطلع صديقك من سرّك إلا على ما لو أطلع عليه عدوك لم يضرّك، فإن الصديق قد يكون عدواً يوماً ما». وعن أبى الحسن صلوات الله عليه قال: (٥)

«إن كان فى يدك هذه شىء فإن استطعت أن لا تعلم هذه فافعل، قال: وكان عنده إنسان فتذاكروا الإذاعة، فقال: احفظ لسانك تعز، ولا تمكن الناس من قياد رقبته فتذل...»، وما ورد فى هذه الروايه كمثل، وإلا فإن فى حفظ اللسان العزه عند الناس والأهم عند الله تعالى فتدخل باقى الأقسام من خلال المثل فى مصاديق هذه الروايه المباركه.

خُلُقُ الْمُتَّقِينَ

هم أهل خُلُقٍ حسن كونهم يتحملون الذين يُكذَّبونهم ويتحاملون عليهم، بل ويقتلونهم لما

ص: ١٩١

١- (١). الأصول الستة عشر، عده محدثين، ٨.

٢- (٢). المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقى، ٦٠٢/٢.

٣- (٣). علل الشرائع، الشيخ الصدوق ٥٥٩/٢.

٤- (٤) . الأمالى الشىخ الصدوق، ٧٦٧.

٥- (٥) . الكافى، للكلينى ٢/٢٢٥.

يحملونه من عقيدته، ومع ذلك كله لا يضمرون نيه الشر إليهم، بل ويعظونهم ويوصون بالإحسان إليهم.

أما في القرآن الكريم فهناك قول الله تعالى: **وَلْيَغْضَبُوا وَلَا لِيُغْضَبُوا أَلَّا- تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** (النور: من الآية ٢٢)، **قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا- يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** (الجنائيه: ١٤). وأما سيره أهل البيت صلوات الله تعالى عليهم أجمعين فهذا أمير المؤمنين على عليه السلام قد أمر أصحابه في معاركه التي خاضها ضد من عاداه في الجمل وصفين والنهروان أن: **(١)** «إياكم أن تبدؤوا القوم بقتال حتى يبدؤوكم حتى تلقوهم فتدعونهم فتسمعون منهم، ولا يجرمنكم شأنهم على قتالهم قبل دعائهم والإعذار إليهم مره بعد مره...» ولما قطعوا الماء عنه وعن أصحابه ثم استردوه بالسيف لم يمنعهم الإمام منه... وفي بعض ما قال: «لا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم وأنتم بحمد الله على حجه، وترككم قتالهم حجه أخرى، فإذا هزمتوهم فلا- تقتلوا مدبراً ولا- تجهزوا على جريح ولا- تكشفوا عوره ولا- تمثلوا بقتيل، وإذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترأ ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم ولا تهيجوا امرأه، وإن شتمت أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم». فلم يتعامل مع أموالهم على أنها غنائم ولا- ذراريهم على أنها من السبي... وحتى مع الخوارج لم يحكم فيهم بإباحه أموالهم وسبيهم وسبب أعراضهم، وكان يقول لهم قبل قتالهم: **إِنَّ لَكُمْ عَلَيْنَا إِنْ لَا نَمْنَعُكُمْ مَسَاجِدَنَا وَلَا حَقَّكُمْ مِنْ فَيْئَانَا...** ولما قتله ابن ملجم قال: **إِنْ عَشْتُ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي**، وقال: **لَا تَقْتُلُوا الرَّجُلَ فَإِنْ بَرَأَتْ فَالْجُرُوحُ قِصَاصٌ وَإِنْ مَاتَ فَالْقَتْلُ**، فقال: **إِنَّكَ مَيِّتٌ** قال: وما يدريك قال: **كَانَ سَيْفِي مَسْمُومًا...** وعن أبي أمامه قال: «شهدت صفين فكانوا لا يجهزون على جريح ولا يطلبون مولياً ولا يسلبون قتيلاً». **(٢)** وفي السيل الجرار

ص: ١٩٢

١- (١). كما ورد عن أهل البيت في الدعاء بالمغفرة لمن شتمهم، وكذلك لم نجدهم قد بدؤوا أحداً بقتال إلا بعد إلقاء الحججه وكذلك بعد أن يقاتلهم القوم كما حصل في الجمل وصفين والنهروان - ورد ذكر هذا الأمر في ملحق المصادر - وكرهه، فراجع كتب سيره أهل البيت صلوات الله تعالى عليهم أجمعين وكيف لا وقد كان منهلهم من نزل بحقه قوله عز وجل: **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** (القلم: ٤). كما سيأتي فتابع.

٢- (٢). بغيه الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، ١٩١٢/٤ و ٣٩٤٨/٩ - الكامل، ابن الأثير ١٤٧/٣ و ١٦٥ و ١٦٩ - الفتنة ووقعه الجمل، الضبي ١٦٥ - المنتظم (حتى ٥٧٥٢هـ) - ابن الجوزي، ١٠١/٥ - البدء والتاريخ، مطهر بن طاهر المقدسي، ٢٣٥/٥ - الإمامه والسياسه، لابن قتيبه الدينوري، ٨٧/١ - السيره الحلبيه، ٤٩٨/٢ - تاريخ يعقوبى، ١٨٧/٢ - الطبرى، ٦/٤ - الكامل، لابن الأثير ١٤٩/٣ - منهاج السنه النبويه، ابن تيميه ٢٤٥/٥ - منهاج السنه النبويه، ابن تيميه، ٤٠٥/٧ - السيل الجرار، الشوكاني ٥٥٩/٤: منار السبيل، ابن ضويان، ٣٥٤/٢: الكامل، ابن الأثير، ١٤٧/٣ و ١٦٥ و ١٦٩.

للسوكاني: (١) «وأخرج أيضاً عن أبي فاخته أن علياً أتى بأسير يوم صفين فقال: تقتلني صبراً فقال: لا أقتلك صبراً إنى أخاف الله رب العالمين ثم خلى سبيله...» وفي الباب آثار كثيرة عن علي لأنه ابتلى بقتال البغاه على اختلاف أنواعهم... وعن ابن الصباغ المالكي (٢) روى عن سفيان قال:

جاء رجل إلى علي بن الحسين عليه السلام فقال له: إن فلانا قد وقع فيك بحضوري، فقال له: انطلق بنا إليه، فانطلق معه الرجل وهو يرى أنه يستنصر لنفسه، فلما أتاه قال له: يا هذا، إن كان ما قلت في حقنا أسأل الله تعالى أن يغفره لي، وإن كان ما قلت في باطلاً فأسأل الله تعالى أن يغفره لك.

وفي صفه الصفوه لابن الجوزي: (٣) «وعن سفيان قال: جاء رجل إلى علي بن الحسين صلى الله عليه وآله فقال له: إن فلاناً قد آذاك ووقع فيك، قال: فانطلق بنا إليه فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه، فلما أتاه قال: يا هذا، إن كان ما قلت في حقاً فغفر الله لي، وإن كان ما قلت في باطلاً فغفر الله لك» وعن أبي يعقوب المدني قال:

كان بين حسن بن حسين وبين علي بن الحسين بعض الأمر، فجاء حسن بن حسن إلى علي بن الحسين وهو مع أصحابه في المسجد فما ترك شيئاً إلا قاله له، قال: وعلى ساكت فانصرف حسن، فلما كان في الليل أتاه في منزله فقرع عليه بابه، فخرج إليه فقال له علي: يا أخي، إن كنت صادقاً فيما قلت لي فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك السلام عليكم وولي، قال: فاتبعه حسن فالتزمه من خلفه وبكى حتى رثى له ثم قال: لا جرم لا عدت في أمر تكرهه، فقال علي: وأنت في حل مما قلت لي.

وفيه أيضاً: (٤) «وكلمه رجل فافتري عليه فقال: إن كنا كما قلت فنستغفر الله، وإن لم نكن كما قلت فغفر الله لك، فقام إليه الرجل فقبل رأسه وقال: جعلت فداك ليس كما قلت أنا فاغفر لي قال: غفر الله لك، فقال الرجل: الله أعلم حيث يجعل رسالته». وفيه كذلك: (٥)

وعن عبد الغفار بن القاسم قال: كان علي بن الحسين خارجاً من المسجد فلقيه رجل فسبه فثارت إليه العبيد والموالي، فقال علي بن الحسين: مهلاً عن الرجل ثم أقبل على الرجل فقال: ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجه نعينك عليها؟ فاستحيا

ص: ١٩٣

١- (١) . السبيل الجرار، ٤/٥٥٧.

٢- (٢) . الفصول المهمة ١٨٤.

٣- (٣) . صفه الصفوه، ٩٤/٢.

٤- (٤) . صفه الصفوه، ص ٩٥.

٥- (٥) . نفس المصدر، ص ١٠٠.

الرجل فألقى عليه خميصه كانت عليه وأمر له بألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول.

وكذلك: «عن رجل من ولد عمار بن ياسر قال: كان عند علي بن الحسين قوم فاستعجل خادما له بشواء كان له في التنور، فأقبل به الخادم مسرعاً وسقط السفود من يده علي بن علي أسفل الدرجة فأصاب رأسه، فقتله فقال علي للغلام: أنت حرّ لم تعمده وأخذ في جهاز ابنه». وفي نفس المصدر (١) قال: «موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي أبو الحسن الهاشمي عليهم السلام، كان يدعى العبد الصالح لأجل عبادته واجتهاده وقيامه بالليل، وكان كريماً حليماً إذا بلغه عن رجل أنه يؤذيه بعث إليه بمال». وحمى الإمام علي بن الحسين صلوات الله تعالى عليهما نساء بنى أميه وذرايهم بعد أن احتفى به مروان بن الحكم يوم الحره، ولم يفعل بن عمر ذلك، وقد علم ما فعل هؤلاء بآل محمد صلوات الله تعالى عليهم. (٢)

وفي الوصيه بحسن الخلق والمعامله برفق جاء عنهم عليهم السلام: (٣)

«مَنْ عامل بالرفق غنم»، «مَنْ عامل بالعنف ندم»، «مَنْ لانت كلمته وجبت محبته»، «مَنْ ساءت سيرته سرت منيته»، «مَنْ صبر خفت محنته»، «مَنْ دارى الناس سلم»، «مَنْ أحسن إلى جواره كثر خدمه». فلا يكونن أحدنا سيئ الخلق، لأن ذلك أول ما يأتي على صاحبه بالخسران، فقد جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (٤) «إن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»، وعنهم صلوات الله تعالى عليهم:

«مَنْ أساء خلقه عذب نفسه»، وعن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن جبرائيل الروح الأمين نزل عليّ من عند رب العالمين فقال: يا محمد، عليك بحسن الخلق فإنه ذهب بخير الدنيا والآخرة، ألا وإن أشبهكم بى أحسنكم خلقاً». وعن الصادق عن أبيه عليهما السلام قال:

«قال علي عليه السلام لأبى أيوب، الأنصارى: يا أبا أيوب ما بلغ من كرم أخلاقك؟ قال: لا أؤذى جارا فمن دونه، ولا أمنعه معروفاً أقدر عليه، ثم قال عليه السلام: ما من ذنب إلا وله توبه، وما من تائب إلا وقد تسلم له توبته، ما خلا سيئ الخلق، لا يكاد يتوب من ذنب إلا وقع فى غيره أشرم منه»، وكذلك عنهم صلوات الله تعالى عليهم:

«أبى الله تعالى

ص: ١٩٤

١- (١). نفس المصدر، ص ١٨٤.

٢- (٢). الأغاني، الأصفهاني، ٣٠/١-التحفه اللطيفه فى تاريخ المدينه الشريفه، السخاوى، ٢٥١/٢.

٣- (٣). عيون الحكم والمواعظ، على بن محمد الليثى الواسطى، ٤٢٩، ٤٣٠.

٤- (٤). البحار، ٢٩٦/٧٠.

لصاحب الخلق السيئ بالتوبه، قيل: وكيف ذاك؟ قال: لأنه لا يخرج من ذنب حتى يقع فيما هو أعظم منه»، وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«خصلتان لا تجتمعان في مسلم: البخل وسوء الخلق»، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمد بن الحنفية: إياك والعجب وسوء الخلق وقله الصبر، فانه لا يستقيم لك على هذه الخصال الثلاث صاحب، ولا يزال لك عليها من الناس مجانب، والزم نفسك التودد». (١) وعن سفيان الثوري قال: (٢)

لقيت الصادق بن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام، فقلت له: يا بن رسول الله، أوصني فقال لي: يا سفيان، لا مروءه لكذوب، ولا أخ لملول ولا راحه لحسود، ولا سؤدد لسيئ الخلق، فقلت: يا بن رسول الله زدني، فقال لي: يا سفيان ثق بالله تكن مؤمناً، وارض بما قسم الله لك تكن غنياً، وأحسن مجاوره من جاورته تكن مسلماً، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره، وشاور في أمرك الذين يخشون الله تعالى، فقلت: يا بن رسول الله، زدني، فقال لي: يا سفيان، من أراد عزاً بلا عشيره وغنى بلا مال وهيبه بلا سلطان فليقل من ذل معصيه الله إلى عز طاعته، فقلت: زدني يا بن رسول الله، فقال لي: يا سفيان، أمرني والدي عليه السلام بثلاث ونهاني عن ثلاث، فكان فيما قال لي: يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم، ومن يدخل مداخل السوء يتهم، ومن لا يملك لسانه يندم، ثم أنشدني عليه السلام:

عود لسانك قول الخير تحظ به إن اللسان لما عودت يعتاد

موكل بتقاضى ما سنت له في الخير والشر فانظر كيف تعتاد

وقال أبو جعفر عليه السلام:

«في حكمه آل داود ينبغي للمسلم أن يكون مالكا لنفسه مقبلاً على شأنه عارفاً بأهل زمانه...»، (٣) فملك النفس هو حسن الخلق ومعامله الآخرين برفق. ومن كلام له عليه السلام مع عنوان البصرى: (٤) «وأما اللواتي في الحلم: فمن قال لك: إن قلت واحده سمعت

ص: ١٩٥

١- (١). الروايات جميعها في البحار، ٢٩٦/٧٠-٢٩٩.

٢- (٢). علل الشرائع، للشيخ الصدوق، ٥٥٩/٢ الخصال للشيخ الصدوق/١٦٩.. تحف العقول، ابن شعبه الحراني، ٢٩٣- وسائل الشيعه (طبعه آل البيت)، الحر العاملي، ٣٢/١٢، ٤٨- وسائل الشيعه (الإسلاميه)، الحر العاملي/٨، ٤١٩، ٤٣٠- مستدرک الوسائل، الميرزا النوري، ٣٣٤/٨- الاختصاص، الشيخ المفيد/٢٣٠- مشكاة الأنوار، على الطبرسي/١٣٧- البحار، للمجلسي [١٩١/٧١، ١٩٦- ٩٩/٧٢-١٧٢/٧٥، ١٩٢- مستدرک سفينه البحار، الشيخ على النمازي، ١٧١/٦- نهج السعاده، الشيخ المحمودي/٧، ٢٦٠.

٣- (٣). الكافي، للكلي، ٢٢٤/٢.

٤- (٤). الروايه وردت في البحار للمجلسي، ٢٢٤/١ ولثلاثا تحرمها ذكرتها هنا: (عن عنوان البصرى - وكان شيخا كبيرا قد أتى

عليه أربع وتسعون سنه - قال: كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين، فلما قدم جعفر الصادق عليه السلام المدينة اختلفت إليه، وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت عن مالك، فقال لي يوماً: إني رجل مطلوب ومع ذلك لي أورد في كل ساعه من آناء الليل والنهار، فلا تشغلني عن وردى وخذ عن مالك واختلف إليه كما كنت تختلف إليه، فاعتممت من ذلك،

عشراً فقل: إن قلت عشراً لم تسمع واحده، ومن شتمك فقل له: إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي، وإن كنت كاذباً فيما تقول ف- الله أسأل أن يغفر لك، ومن وعدك بالخنى [أى الفحش] فعده بالنصيحه والرعاء».

ومن حسن خلق المؤمن الحلم والتغافل لا الغفله، قال أمير المؤمنين عليه السلام لهمام: (١)

يا هممام، المؤمن هو الكيس الفطن، بشره فى وجهه، وحزنه فى قلبه، أوسع شىء صدرأ وأذل شىء نفساً، زاجر عن كل فان، حاض على كل حسن، لا حقوق ولا حسود، ولا وثاب، ولا سباب، ولا عياب، ولا مغتاب، يكره الرفعه ويشأ السمعه،

ص: ١٩٤

١- (١). الكافى للكلينى ٢/٢٢٦.

طويل الغم، بعيد الهم، كثير الصمت، وقور ذكور، صبور، شكور، مغموم بفكره، مسرور بفقره، سهل الخليقه، لئين العريكه، رصين الوفاء، قليل الأذى، لا متأفك ولا متهتك. إن ضحكك لم يخرق، وإن غضب لم ينزق، ضحكه تبسم، واستفهامه تعلم، ومراجعتة تفهم. كثير علمه، عظيم حلمه، كثير الرحمه، لا- ييخل، ولا- يعجل، ولا- يضجر، ولا- يبطر، ولا- يحيف في حكمه، ولا يجور في علمه، نفسه أصلب من الصلد، ومكادحته أحلى من الشهد، لا جشع ولا هلع ولا عنف ولا صلف....

كما أمرنا أئمتنا الأطهار صلوات الله تعالى عليهم بالتغافل مداراةً للآخرين، قال أمير المؤمنين عليه السلام :

ذللوا أخلاقكم بالمحاسن، وقودوها إلى المكارم وعودوها الحلم، واصبروا على الإيثار على أنفسكم فيما تحمدون عنه قليلاً من كثير، ولا تداقوا الناس وزنا بوزن، وعظموا أقداركم بالتغافل عن الدنيا من الأمور، وأمسكوا رمق الضعيف بالمعونه له بجاهكم إن عجزتم عما رجاه عندكم، فلا- تكونوا بحاثين عما غاب عنكم فيكثر عائبكم، وتحفظوا من الكذب فإنه من أدنى الأخلاق قدراً، وهو نوع من الفحش وضرب من الدناءه، وتكرموا بالتعامى [وروى بالتعامس أى التغافل] عن الاستقصاء... (١)

وعن مولانا الإمام السجاد لمولانا الباقر صلوات الله عليهما:

«يا بنى، إن صلاح الدنيا بحذافيرها فى كلمتين: إصلاح شأن المعاش ملاً مكيال، ثلثاه فطنه، وثلثه تغافل، لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شىء قد عرفه ففطن له». (٢) وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

«أشرف خصال الكرم غفلتك عما تعلم». (٣) وعنه عليه السلام قال:

«إن العاقل نصفه احتمال، ونصفه تغافل». (٤) وعنه عليه السلام :

«تغافل يحمد أمرك». (٥) وكذلك عنه عليه السلام :

«أشرف أخلاق الكرم تغافله عما يعلم». (٦) وعنه عليه السلام :

«من أشرف أعمال [أحوال] الكرم غفلته عما يعلم». (٧) وعن الإمام على عليه السلام :

«من لم يتغافل ولا يغض عن كثير من الأمور تنغصت عيشته». (٨) و:

«لا حلم كالتغافل، لا عقل كالتجاهل». (٩)

ص: ١٩٧

١- (١) . مشكاه الأنوار، على الطبرسى، ٣١٧.

٢- (٢) . مستدرک سفینه البحار، لعلی النمازی، ٥/٨.

٣- (٣) . همان.

٤- (٤) . غرر الحکم، ٢٣٧٨.

٥- (٥) . همان، ٤٥٧٠.

٦- (٦) . همان، ٣٢٥٦.

٧- (٧) . نهج البلاغه، الحکمه ٢٢٢.

٨- (٨) . غرر الحکم، ٩١٤٩.

٩- (٩) . غرر الحکم، ١٠٥٠٢.

ومن عظيم خلق الأئمة الأطهار صلوات الله تعالى عليهم أجمعين وصيتهم أتباعهم بالنظير في الخلق وبالأخ في الدين وبالأخ في الإيمان وبقضاء حوائجهم والدعاء لهم، بالرغم مما كانوا يلقونه ممن تسمى بالإنسانية وبالدين وبالإيمان، فأى خلق كريم هذا الذى تحلوا به وأمروا به. ففي عهد أمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه لمالك الأشر رحمة الله لما ولاه مصر كتب له مما كتب:

...وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللفظ بهم. ولا تكوننّ عليهم سبعا ضارياً تغتم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم فى العمد والخطأ، فأعطيهم من عفوك وصفحك مثل الذى تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم ووالى الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك... (١)

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: (٢)

«ابذل لأخيك دمك ومالك، ولعدوك عدلك وإنصافك، وللعامة بشرك وإحسانك. سلم على الناس يسلموا عليك». وعن أبي عبد الله عليه السلام (٣) قال:

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (٤) فطرك لأخيك المسلم وإدخالك السرور عليه، أعظم أجراً من صيامك». وعنه عليه السلام قال: (٥)

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما من رجل يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا- وكل الله به ملكا يقول له: ولك مثل ما دعوت لأخيك». وعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (٦)

«لا تبدى الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويصيرها بك، وقال: من شمت بمصيبه نزلت بأخيه لم يخرج من الدنيا حتى يفتتن». وعنه عليه السلام قال: (٧)

حق المسلم على المسلم أن لا يشبع ويحوج أخوه، ولا يروى ويعطش أخوه، ولا يكتسى ويعرى أخوه، فما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم، وقال: أحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك، وإن احتجت فسله، وإن سألك فأعطه، لا تمله خيراً، ولا يمله لك، كن له ظهراً فإنه لك ظهر إذا غاب فاحفظه فى غيبته، وإذا شهد فزره وأجله وأكرمه فإنه منك وأنت منه، فإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تسلم

ص: ١٩٨

١- (١). نهج البلاغه، ٨٤/٣.

٢- (٢). تحف العقول، لابن شعبه الحراني، ٢١٢.

٣- (٣). المحاسن أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ٤١٢/٢.

٤- (٤). كتاب النوادر، قطب الدين الراوندى، ١٧٦.

٥-٥) . مشكاه الأنوار، على الطبرسى، ٥٦٩.

٦-٦) . الكافى، للكلىنى، ٣٥٩/٢.

٧-٧) . وسائل الشىعه ط (آل البىء)، للحر العاملى، ٢٠٦/١٢.

سخيمته [تنتزع غضبه] وإن أصابه خير فاحمد الله، وإن ابتلى فاعضده، وإن تمحل له فأعنه، وإذا قال الرجل لأخيه: أف انقطع ما بينهما من الولاية، وإذا قال له: أنت عدوى كفر أحدهما، فإذا اتهمه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء.

أما الإمام السجاد عليه السلام فكان يقول: (١)

«إن الملائكة إذا سمعوا المؤمن يدعو لأخيه المؤمن بظهر الغيب أو يذكره بخير قالوا: نعم الأخ أنت لأخيك تدعو له بالخير وهو غائب عنك وتذكره بخير قد أعطاك الله تعالى مثلى ما سألت له وأثنى عليك مثلى ما أثنت عليه ولك الفضل عليه...» وقال أبو أيوب الأنصاري: (٢) «يا رسول الله، أوصني واقلل لعلى أن أحفظ، قال: أوصيك بخمس: باليأس عما فى أيدي الناس، فإنه الغنى الحاضر، وإياك والطمع، فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاه مودع، وإياك وما تعتذر منه، وأحب لأخيك ما تحب لنفسك». وقال الصادق عليه السلام للمفضل: (٣) «أوصيك بست خصال تبلغهن شيعتى، قلت: وما هن يا سيدى؟ قال: أداء الأمانة إلى من ائتمنك، وأن ترضى لأخيك ما ترضى لنفسك، واعلم أن للأمر أواخر، فاحذر العواقب، وأن للأمر بغتات، فكن على حذر، وإياك ومرتقى جبل سهل، إذا كان المنحدر وعراً، ولا تعدن أخاك وعداً ليس فى يدك وفاؤه». وعن (٤) المفضل، عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

«أيما مسلم لقي مسلماً فسره سره الله تعالى». وعن (٥) بكر بن محمد، عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

«ما قضى مسلم لمسلم حاجه إلا ناداه الله تبارك وتعالى: على ثوابك ولا أرضى لك بدون الجنة». وعن (٦) إسحاق بن عمار، عن أبى عبد الله عليه السلام قال:

«من طاف بهذا البيت طوافاً واحداً كتب الله تعالى له ستة آلاف حسنه ومحا عنه ستة آلاف سيئه، ورفع الله له ستة آلاف درجه حتى إذا كان عند الملتزم فتح الله له سبعة أبواب من أبواب الجنة، قلت له: جعلت فداك! هذا الفضل كله فى الطواف؟ قال: نعم وأخبرك بأفضل من ذلك، قضاء حاجه المسلم أفضل من طواف وطواف وطواف حتى بلغ عشرة».

ص: ١٩٩

١- (١). وسائل الشيعة ط (الإسلاميه)، للحر العاملي، ١١٤٩/٤.

٢- (٢). مستدرک سفینه البحار، الشيخ على النمازى، ٢١٣/٣.

٣- (٣). مستدرک سفینه البحار، الشيخ على النمازى، ٤٥٨/٤.

٤- (٤). الكافي، للكليني، ١٩٢/٢.

٥- (٥). الكافي، للكليني، ١٩٤/٢.

٦- (٦). الكافي، للكليني، ١٩٤/٢.

وفى النهى عن معاداة الرجال قال (١) صلى الله عليه وآله:

«ما نهيت عن شىء بعد عباده الأوثان ما نهيت عن ملاحاه الرجال». وقال (٢) أمير المؤمنين عليه السلام لبنيه: يا بنى، إياكم ومعاداة الرجال فإنهم لا يخلون من ضريين: من عاقل يمكر بكم، أو جاهل يعجل عليكم، والكلام ذكر والجواب أنثى، فإذا اجتمع الزوجان فلا بد من النتائج ثم أنشأ يقول:

سليم العرض من حذر الجوابا ومن دارى الرجال فقد أصابا

ومن هاب الرجال تهيبوه ومن حقر الرجال فلن يهابا

وعن (٣) أبى عبد الله عليه السلام قال:

«إياكم والخصومه، فإنها تشغل القلب وتورث النفاق و تكسب الضغائن». وعن (٤) الوليد بن صبيح قال:

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما عهد إلى جبرئيل عليه السلام فى شىء ما عهد إلى فى معاداة الرجال». وقال أبو عبد الله عليه السلام:

«من زرع العداوه حصد ما بذر». وعن (٥) الصادق عليه السلام قال:

«إياك وعداوه الرجال، فإنها تورث المعره وتبدي العوره». وعنهم صلوات الله تعالى عليهم:

«أربعة القليل منها كثير: النار القليل منها كثير، والنوم القليل منه كثير، والمرض القليل منه كثير، والعداوه القليل منها كثير». وعن (٦) أمير المؤمنين عليه السلام:

«من استحلّى معاداة الرجال استمر معاناه القتال»، و (٧)

«من سوء الاختيار مغالبه الأكفاء و معاداة الرجال»، و (٨)

«معاداة الرجال من شيم الجهال»، وقال (٩) السجاد عليه السلام:

«لا تعادى أحداً وإن ظننت أنه لا يضرك، ولا تزهدي فى صداقه أحد وإن ظننت أنه لا ينفعك، فإنك لا تدري متى ترجو صديقك، ولا تدري متى تخاف عدوك، ولا يعتذر إليك أحد إلا قبلت عذره وإن علمت أنه كاذب».

وأخيراً لم يطرد الإمام الصادق صلوات الله تعالى عليه من كان على غير مله الإسلام ويحضر بين أهل الطواف، وكلمه بلطف ولم يقل له غادر المكان فأنت رجس نجس، ولم

- ١- (١) . تحف العقول، ابن شعبة الحراني ٤٢.
- ٢- (٢) . الخصال، للصدوق ٧٢.
- ٣- (٣) . الكافي، للكليني، ٣٠١/٢.
- ٤- (٤) . همان.
- ٥- (٥) . مستدرک الوسائل، للنوري، ٧٨/٩.
- ٦- (٦) . عيون الحكم والمواعظ، للواسطي، ٤٦١.
- ٧- (٧) . همان، ٤٦٩.
- ٨- (٨) . همان، ٤٨٨.
- ٩- (٩) . البحار، للمجلسي، ١٨٠/١٧.

يأمر بقتله أو يتأمر عليه، فعن (١) أحمد بن محسن الميثمي قال:

كنت عند أبي منصور المتطبب فقال: أخبرني رجل من أصحابي قال: كنت أنا وابن أبي العوجاء وعبد الله بن المقفع في المسجد الحرام، فقال ابن المقفع: ترون هذا الخلق - وأوماً بيده إلى موضع الطواف - ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانيه إلا ذلك الشيخ الجالس - يعنى أبا عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام - فأما الباقر فرعاع وبهائم، فقال له ابن أبي العوجاء: وكيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟ قال: لأنني رأيت عنده ما لم أراه عندهم، فقال له ابن أبي العوجاء: لا بد من اختبار ما قلت فيه منه، قال: فقال ابن المقفع: لا - تفعل فإني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك، فقال: ليس ذا رأيك ولكن تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إياه المحل الذي وصفت، فقال ابن المقفع: أما إذا توهمت عليّ هذا فقم إليه وتحفظ ما استطعت من الزلل، ولا تشي عنانك إلى استرسال فيسلمك إلى عقاب وسمه مالك أو عليك؟ قال: فقام ابن أبي العوجاء وبقيت أنا وابن المقفع جالسين، فلما رجع إلينا ابن أبي العوجاء قال: ويلك يا ابن المقفع، ما هذا ببشر وإن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ظاهراً ويتروح إذا شاء باطناً فهو هذا، فقال له: وكيف ذلك؟ قال: جلست إليه فلما لم يبق عنده غيري ابتدأني، فقال: إن يكن الأمر على ما يقول هؤلاء وهو على ما يقولون - يعنى أهل الطواف - فقد سلموا وعطبتهم، وإن يكن الأمر على ما تقولون - وليس كما تقولون - فقد استوتيتهم وهم، فقلت له: يرحمك الله، وأي شيء نقول وأي شيء يقولون؟ ما قولي وقولهم إلا واحد، فقال: وكيف يكون قولك وقولهم واحداً؟ وهم يقولون: إن لهم معاداً وثواباً وعقاباً ويدنون بأن في السماء إليها وأنها عمران، وأنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد، قال: فاغتنمتها منه، فقلت له: ما منعه إن كان الأمر كما يقولون أن يظهر لخلقه ويدعوهم إلى عبادته حتى لا - يختلف منهم اثنان ولم احتجب عنهم وأرسل إليهم الرسل؟ ولو باشرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به؟ فقال لي: ويلك وكيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك: نشؤك ولم تكن وكبرك بعد صغرک، وقوتك بعد ضعفك وضعفك بعد قوتك، وسقمك بعد صحتك وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك وغضبك بعد رضاك، وحننك بعد فرحك وفرحك بعد حزنك، وحبك بعد بغضك وبغضك بعد حبك، وعزمك بعد أناتك وأناتك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهتك وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك ورهبتك بعد رغبتك، ورجاءك بعد يأس ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك، وما زال يعدد عليّ قدرته التي هي في نفسي التي لا أدفعها حتى ظننت أنه سيظهر فيما بيني وبينه... .

ص: ٢٠١

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (١)

طلبه العلم ثلاثه فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم: صنّف يطلبه للجهل والمراء، وصنّف يطلبه للاستطاله والختل، وصنّف يطلبه للفقّه والعقل، فصاحب الجهل والمراء مؤذ ممار متعرض للمقال في أنديه الرجال بتذاكر العلم وصفه الحلم، قد تسربل بالخشوع وتخلّى من الورع فدق الله من هذا خيشومه، وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطاله والختل، ذو خب وملتق، ويستطيل على مثله من أشباهه، ويتواضع للأغنياء، من دونه، فهو لحوائهم هاضم، ولدينه حاطم، فأعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره، وصاحب الفقّه والعقل ذو كآبه وحزن وسهر، قد تحنك في برنسه، وقام الليل في حنّده، يعمل ويخشى وجلاً داعياً مشفقاً، مقبلاً على شأنه، عارفاً بأهل زمانه، مستوحشاً من أوثق إخوانه، فشد الله من هذا أركانها، وأعطاه يوم القيامة أمانه... .

وأيضاً قال عليه السلام :

«خالطوا الأبرار سرّاً وخالطوا الفجار جهاراً ولا تملوا عليهم فيظلموكم، فإنه سيأتي عليكم زمان لا ينجو فيه من ذوى الدين إلا من ظنوا أنه أبله وصبر نفسه على أن يقال [له]: إنه أبله لا عقل له... (٢) وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: طوبى لعبد نومه، عرفه الله ولم يعرفه الناس، أولئك مصابيح الهدى وينابيع العلم ينجلي عنهم كل فتنه مظلمه، ليسوا بالمذاييع البذر ولا بالجفاه المرائين...» (٣) وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (٤)

قال أمير المؤمنين عليه السلام : طوبى لكل عبد نومه لا- يؤبه له، يعرف الناس ولا يعرفه الناس، يعرفه الله منه برضوان، أولئك مصابيح الهدى ينجلي عنهم كل فتنه مظلمه ويفتح لهم باب كل رحمه، ليسوا بالبذر المذاييع ولا الجفاه المرائين وقال: قولوا الخير تعرفوا به واعملوا الخير تكونوا من أهله ولا تكونوا عجللاً مذاييع، فإن خياركم الذين إذا نظر إليهم ذكر الله وشراركم المشاؤون بالميمه، المفرقون بين الأحبه، المبتغون للبرآء المعاييب... .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (٥)

«طوبى لعبد نومه، عرف الناس فصاحبهم بيدنه ولم يصاحبهم فى أعمالهم بقلبه، فعرفهم فى الظاهر ولم يعرفوه فى الباطن...».

ص: ٢٠٢

١- (١) . الكافي، للكلىنى ١/٤٩.

٢- (٢) . همان ٢/١١٧.

٣- (٣) . همان ٢٢٥/٢.

٤- (٤) . همان.

٥- (٥) . الخصال، الشيخ الصدوق ٢٧.

إِنَّ أَحَدَ رِكَائِزِ الْإِيمَانِ هُوَ الصَّبْرُ، وَهَذَا أَمْرٌ مَفْرُوعٌ مِنْهُ قَرَأْنِيًّا، وَيَبْحَثُ عَنْهُ فِي مَحَلِّهِ فِي عِلْمِ الْأَخْلَاقِ، فَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«أَمَرَ النَّاسَ بِخَصْلَتَيْنِ فَضِيعُوهُمَا فَصَارُوا مِنْهُمَا عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ، كَثُرَ الصَّبْرُ وَالْكَتْمَانُ». (١) عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَوْلِ اللَّهِ: أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا (القصص: من الآية ٥٤)، قَالَ:

«بِمَا صَبَرُوا عَلَى التَّقِيهِ» «وَيَذُرُّونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ» قَالَ:

«الْحَسَنَةُ التَّقِيهِ، وَالْإِذَاعَةُ السَّيِّئَةَ». (٢) وَفِي قَوْلِ اللَّهِ: وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ (فصلت: من الآية ٣٤)، قَالَ:

«الْحَسَنَةُ التَّقِيهِ، وَالسَّيِّئَةُ الْإِذَاعَةُ»، وَقَوْلُهُ: إِذْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ (فصلت: من الآية ٣٤)، قَالَ:

«الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ: التَّقِيهِ»، فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (فصلت: من الآية ٣٤). (٣)

أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

فَتَلِكِ آيَاتِ الْحِثِّ عَلَى الصَّبْرِ وَالْعَفْوِ وَتَرْكِ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (الجمعة: ١٤)، وَ لِيُغْفِرُوا وَيُغْفَرُوا أَلَا- تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (النور: من الآية ٢٢)، وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (البقرة: ١٠٩)، وَ لَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ إِذْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (فصلت: ٣٤)، وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (فصلت: ٣٥)، وَ عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (الفرقان: ٦٣)، فَمَهْمَتُنَا هِيَ مَهْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَقْتُلَ كَمَا نَشَاءُ وَ نَفْرُضَ رَأْيَنَا كَمَا نَشَاءُ، هَذَا مَعَ فِرْعَوْنَ: فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِيُنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (طه: ٤٤)، وَ مَعَ الْكُفَّارِ وَغَيْرِهِمْ: أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (النحل: ١٢٥)، إِذْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ

١- (١). المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، ٢٥٥/١.

٢- (٢). همان، ٢٥٧.

٣- (٣). همان.

أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (المؤمنون: ٩٦)، وَ لَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِنَّا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (العنكبوت: ٤٦)، لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (البقرة: ٢٥٦)، وَقَالَ تَعَالَى: وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (التوبة: ٦) هذا مع المشركين فكيف مع من أسلم، فهب أنك متعلم فهلا علمت كما أمرت فتكون من العلماء العاملين؟

تذكر عنوان رفع الحصانه الإسلاميه

فإن قيل: إن هؤلاء الرافضة أشد من اليهود والنصارى. ويقولونها ورتبوا عليها آثار الكفر من قتل واعتداء على الأعراس وتشريد وتعذيب وسرقه أموال.. فقد قال لغيره رسول الله صلوات الله تعالى عليه وآله من قبل: هلا شققت عن قلبه؟ ولكي يتذكر هؤلاء أنقل لهم ما حصل مع زيد بن حارثه وخالد بن الوليد.

أما زيد بن حارثه فقد قتل من قال لا إله إلا الله، فلم تنفعه صحبته ومحلّه من النبي صلى الله تعالى عليه وآله، ولما وصل خبره إلى النبي صلى الله تعالى عليه وآله أنه، فقال:

«إنما قالها متعوذا قال: فهلا شققت عن قلبه!! قال ما كان يعلمنى، هل قلبه إلا مضغه من لحم؟ قال: فأنت قتلته لا ما فى قلبه علمت ولا لسانه صدقت؟ ثم قال: من لك ب- (لا إله إلا الله) يوم القيامة؟ قال: فما زال يكرر ذلك على حتى وددت أن أنى أسلمت يومئذ». (١) وفى قوله صلى

ص: ٢٠٤

١- (١). زاد المعاد، ابن قيم الجوزيه، ٣/٣٦١- منهاج السنه النبويه، ابن تيميه، ٤/٤٥٣- الصارم المسلول، ابن تيميه، ٢/٦١٨- مجموع الفتاوى، ابن تيميه، ٧/٢١٣- الإيمان، ابن منده، ١/٢٠٦- الغنيه عن الكلام وأهله، الإمام الخطابى، ٤١/٤١- المفاريد، أبو يعلى، ٤٣- شعب الإيمان، البيهقى، ٤/٣٣٩- الإحياء، الغزالي، ١/١٨- رياض الصالحين، النووي، ١١٩- مسند أبى عوانه الأسفرائينى، ١/٦٧- عون المعبود، محمد آبادى، ٧/٢١٧- مصباح الزجاجة، البوصيرى، ٤/١٦٢- معتصر المختصر، أبوالمحسن، ١/٢١٧، ٢/٣١٤- الديات، ابن أبى عاصم، ١١- خلاصه البدر المنير، ابن الملقن، ٢/٢٩٧- مسند، الرويانى، ٢/١٤٧- معجم شيوخ بكر الإسماعيلى، ٣/٧٨٨- مسند الحارث، (زوائد الهيتمى)، ١/١٥٠- تاريخ جرجان، الجرجانى، ٢/٤٧٢- التدوين فى أخبار قزوين، القزوينى، ٤/٤٨- الاستيعاب، ابن عبد البر، ٢/٧٨٥، ٣/١٣٨٧- غوامض الأسماء المبهمه، ابن بشكوال، ٢/٧٤١- البيان والتعريف، ابن حمزه الحسينى، ١/١٢٦، ٢/٢٣١- التمهيد، ابن عبد البر، ١٠/١٦١- تفسير، ابن كثير، ١/٥٣٥، ٢/٣١٠- بغيه الطلب فى تاريخ حلب، ابن العديم، ٦/٢٧٩٢- المنتظم (حتى ٧٥٢هـ-) ابن الجوزى، ٣/٣٠٣- الفائق، الزمخشري، ٢/٤٠٩- بدائع السلك، الأزرق، ٢/٣٥- تفسير الصنعانى، ١/١٦٩- تفسير أبى السعود، ٢/٢١٩- تفسير البغوى، ١/٤٦٦- أحكام القرآن، الجصاص، ١/٣٠، ٣/٢١٨، ٢٢٣، ٢٧٦- روح المعانى، الألوسى، ٥/١١٣، ١١٩- السيره الحلبيه، الحلبي، ٣/١٩٢، ٢٠٧- كتاب المواقف، الإيجى، ٣/٥٢٨، ٥٣٤- كتب ورسائل

الله تعالى عليه وآله هلاً شقت عن قلبه دليل على أن الحكم إنما يجرى على الظاهر وأن السرائر موكولة إلى الله تعالى. ولم يقبل قوله إنما كان ذلك مخافه السلاح والقتل.. فمن لك ب- (لا إله إلا الله) أنت يا من تقتل المسلم أياً كنت.

وأما خالد:

فَعَنْ سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَدِيمَةَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا فَجَعَلُوا يَقُولُونَ صَبَأْنَا صَبَأْنَا، فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِمَّنْ أَسِيرَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ أَمْرٍ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلَّ رَجُلٍ مِمَّنْ أَسِيرَهُ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ، لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم فَذَكَرْنَا، فَزَعَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم يَدَهُ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ. (١)

وعاب عبد الرحمن بن عوف على خالد ما صنع، فقال: «يا خالد، أخذت بأمر الجاهلية قتلتهم بعمك الفاكه قاتلك الله وأعانه عمر بن الخطاب على خالد فقال خالد أخذتهم بقتل أبيك، فقال عبد الرحمن بن عوف كذبت (٢) والله، لقد قتلت قاتل أبي بيدي وأشهدت على قتله...»

ص: ٢٠٥

١- (١). الصواعق المرسله، ابن قيم الجوزيه، ٣٧٦/١- زاد المعاد، ابن قيم الجوزيه، ٤١٥/٣- إعلام الموقعين، ابن قيم الجوزيه، ١٠٦/١، ٨/٣- منهاج السنه النبويه، ابن تيميه، ٤٨٦/٤٧٧/٤، ٥١٨/٥، ٢٦١/٦، ٣٤٧/٧- مجموع الفتاوى، ابن تيميه، ٥٥١/٨- الأربعين البلدانيه، ابن عساكر، ٢١٤/٤- معتصر المختصر، أبو المحاسن، ٢١٦/١- مسند عبد بن حميد، عبد بن حميد، ٢٣٩- الاستيعاب، ابن عبد البر، ٤٢٨/٢- تغليق التعليق، ابن حجر، ٤٨٢/٢، ١٤٦/٤- السيره النبويه، ابن هشام، ٩٥/٥- تفسير، ابن كثير، ٥٣٦/١- بغيه الطلب فى تاريخ حلب، ابن العديم، ٣١٥٦/٣١٤٤/٧- المنتظم، (حتى ٧٥٢هـ-) ابن الجوزى، ٣٣١/٣- تاريخ، يعقوبى، ٦١/٢- الفائق، الزمخشري، ١١٦/٤- تخريج الدلالات السمعيه، الخزاعى، ٦٥٣- كتاب حسن السلوك الحافظ دوله الملوك، ابن الموصلى، ٩٦- الدرر، ابن عبد البر، ٢٢٢- السيره، الحلبيه، ٢١٠/٣- الاكتفاء بما تضمنه من مغازى رسول الله، الكلاعى الأندلسى، ٢٣٦/٢- البخارى (السيره)، ١٥٧٧/٤- الروض الأنف أبو محمد المعارفى المدخله، ٢٢٧/٤- العقائد الإسلاميه، ابن باديس، ٢٩- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه فى العقيدته، ابن تيميه، ٥٥١/٨- الفروع، ابن مفلح، ٦ / ٢٠٠- كنز العمال، للمتقى الهندى، ١٨٥/١، ٣٨٥/٥، ٣٤٣/١٢، ٢٧٦/١١٦/١٣- محمد صلى الله عليه وسلم، لمحمد رضا، ٢٨٣- الإمامه وأهل البيت، محمد بيومى مهران، ٧٤/١- ثم اهتديت، الدكتور محمد التيجانى، ١٨٦- أزمه الخلافه والإمامه، أسعد وحيد القاسم، ٢٠٠- معالم الفتن، سعيد أيوب، ٣٥٧/١- منهج فى الانتماء المذهبى، صائب عبد الحميد، ٢٩٩- دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين، صالح الوردانى، ١٥٠- الصحابه فى حجمعهم الحقيقى، الهاشمى بن على، ٦٩- إمتاع الأسماع، المقريزى، ٧/٢.

٢- (٢). هاهم الصحابه يشهد بعضهم على بعض بالكذب ويقسم على ذلك فأين العدالة المطلقه؟

وقال بعض أصحاب السير: «إنما كان وجد عمر عليه فيما صنع بمالك ابن نويرة من قتله إياه وتزوج امرأته (١) وما كان في نفسه قبل ذلك من أمر بنى جذيمه..»

وفى أخرى مع خالد:

بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ مِنَ الْيَمَنِ بِدَهْيَبِهِ فِي أُدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحْصَلْ مِنْ تَرَابِهَا، قَالَ: فَفَسَّيَ مَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةٍ نَفَرٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بْنِ يَدْرِ وَأَفْرَعِ بْنِ حَابِسٍ وَزَيْدِ الْخَيْلِ وَالرَّابِعِ إِمَّا عَلَقَمَهُ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَضْيَاحِيهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقُّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ، قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ فَقَالَ أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ يَأْتِينِي خَبْرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً قَالَ فَقَامَ: رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ مُشْرِفُ الْوَجْتَيْنِ نَاشِزُ الْجَبْهِهِ كَثُ اللَّحْيَةِ مَخْلُوقُ الرَّأْسِ مُشَمَّرُ الْإِزَارِ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ، قَالَ: وَذَلِكَ، أَوْ لَسْتُ أَحَقُّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ، قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ، قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ، قَالَ: لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَيِّمِي، فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: إِنِّي لَمْ أَوْمَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشَقُّ بُطُونَهُمْ، قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٌّ، فَقَالَ: إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضَنْضَتِي هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ رَطْبًا لِمَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ، وَأَطْنَهُ قَالَ: لَيْتَنِي أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ. (٢)

تابع القرآن أخى المسلم تجد أن كل إباده جماعيه لم يتبناها أى نبى أو رسول على نبينا وآله وعليهم أفضل الصلاه والسلام، بل كانت من الله تعالى ينفذها الملائكه عليهم السلام... فانظر إلى نفسك وضعها حيث تشاء...

المرء مع من يحب

إن كان الذى فيك محسوب من العيوب فغيره، لأنه خير لك، وفى هذا الأمر جاء عنهم عليهم السلام: (٣)

«مَنْ بَصَّرَكَ عَيْبَكَ فَقَدْ نَصَحَكَ»، وكذلك:

«مَنْ نَصَحَكَ فَقَدْ أَنْجَدَكَ»، وكذلك: «مَنْ

ص: ٢٠٦

١- (١). كما مر ذلك فى ص .. والواقع أن الزواج من المرأه إنما هو بشروط فالتى نزا عليها لا هى بمطلقه أو أرمله أنهت عدتها ولا هى بخاليه من رأس من أى مانع، فهو إذن الزنا بعينه.

٢- (٢). حكم تارك الصلاه، ابن قيم الجوزيه، ٣٢- زاد المعاد، ابن قيم الجوزيه، ٣/٤١٥- الصارم المسلول، ابن تيميه، ١/٤٢٥،

٢/٦١٨- مجموع الفتاوى، ابن تيميه، ٧/٤٨٠- شرح العمده، ابن تيميه، ٤/٦٤- الغنيه عن الكلام وأهله، إمام الخطابى، ٤١- تحفه

المحتاج، ابن الملقن، ١/٥٧٦- البيان والتعريف، ابن حمزه الحسينى، ١/٢٨٥- السيره الحلبيه، الحلبى، ٣/٨٨- صحيح البخارى

(الجزء الخاص فى السيره)، ٤/١٥٨١- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه فى العقيدة، ٧/٤٨٠- معارج القبول، الحكمى، ١/١٥٥،

٢/٦٠٩- كنز العمال، للمتقى الهندى، ١١/١٨١- الصواعق الإلهيه، سليمان بن عبد الوهاب، ٥٨.

٣- (٣) . ما سألقية عليك من حكم قائلا: (جاء عنهم) فهو عنه صلوات الله تعالى عليه وآله ثم عنهم، والحق أن ما عندهم واحد

خالف النصح هلك». وجاء عنهم أيضاً عليهم السلام:

«مَنْ حَذَرَكَ كَمَنْ بَشَرَكَ»، و

«مَنْ ذَكَرَكَ فَقَدْ أُنْذِرَكَ».(١)ولكن إياك أن تضع في ذهنك أنني أريد منك أن تعتق التشيع عقيدة فإن هذا غير القصد، لأننى مؤمن بأن قوانين الآخرة تختلف عن قوانين الدنيا، فليس التشيع يحتاج إلى المؤيدين، بل معتنقه محتاج إليه، وفي الآخرة من كان مؤيدوه من القلة يفوز بالغلبة، قال الله تعالى فى الواقعة: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ * فِى جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ .. وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ * وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ فَيَتَضَحُّونَ الْمَقْرِبِينَ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ هُمُ الْقَلِيلُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَمَنْ يَعْتَقِدُ بِأَنَّهُ عَلَى حَقٍّ لَا يَسْعَى لِلْحَصُولِ عَلَى مُؤَيِّدِينَ، نَعَمْ يَسْعَى لِلتَّبْلِيغِ فَتَكُونُ مَهْمَتُهُ مَهْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ فَقَطْ..

أقول: إياك أن تحب أو تؤيد عمل غير المعصوم ١٠٠٪ وبشكل خاص ما لا تعلم منه، ففى ذلك بدء وقوع الفتن وها أنت تراها كل يوم، فقد جاء عن أبى جعفر عليه السلام قوله:

خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال: (٢) أيها الناس، إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع، وأحكام تبتدع، يخالف فيها كلام الله، يقلد فيها رجال رجالاً، ولو أن الباطل خالص لم يخف على ذى حجبى، ولو أن الحق خالص لم يكن اختلاف، ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيطان معاً، فهناك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنى.

فلماذا لا نفكر فى أن نكون ممن سبقت لهم من الله تعالى الحسنى قبل فوات الأوان؟ ففى ذلك اليوم قال تعالى: قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (السجده: ٢٩)، فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَبَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ (غافر: ٨٥) ...

ص: ٢٠٧

١- (١) عيون الحكم والمواعظ، على بن محمد الليثى الواسطى، ٤٢٩.

٢- (٢) . المحاسن، لأحمد بن محمد بن خالد البرقى، ٢١٨/١.

ولأن المرء مع أحب هذا أولاً ولأن من تحب غير معصوم فتحشر يوم القيامة وأنت راضٍ بقتل فلان أو اغتياب فلان وبهتان فلان، نعم مطلوب منك حب الآخرين ولكن ليس أن تحبه هو وعمله مطلقاً من دون قيد..

أما لو أحببت المعصوم مطلقاً فهذا لا- غبار عليه، بل هو مطلوب؛ لأنه القدوس، ولا تقل لا يوجد معصوم، فإنك لم تصب الحق حينذاك، فقد ورد ما يدل على العصمة في الحديث (١) عن حذيفة رحمه الله في من خلال قوله:

«فإن كان الله في الأرض يومئذ خليفة جلد ظهر ك وأخذ مالك فالزمه»، ولك أن تحب من طلب منك المعصوم أن تحبه مطلقاً كما في سلمان وأبي ذر وعمار وحذيفة - عليهم وعلى أمثالهم الرحمة والرضوان - لما ورد فيهم من نصوص تدل على ذلك.

وقد ورد في البخارى (٢) كتاب الأدب عن النبي صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ بِثَلَاثِ صِيغٍ: الأولى:

«الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»، وفي الأخرى:

«جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وآله] وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وآله] وَسَلَّمَ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»، وفي الثالثة: «قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ [وآله] وَسَلَّمَ:

الرَّجُلُ يُحِبُّ الْقَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ قَالَ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». فاللفظ الأول مطلق وأما اللفظان الآخران فمنهما تستشف من قول السائل:

«وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ» أو

«وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ» أن المحب إما لم يلحق ولن يستطيع ذلك؛ للفارق الزمني، وأما الثانى أنه يمكنه ولكنه لم يلحق بهم لحد الآن، فكان الجواب أنه ما دام أحب عملهم فهو معهم. ولذلك جاء فى الكتاب العزيز فى خطاب بنى إسرائيل: وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (البقرة: ٧٢)، وَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (البقرة: ٨٧)، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيكفرون بما وراءه وَهُوَ الْحَقُّ مُصِداً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (البقرة: ٩١).

ص: ٢٠٨

١- (١). المحاسن، ص ١٢٦ من هذا الكتاب، وقد نوهت إلى هذا الأمر هناك ولا بأس بالتأكيد عليه.

٢- (٢). وفى غيره من مئات المصادر من كتب أتباع المذاهب هذا المعنى، وكذلك من مصادرنا وأكتفى بهذا المصدر ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتب التفسير ويبحث عن الآيات التى من خلالها يخاطب الله عزوجل من كان فى زمن الأنبياء بتحمل كفر سابقهم.

وها هو النبي صلى الله تعالى عليه وآله قد تبرأ من فعله خالد وأنكر على زيد فعلته، وكذلك عمر بن الخطاب أنكر على خالد فعلته وكذلك عبد الرحمن بن عوف، وذكر صاحب وفيات الأعيان: (١) «عن عمر بن شبه في أخبار البصره، أن العباس بن عبد المطلب قال لعمر بن الخطاب: إن رسول الله [صلى الله تعالى عليه وآله] أقطعني البحرين، فقال: ومن يشهد لك بذلك؟ قال: المغيرة بن شعبه، فأبى أن يجيز شهادته...» (٢)

فهل تستطيع أن تبرأ الآن إلى الله تعالى من فعله خالد أم لا؟ وتقبل بتعامل عمر بن الخطاب مع شهادته المغيرة؟

نعم لك أن تحب المسلم أو المؤمن وأن تضم له ذلك وتدعوه له، (٣) وله عليك من الحقوق ما

ص: ٢٠٩

- ١- (١). وفيات الأعيان، ابن خلكان، ٣٦٧/٦.
- ٢- (٢). فإن كان المغيرة عادلاً فليس من حق عمر بن الخطاب أن لا يجيز شهادته، نعم، من حقه أن يطلب شاهداً آخر، والعبارة صريحه في عدم الإجازة، وإلا فقد ثبت المطلوب، فلا بسيره عمر بن الخطاب يسير بعض ولا بسيره النبي صلى الله تعالى عليه وآله يقبلون.. وإن أنت حكمت بعداله المغيرة فقد جرحت بعداله عمر وإلا فأين هي عداله الصحابه... .
- ٣- (٣). ولكن إياك والمدح فإنه الذبح، وهذا ما ورد عنهم عليهم السلام: البحار، ٢٩٥/٧٠ قال عليه السلام: (رب مفتون بحسن القول فيه). فعن النبي صلى الله تعالى عليه وآله: (لو مشى رجل إلى رجل بسكين مرهف كان خيراً له من أن يثنى عليه في وجهه... (المحجج البيضاء: ٢٨٤/٥)، وعنه صلى الله تعالى عليه وآله: إذا مدحت أخاك في وجهه فكأنما أمرت على حلقة موسى (المحجج البيضاء: ٢٨٣/٥). وعن الإمام على عليه السلام: من مدحك فقد ذبحك. (غرر الحكم: ٧٧٦٦). وعن الإمام الحسن عليه السلام: لما سأله رجل أن يعظه فأجابته بأن: إياك أن تمدحني فأنا أعلم بنفسى منك، أو تكذبني [بالتخفيف] فإنه لا رأى لكذوب، أو تغتاب عندي أحداً. فقال له الرجل: ائذن لي في الانصراف، فقال عليه السلام: نعم إذا شئت. (تحف العقول: ٢٣٦). وأمر رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله) أن يحثا في وجوه المداحين التراب.. وجاء رجل فأثنى على عثمان في وجهه، فأخذ المقداد بن الأسود تراباً فحشا في وجهه، وقال: قال رسول الله (صلى الله تعالى عليه وآله): إذا لقيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب.. (سنن ابن ماجه: ٣٧٤٢) (سنن أبي داود: ٤٨٠٤). وروى أن رجلاً مدح رجلاً عند النبي (صلى الله تعالى عليه وآله)، فقال: ويحك! قطعت عنق صاحبك لو سمعها ما أفلح، ثم قال: إن كان لا بد أحدكم مادحاً أخاه فليقل: أحب فلاناً ولا أذكرى على الله أحداً، حسيبه الله إن كان يرى أنه كذلك. (المحجج البيضاء: ٢٨٣/٥). وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: لا تغتر بقول الجاهل ولا بمدحه فتكبر وتجبر وتعجب بعملك، فإن أفضل العمل العبادة والتواضع. (تحف العقول: ٢٠٨، ٣٠٤).. وعن الإمام على عليه السلام: أجهل الناس المغتر بقول مادح متملق، يحسن له القبيح، ويبغض إليه النصيح. (غرر الحكم: ٣٢٦٢)، وعنه عليه السلام: كم من مغرور بحسن القول فيه، كم من مفتون بالثناء عليه. (غرر الحكم: ٦٩٣٢ - ٦٩٣١)، وعنه عليه السلام: كثره الثناء ملق يحدث الزهو ويدنى من العزه. (غرر الحكم: ٧١١٩)، وعنه عليه السلام قال: احترسوا من سورة الإطراء والمدح، فإن لهما ريحاً خبيثه في القلب. (غرر الحكم: ٢٥٣٩)، وعنه عليه السلام: الإطراء يحدث الزهو ويدنى من الغره. (غرر الحكم: ١٣٦٧)، وعنه عليه السلام: حب الإطراء والمدح من أوثق فرص الشيطان. (غرر الحكم: ٤٨٧٧). وعن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله: حب الإطراء والثناء يعمى ويصم عن الدين، ويدع الديار بلاقع. (تنبيه الخواطر: ١٢٢/٢)، وعن الإمام على عليه السلام في صفه المتقين: إذا

زكى أحد منهم خاف مما يقال له، فيقول: أنا أعلم بنفسى من غيرى، وربى أعلم بى منى بنفسى! اللهم لا تؤاخذنى بما يقولون، واجعلنى أفضل مما يظنون، واغفر لى ما لا يعلمون. (نهج البلاغه: الخطبه ١٩٣). وعن الإمام زين العابدين عليه السلام: المؤمن يصمت ليسلم، وينطق ليغنم... إن زكى خاف مما يقولون، ويستغفر الله لما لا يعلمون، لا يغيره قول من جهله، ويخاف إحصاء ما عمله. (الكافى: ٣/٢٣١/٢). وعن الإمام الباقر عليه السلام - لجابر بن يزيد الجعفى -: إن مُدحت فلا تفرح، وإن ذممت فلا تجزع وفكر

لو علمت لحكمت على نفسك بالتقصير.. ولكن الحذر الحذر من أن تحب كل عمله؛ فإنه ليس بمعصوم، والذي يؤيد ذلك أن الذي عليك هو الظاهر لا الباطن، والله تعالى يعلم ما في باطنه.

ولما كانت هناك فتن كما مرّ في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك الحديث الوارد عن حذيفه رحمه الله وقد يصعب التمييز بين الحق والباطل، احتجت المعصوم ليدلّك على الصواب لثلاث تطبع غيرك في معصيه، فعن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«من أطاع رجلاً في معصيه فقد عبده»، (١) وجاء عن أبي بصير (٢) قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ (التوبة: من الآية ٣١)، فقال: أما والله، ما دعوهم إلى عباده أنفسهم ولو دعوهم إلى عباده أنفسهم لما أجابوهم، ولكن أحلوا لهم حراماً وحزّموا عليهم حلالاً فعبدوهم من حيث لا يشعرون»، فلأن التابع كان قاصداً اتباع واضح تلك الأحكام والأمر بها، فرجعت عبادتهم إليه من حيث لا يشعرون.

ص: ٢١٠

١- (١). وقوله عليه السلام: (في معصيه) يحتمل وجهين: الأول: أن يكون وصفاً لـ(رجلاً) فيكون معناه من أطاع رجلاً هذا الرجل المطاع كان عاصياً فإن العاصي معبود لمن أطاعه مطلقاً، سواء أطاعه في المعصيه أم في غيرها كما يدل عليه قول الله تعالى في الركون إلى الظالمين: وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ (هود: ١١٣)، والوجه الثاني: أن يكون (في معصيه) متعلق بـ(أطاع) وعليه فمعناه أن المطيع قد أطاع العاصي في معصيه ما، فالعاصي معبود لمن أطاعه في المعصيه، سواء أفعّلها أيضاً أم رضى بها ومدحه عليها أم دعا له أم لم ينكرها، والسر في ذلك أن العبادة هي خضوع وتذلل وطاعة وانقياد، لذلك جعل الله سبحانه اتباع الهوى وطاعة الشيطان عبادة للهوى والشيطان، فقال: أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ (الجاثية: من الآية ٢٣)، وقال: أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (يس: ٦٠)، وإذا كان اتباع الآخرين عبادة لهم فأكثر الخلق مقيمون على عبادة غير الله جل جلاله وهو النفس والشيطان وأهل المعصيه والكفران، وهو أحد مصاديق الشرك الخفى على أقل تقدير نعوذ بالله منه، قال الله سبحانه وتعالى وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (يوسف: ١٠٦). ولذلك جاء النهي عن طاعة المخلوق في معصيه الخالق كما ورد في نهج البلاغه، ج ٤ ص ١٤ قال عليه السلام: (لا طاعة لمخلوق في معصيه الخالق).

٢- (٢). الكافي ٣٩٨/٢.

فلنكف عن عباده الناس من الجنه والناس، أفمن العقل عباده الدانى وترك العالى؟! أفرأيت من اتخذ إلهه هواه (الجائيه: من الآيه ٢٣)، وقال: أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (يس: ٦٠).

وأيضاً عن أبى جعفر عليه السلام (١) قال:

«من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدى عن الله تعالى فقد عبد الله، وإن كان الناطق يؤدى عن الشيطان فقد عبد الشيطان». ومن هذه الروايه المباركه نجد أن مجرد الإصغاء عباده، فكيف إذا بك ترضى أفعاله من دون تمحيص.

وعن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله تعالى: (٢) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (مريم: ٨٢، ٨١)، قال عليه السلام:

«ليس العباده هى السجود والركوع إنما هى طاعه الرجال، من أطاع المخلوق فى معصيه الخالق فقد عبده». وعنه عليه السلام فى قول الله تعالى: (٣) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (يوسف: ١٠٦)، قال عليه السلام:

«شرك طاعه وليس شرك عباده».

وهذا هو الحارث بن حوت أتى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال:

أترانى أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلاله؟ فقال عليه السلام : يا حارث، إنك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت، إنك لم تعرف الحق فتعرف أهله، ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه. فقال الحارث: فإنى أعتزل مع سعيد بن مالك وعبد الله بن عمر، فقال عليه السلام : إن سعيداً وعبد الله بن عمر لم ينصرا الحق ولم يخذلا الباطل. (٤)

فهل تريد أن تكون كذلك فهذا شأنك. لا- تقل: فلان صحابى وفلان تابعى، فإنه وإن كان مقدساً عندك ولكن ليس كل مقدس معصوم أو قدوه، فلا أريد أن أكرر عليك ما مضى من القول، استفد مما مرّ به من تجارب؟ فلا تكن أنت حقل تجارب جديد، وأنا لا يهمنى أنك اتبعته أم لا، فهذا شأنك أنت وحدك، ولكن من حقك على النصح لك، إنما الحق قوله تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ (الحجرات: من الآيه ١٣).

ص: ٢١١

١- (١) . الكافي ٤/٤٣٤.

٢- (٢) . الوسائل، للحر العاملى، ١٥٥/١٦ (طبعه آل البيت).

٣- (٣) . همان، ١٢٧/٢٧ (طبعه آل البيت).

٤- (٤) . نهج البلاغه، ٤/٦٣.

لما كان المتقون يمشون بين غيرهم بالتقيه خائفين كانت درجاتهم على ما صبروا كما قال الله تعالى: تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (هود: ٤٩)، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (الحجر: ٤٥)، وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِمَادَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (النحل: ٣٠)، وَجَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (النحل: ٣١)..
 وصريح آيتين من سورة مريم المباركة فيها طرفان المتقون والمجرمون قال الله تعالى: يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً* وَ نَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا (مريم: ٨٦، ٨٥). وكذلك: فَإِنَّمَا يَسْرُنَا بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَنُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (مريم: ٩٧)، وقال في تعالى القصص: تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣)، وفي ص: أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٨)، والله تعالى ولي المتقين: إِنَّهُمْ لَنْ يُعْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (البجائيه: ١٩)، وهم: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (الدخان: ٥١)، وَ أُنزِلَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (ق: ٣١)، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (الذريات: ١٥)، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَعِيمٍ (الطور: ١٧)، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ نَهْرٍ (القمر: ٥٤)، إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ (القلم: ٣٤)، إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَ عُيُونٍ (المرسلات: ٤١)، إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (النبا: ٣١). وغير ما تقدم من الآيات الكريمة كثير فارجع إلى كتاب الله تعالى وانظر فيه وتدبر..

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:

ويل للذين يخلون الدنيا بالدين، وويل للذين يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقيه،
 أبي يغترون أم على يجترئون، فبي حلفت لأتيحن لهم فتنه تترك الحليم منهم حيران. (١)

فيتضح أن الله تعالى هو الذى يتبنى الدفاع عنهم، قال الله تعالى: إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (الحج: ٣٨).

فتعلم وتعود على الامتثال ولا تشكك في أحكام الله تعالى تنجو من الهلكه، والله تعالى هو الموفق، والله تعالى هو العالم.

هب أنك لا تعمل بها، ولكن أين تذهب ممن سيقتل وتنتهك حرماته بسبب إذاعتك؟ فقد جاء عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: **وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ** (آل عمران: من الآية ١١٢)، فقال:

«أما والله ما قتلوهم بالسيف ولكن أذاعوا سرهم وأفسوا عليهم فقتلوا». (١) وتلا أبو عبد الله عليه السلام هذه الآية: **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ** ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (آل عمران: من الآية ١١٢). فقال:

والله ما ضربوهم بأيديهم ولا قتلوهم بأسيا ففهم ولكن سمعوا أحاديثهم فأذاعوها فأخذوا عليها فقتلوا فصار ذلك قتلاً واعتداء ومعصية. (٢)

وقال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله غير قوماً بالإذاعه، فقال: **وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ** (النساء: من الآية ٨٣) **فَايَاكُمْ وَالإذاعه م.** (٣)

مستويات التقية

بحسب ما نقرأ في القرآن الكريم نجد إن التقية - شرعاً - فعل يصدر من المتقى، شرط كونها تصدر منه وهو في حال الإيمان، وهذا يعني أنه على الحق لا مطلقاً، وعليه فإنها - كفعل - لا تخرج عن وجهين: إما أن يتساوى فيها باطن العبد وظاهره وهذه على مرتبتين وذلك بحسب الإضافة مره إلى لفظ الجلاله، كقوله تعالى: **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ** (النساء: من الآية ١٣١)، ومره أخرى إلى اسم الرب: **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ** (النساء: من الآية ١)، والثاني أدنى المراتب والأول أسماها، وهذا المستوى لا يتصور فيه اختلاف باطن الإنسان عن ظاهره لأن الله ربنا تعالى لا يخفى عليه شيء، قال تعالى: **إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ** (آل عمران: ٥)، **وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَ مَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَ لَا حَافِي فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** (الأنعام: ٥٩)، **إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ**

ص: ٢١٣

١- (١). المحاسن أحمد بن محمد بن خالد البرقي ٢٥٦/١.

٢- (٢). همان.

٣- (٣). همان.

(فاطر: من الآية ٣٨)، إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (الأنعام: من الآية ١٦٤)، وإما ألا يتساوى فيها ظاهر العبد وباطنه فلا يعقل إلا وجه واحد، وهو أنه يخفى الحق ويظهر الباطل تلافياً لوقوع ضرر أشد.

وهناك إخفاء بين المؤمنين أنفسهم، وهذا لا يتلازم مع إظهار الخلاف، نعم يتلازم مع الصمت وهو الكتمان كما مرّ، ويحصل عادة بين المؤمنين أنفسهم، وذلك بحسب درجات العلم والإيمان، ويمكن أن تسمى تقيه توسعاً واعتماداً على الرواية التي عن السجادة عليه السلام التي تحدثت عن سلمان وأبي ذر رضوان الله تعالى عليهما كما سبق في هذا الفصل، فإذا كُتِمَ عن المؤمن فمن باب أولى يكتُم عن غيره، وغير المؤمن يشمل المسلم والكافر والمنافق فيدخل في التقيه من رأس، أما أن يشمل المسلم فكقوله تعالى: قَالَتِ الْمَأْرَبَاتُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ (الحجرات: من الآية ١٤)، وأما الكافر والمنافق فمعلوم ضرورة.

ومما تقدم يعلم أفراد التقيه وحصصها فمنها على مرتبة اسم الله تعالى وحصه منها على مرتبة اسم الرب تعالى وحصه منها من العبد. أما دليل الأنقسام على هذه الحصص فمره جاءت التقيه مطلقه كما في قول الله تعالى: زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ (البقره: من الآية ٢١٢)، قُلْ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَمَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ (آل عمران: من الآية ١٥) لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (المائدة: ٩٣)، وأخرى جاءت مضافه وكما مر إلى لفظ الجلاله أو اسم الرب. فإن قيل: إن هذا الفعل المطلق المذكور في القرآن الكريم له حصتان فقط وكما مذکور بحسب الإضافه فمن أين لك أن تثبت الحصه الثالثه؟ وجوابه أنه لا يسع إنكار الثالثه خاصه بعد أن ورد اللفظ على لسان النبي صلوات الله تعالى عليه وآله في البخارى: (١) (..إن شر الناس منزله عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه) فثبت المطلوب... والله تعالى هو العالم بالصواب..

ص: ٢١٤

ومما يتضح كذلك أن تقوى الله تعالى قبول أحكامه ومنها حكم التقيه التى هى على مراتب كما بينته الآيه المباركه من سوره المائده الكريمه، قال الله تعالى: لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (المائده: ٩٣) فانظر إلى مقام المتقين وانظر إلى مقام غيرهم حيث قال تعالى: يَوْمَ نَخْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدَاءً* وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (مريم: ٨٦، ٨٥)، وغيرهم من يمشى بينهم المؤمن بالتقيه.

الكتمان والتقيه لىسا تغطيه الرأس فى التراب

ومنه تعلم أنهما لىسا من النفاق بل هو نقيضهما ولىسا من تغطيه الرأس أو دسه فى التراب كما يقال، بل هما عمل دؤوب ومتواصل إلا أنه فى الخفاء، وما يصدر من بعض بأن من يعمل بالتقيه فحسنى النهج والثائر حسينيه هذا كلام غير صحيح من جهتين الأولى عدم التأذب فى مقام ذكر أحد سيدى شباب أهل الجنة، والإمام الحسن عليه السلام هو الممهّد لثوره الإمام الحسين عليه السلام فهو ممن شارك فيها ولىست موافقه على بنود الصلح إلا لحقن الدماء وهذا بحث موكول إلى محله، ومن جهه كونه مع تركها وعدم العمل بها يوجب التشريع فافهم.

فلو اتبع هؤلاء الحق وعملوا بالتقيه لكان المجتمع الإسلامى مجتمعاً مثالياً لا يؤكل من الخارج ولا يتأكل من الداخل، ولكن التعصب والجهل أخذوا من الناس مأخذاً عظيماً فتركوا حكم الله تعالى إما خجلاً لأنهم حسبوه عاراً أو عناداً لأنهم على خلاف مع من يؤمن به تصريحاً، فحصل ما حصل ويحصل والتأريخ يعيد نفسه.

وكما رأيت فإن ذلك يصب فى رافد الحلم والذى يرفع من شأنه تطبيق هذا الحكم الشرعى وإن لم يكن هناك طاقه على حمل وتحمل أمانه ما فما فائده الإيمان إذن؟ وأكرر القول: إنما التقيه مع عدم إضمار نيه الشر إلا خلق قويم وسعه صدر وتحمل الآخر المتشدد بالرغم من اعتقاد المظلوم بأن هذا ظالم، فهو يتقيه ولا يحقد عليه ولا يستبيح حرماته، (١) بخلافه فى النفاق يضمّر الشر ويتفق مع أهله ويظهر الإيمان ويخفى الكفر وأين هذا من ذاك. ولكن الويل كل الويل ممن يظلم الآخرين ويتسلط عليهم لمجرد اختلافهم معه.

وإن كنت متقياً كاتماً عمّن يعاديك ما تعتقد معرضاً عما يصدر عنه فيما لا يرضى الله

ص: ٢١٥

١- (١). إلا بحدود، بخلافه فى الظالم المستبيح مطلقاً.

تعالى متعاوناً معه في غيره كأنه بالنسبة إليك ولي حميم يتحير بك عدوك ولا يعلم كيف تعمل فلا تفضح نفسك وتكشف ظهرك لمن يريد أن ينال منه فيقضى عليك بمجرد أن تغفل، أو يتابع عملك فيهدم ما شيدت.

حكم من لا يعمل بهما

قد يقول قائل أفهم من خلال ما تقدم بأنك تحكم على كل من لا يعمل بهما فهو وراء ليس بصاحب أخلاق وغير صبور لا يتحلى بالحلم ولا يحمل العلم.

وجوابه أن هذا اتهام لا أساس له من الصحة مطلقاً، فأنا لم أكن الصراط المستقيم ولن أكون ولم أدع ذلك ولن أدعيه إن شاء الله تعالى، سوى أنه كل منا يشخص تكليفه الشرعي، فيتصرف بما يراه هو مناسباً والحكم لله تعالى هو الذي يعلم ما في الصدور، وليس لأحد أن يوجه التهمة إلى باطن المؤمنين فيضل عن الصواب.

وهناك من يدعي بأن السيد الامام الخميني (قدس سره) رفع شعار: (لا تقته بعد اليوم)، وذلك مردود من خلال رسالته العملية (رحمه الله تعالى) فراجع. (١) ولست بصدد الدفاع عنه فإنه ليس بمتهم لأقوم بذلك، ولكني على علم بأن أفعال المكلفين يكمل بعضها بعضاً. فالحياء بحاجه إلى من يتصدى لأمر لا يسعني القيام به وأقوم أنا بعمل لم يتصد له غيري وهكذا، وكل مسؤول أمام الله تعالى عن أعماله وتشخيصه للمصلحة بحسب علمه لا مطلقاً، وكل منّا عليه أن يعلم تكليفه ما هو لا أن يشغل نفسه بالتفتيش عن تكليف الآخرين. إنما الكلام فيمن يكفر غيره ويلغيه ويحمل عليه ويشرع كما يشتهي ويقتل كما يشتهي لأنه غير معصوم فيستحل الحرمات كما يهوى.

استغفر الله تعالى لكل مؤمن ومؤمنة وأرجو منه تعالى أن يهدي المسلمين جميعاً إلى كل خير، وكل الخير هم محمد وآل محمد صلوات الله تعالى عليهم أجمعين:

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء: ١٠٧)

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (الشورى: ٢٣)

قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَ لَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَ لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ

ص: ٢١٤

وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (الحجرات: ١٤).

ص: ٢١٧

مصادر الحديث القدسي من الفريقين

هناك نكات في الحديث القدسي تتبين من خلال التدبر فيه حيث ورد بألفاظ منها:

من آذى لى ولياً فقد استحل محاربتى وما تقرب إلئى عبدى بمثل أداء الفرائض وما يزال العبد يتقرب إلئى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحبته كنت عينه التى يبصر بها وأذنه التى يسمع بها ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها وفؤاده الذى يعقل به ولسانه الذى يتكلم به....

أما معنى هذا الحديث الكريم من خلال قوله «كنت كذا...» فيمكن أن يتصور فيما يلى:-

قوله: «كنت عينه»: فيكون مطلعاً على كل شىء... وأئى عين هذه التى يمكن أن يرى بها كل شىء؟ فيكون مظهر اسم (البصير).

قوله: (أذنه..): كذلك ولكن يكون مظهر اسم (السميع).

قوله: (يده): مظهر اسم (القادر).

قوله: (رجله): لا يحده مكان فيمكن أن يتواجد فى أى مكان فى أى لحظة، هذا من جهه. ومن جهه أخرى لا يكون له أثر إلا فى الخير تبعاً للطريق الذى يسلكه وهو الصراط المستقيم.

قوله: (فؤاده الذى يعقل به): الفؤاد المادى أحد أدوات الإدراك وأما الذى للنفس فهو قوه من قواها حينها يكون كل علمه حق مظهر اسم (الحق).

قوله: (لسانه الذى ينطق به): كل قوله حق مظهر اسم (الحق).

فلا يشكل علينا مشكل أنكم تقولون شعراً فى على بن أبى طالب صلوات الله تعالى عليه مضمونه أنه عين الإله أو هو عينه وما إلى ذلك، فهذا يثبت لأئى مؤمن بموجب هذا الحديث

١- (١). الاثنا عشرية الحر العاملي ٧٤- جامع السعادات النراقي ١٦٦/٢- شرح إحقاق الحق ج ١ السيد شهاب الدين المرعشي ص ١٨٠/ج ٧ ص ٤٦١- العقائد الاسلاميه ج ٢ مركز المصطفى ص ٤١٣- المسانيد ج ١ محمد حياه الأنصاري ص ٥٥، ١٧٩، ٢٥١- المنتخب من الصحاح الستة محمد حياه الأنصاري ص ١٠٦، ٢٤٩، ٢٨٧- قره العينين من أحاديث الفريقين محمد حياه الأنصاري ص ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١- أصول الكافي الكليني (٣٣٦/٢) الباب ٣٣١/ ح ٣- الكليني (٣٣٧/٢) ح ٥/الباب ٣٣١- المفيد في الأمالي ص ١٧٧/م ٢٢/ ح ٧- معجم المحاسن والمساوي أبو طالب التجليل التبريزي ص ١١٧- معجم الرجال والحديث ج ١ محمد حياه الأنصاري ص ٥٢، ١٢٦، ١٨، ٤، ٣٢٩- الفتوحات المكيه ج ٤ ابن العربي ص ٤٤٩، ٥٢٩- صحيح شرح العقيدة الطحاويه حسن بن علي السقاف ص ٦١٩، ٦٢٠- الدرر السنيه ج ٤ أحمد زيني دحلان ص ٥- إتحاف أهل الزمان عمر غامسوري ص ١١- الحقائق الاسلاميه حاج مالك بن الشيخ داود ص ١٣، ٢٠- كاسح الألغام الكفريه عبد الله بن أبي بكر الحسيني ص ٢٨- لماذا اخترت مذهب أهل البيت الشيخ محمد مرعي الأنطاكي ص ٥٩- معالم الفتن ج ١ سعيد أيوب ص ٢٢٥، ٢٢٦/ج ٢ ص ١٥٧- منهج في الإنتماء المذهبي صائب عبد الحميد ص ٢٢٧- إمتاع الأسماع ج ٩ المقريزي ص ٢١٦- ونقل عن البخاري وكذلك رواه الحاكم وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ورواه ابن عساكر، وأحمد وأبو يعلى والطبراني والبيهقي والطبراني وابن أبي عاصم وقال الألباني حديث صحيح - روضه المحبين ابن قيم الجوزيه ص ٤٠٩- مدارج السالكين ج ٣ ابن قيم الجوزيه ص ٢٤- مفتاح دار السعاده ج ١ ابن قيم الجوزيه ص ٦٦- الفتاوى الكبرى ج ١ ابن تيميه ص ٢٣٨/ج ٢ ص ٣٠٣، ٣٤٣/ج ٥ ص ٢٥٥- العقود الدريره ابن عبد الهادي ص ٧٨- الاستقامه ج ٢ ابن تيميه ص ٧٣- الجواب الصحيح ج ٣ ابن تيميه ص ٢٢، ١٧٠، ٣٣٤، ٣٣٥/ج ٥ ص ١٠٩- الصارم المسلول ج ١ ابن تيميه ص ٣١٧/ج ٢ ص ٧٢٧- الرد على المنطقيين ابن تيميه ص ٥١٩- العقيدة الأصفهانيه ابن تيميه ص ٧٠، ١٧٤- قاعده في المحبه ابن تيميه ص ٥٠، ٧١- مجموع الفتاوى ج ٣ ابن تيميه ص ٤١٦/ج ٧ ص ٤٤٢/ج ٨ ص ١٤٣/ج ١٠ ص ٣٠٥/ج ١١ ص ١٥٩، ١٦١- الرد على البكري ج ١ ابن تيميه ص ٣٤٧- التحفه العراقيه ابن تيميه ص ٣٧- الزهد والورع والعباده ابن تيميه ص ١١٥، ١٨٢- أمراض القلوب ابن تيميه ص ٣٦- الكبائر الذهبي ص ٢١٣، ٢٣٦- الإتحافات السنيه بالأحاديث القدسيه المناوي ص ٦٢، ٦٣، ٦٥- كرامات الأولياء اللالكائي ص ٩٤- الأولياء ابن أبي الدنيا ص ٩، ٢٣، ٤٨- الأربعون الصغرى البيهقي ص ٧٥- كتاب الزهد ج ١ ابن أبي عاصم ص ٦١، ٦٥- آداب الصحبه السلمي ص ١١٨- حليه الأولياء ج ١ الأصبهاني ص ٤، ٥، ١١/ج ٨ ص ٣١٨- الإحياء ج ٣ الغزالي ص ٢١٢- صفه الصفوه ابن الجوزي ج ١ ص ٣٩، ٤٢/ج ٢ ص ٥٠٦- جامع العلوم والحكم ابن رجب الحنبلي ص ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠- رياض الصالحين النووي ص ٤٢، ١١٦، ١١٧- العلل المتناهيه ج ١ ابن الجوزي ص ٤٤- أبجد العلوم ج ٢ القنوجي ص ٣٧٢، ٣٧٤- نوادر الأ-صول في أحاديث الرسول ج ٢ الترمذي ص ٢٣٢، ٢٣٣/ج ٣ ص ٩١- الفردوس بمأثور الخطاب ج ٣ إلكيا ص ١٦٧، ١٦٨- كتاب الزهد الكبير البيهقي ص ٢٦٩، ٢٧٠- التحبير في المعجم الكبير ج ١ أبي سعد عبدالكريم التميمي ص ٣٦٣- علل الحديث ج ٢ ابن أبي حاتم ص ١٢٦- مقدمه فتح الباري ابن حجر، ص ٤٠٠- التمهيد، ج ١٧، ابن عبدالبر ص ٤٣٢- تفسير ابن كثير، ج ١، ص ١٣٤، ١٣٣، ١٥٨/ج ٣ ص ١٤٧/ج ٤ ص ٨٤- بغيه الطلب في تاريخ حلب ج ٨ ابن العديم ص ٣٦٣٦- طبقات الشافعيه الكبرى ج ٩ السبكي ص ٣١٦- المنتظم (حتى ٧٥٢هـ-) ج ١ ابن الجوزي ص ٣٤١- الديباج المذهب ابن فرحون ص ١٠٤- طبقات الحنابله ج ٢ ابن أبي يعلى ص ٢٥١- معرفه القراء الكبار ج ١

الذهبي ص ٤٤٢- بدائع السلك ج ١ الأزرق ص ٣٨٩- التبيان في آداب حملة القرآن النووي ص ١٥- تفسير البغوي ج ٣ ص ٥٤٣
| ج ٤ ص ١٢٧- روح المعاني ج ١١ الألوسى ص ١٤٩ | ج ٢٥ ص ٩١- الصواعق المحرقة، ج ١، ابن حجر الهيتمي، ص ١٣٢- كتب
و رسائل و فتاوى ابن تيميه في العقيدة ابن تيميه ج ٣ ص ٤١٦ ج ٧ ص ٤٤٢ ج ٨ ص ١٤٣- شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز
الحنفي ص ٤٠٦، ٥٦٢- معارج القبول ج ٣ الحكمي ص ١٠٠١- البرهان المؤيد الرفاعي الحسيني ص ٢٥- أصول الإيمان محمد
بن عبد الوهاب ص ٥٦- الإمام العز بن عبد السلام ص ١٧٤- الموافقات ج ٢ الشاطبي ص ١٨٤- العهود المحمدية للشعراني
ص ٢١٨- أحكام القرآن الجصاص ١٩٥/٤- نواذر الأصول في أحاديث الرسول الترمذي ٧١/١، ٤٠٨ - حاشيه البجيرمي ج ٢
ص ١٨٩- فقه العبادات على المذهب الحنفي للحاجه نجاح الحلبى ص ١٦٧- كنز العمال ج ١ للمتقى الهندي ص ١٣٦، ١٣٧،
| ٢٢٣ | ج ٧ ص ٤٣٩- مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني ص ٢٣، ٢٤، ٥٨٨- معارج اليقين في أصول الدين الشيخ محمد
السبزواري ص ٥١٤- أعلام الدين في صفات المؤمنين الديلمي ص ٢٤٠- الجواب الكافي ابن قيم الجوزيه ص ١٣٠- مدارج
السالكين ابن قيم الجوزيه

- ١- (١). الجواب الكافي ابن قيم الجوزية ١٠٤، ١١٣- روضه المحبين ابن قيم الجوزية ١١٧- حكم تارك الصلاة ابن قيم الجوزية ٣١، ٣٤، ٣٦- زاد المعاد ٥ ابن قيم الجوزية ٤٦- أحكام أهل الذمه ابن قيم الجوزية ٧٢٩/٢ و١٤٤٧/٣- الصارم المسلولابن تيميه ١/٨٥ و٢/٥٨٠، ٥٩٢، ٦١٢، ٨١٢- مجموع الفتاوى ابن تيميه ٤/٣٦٨ و٧/٤٨٢ و١٨/٢٧٤- حاشيه ابن القيم ١٢/٥٧- الكبائر الذهبى ١٤- الفتن نعيم بن حماد ١/١٦٣، ١٨٤، ١٨٦- الإيمان العدنى ٩٢- الإيمان ابن منده ١/٤١٣- ناسخ الحديث ومنسوخه أبو حفص ٤٠٥- حديث خيثمه الطرابلسى ٧١- الفوائد الرازى ٢/٣٣- السنه ابن أبى عاصم ١/٣٠١ و٢/٤٣٤- كتاب الزهد ابن أبى عاصم ٢/٦٧، ٦٨- شعب الإيمان البيهقى ٤/٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨- حليه الأولياء الأصبهان ٥/٦٢، ٧٤، ٢٥٠ و٧/٢٧٠ و٩/١٥- كتاب الفتن نعيم بن حماد ١/٨١، ١٤٩، ١٦٣، ١٦٥، ١٨٤، ١٨٦- الإحياء الغزال ٢/٢٨٥ و٣/١٣٧ و٤/١٣٣، ١٤٩- جامع العلوم والحكم ابن رجب الحنبلى ٨٨، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٨- الترغيب والترهيب للمنذرى ٣/١٨٦، ٢٠١، ٢٠٢- جمهره خطب العرب أحمد زكى صفوت ٢/٥٣- مسند أبى عوانه ٤/٩٧، ٩٨- سنن سعيد بن منصور ٤/١٣٣٣، ١٣٣٨- شرح معانى الآثار الطحاوى ٣/١٥٩- مصباح الزجاجه البوصيرى ٣/١٢١، ١٢٢ و٤/١٦٣، ١٦٤- المنتقى ابن الجارود ٢/٢١٢، ٢١٣- أخبار مکه الفاكه ٢/٢٧٨- معتصر المختصر أبو المحاسن ١/٢٣٠ و٢/١٤١، ١٤٢، ١٤٦، ١٤٧، ١٥١- الديات ابن أبى عاصم ٢/٢، ٣، ٨، ١٠، ٢٦- تحفه المحتاج ابن الملقن ٢/٤٤١- الدرليه فى تخريج أحاديث الهدايه ابن حجر ٢/٩٦، ٢٤٠، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٨٦- خلاصه البدر المنير ابن الملقن ٢/٢٦١، ٢٩٦، ٣٤٥- التحقيق فى أحاديث الخلاف ابن الجوزى ٢/٣٠٩- اختلاف الحديث الشافعى ٢٠٦- الأحاديث المختاره ضياء الدين المقدسى ١/٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٩٠، ٤٩٧، ٤٩٨- مسند الربيع ٢٩٢، ٣٦٧، ٣٦٨- مسند عمر بن الخطاب يعقوب بن شيبه ٧٣- مسند الشاشى ١/٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦- مسند البزار ٢/١٠، ٣٥- مسند الرويانى ٢/١٤٣- المسند الحميد ١/٦٥- مسند الحارث (زوائد الهيثمى) ٢/٨٩٨- مسند الشاميين الطبران ٢/٣٩٦- الفردوس بمأثور الخطاب ٣/٣٧٣، ٤٥٤، ٥٨٢ و٤/٥٦٦ و٥/١١٠- التاريخ الصغير (الأوسط) البخارى ١/١٥١- جامع التحصيل العلائى ٢٤٥- الاستيعاب ابن عبد البر ٢/٦٩٨- علل الترمذى للقاضى ٢١٩، ٣٢٢- علل الحديث ابن أبى حاتم ١/٤٤٩ و٢/١٢٥- كشف الخفاء العجلونى ١/٥٣١، ١١٩/٢، ١٩٨، ٣٨٥، ٤٩٤- العلل الوارده فى الأحاديث النبويه الدارقطنى ٣/٥٠، ٥٠٥- ٦٠ ص ٢٥٣، ٢٥٥- الإرشاد أبو يعلى القزوينى ص ٥٣٩- موضح أوهام الجمع والتفريق الخطيب البغدادى ٢/٢٦٠، ٢٣٤- فضائل الصحابه ابن حنبل ٤/٤٦٤، ٤٦٥، ٤٩٥، ٤٩٦، ٥٠٨- التمهيد ٢ ابن عبد البر ص ٢٣/٤ ص ٢٤١/٥ ص ٣١٣، ٣١٨/١٥ ص ٢٩٠- تفسير ابن كثير ١/٣٨، ٥٣٥، ٢/٣٥٣ و٣/١٩٠ ص ٣٩/٤ ص ٢١٣- وفيات الأعيان ٢ ابن خلكان ٣/٤١ ص ٢٨٨- المنتظم (حتى ٧٥٢هـ)- ٦ ابن الجوزى ص ٤٠- التحفه اللطيفه ٢ السخاوى ص ٢١٥- مسائل الإمام أحمد د. فضل الرحمن دين محمد ص ٤١٧- الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٢ أبو العباس الناصرى ٣/٣٧، ٤٢- الكامل ٣ ابن الأثير ٤/٨٥ ص ٢٩٣- طبقات الحنابله ٢ ابن أبى يعلى ٢/٢٤- مآثر الإنافه ١ القلقشندى ٩/٥٩- الفائق ٢ الزمخشرى ٢/٢٤٤- مقتل الشهيد عثمان المالىقى ١/١٢٥، ١٦٣، ١٦٧- الأحكام السلطانيه السرجانى ٤/٤٤- الإمامه والسياسه ١ الدينورى ص ٣٩- معانى القرآن ٢ النحاس ٢/١٦٢، ٣٠٠/٤ ص ١٤٨- تفسير الثعالبى ١/٤٠٢- تفسير أبى السعود ٢/٢١٧- الناسخ والمنسوخ النحاس ٣/٣٤٧، ٣٤٨، ٣٩٠، ٣٩١- تفسير البغوى ٣/١١٣- أحكام القرآن الجصاص ١/١٦٨، ٣/١٧٤ ص ٤٥ و٤/٤٧، ٥٠، ٥٥ و٥/١٠٤، ١٠٥، ١٤٧- تفسير

النسفي ١/٢٤١- روح المعاني ٥ الآلوسي ٩/١١٦ ص ٩٤- السيره الحلبيه ١/٢٦٧- التنبيه والرد على أهل الأهواء أبي الحسين محمد
الملطي ص ٤٨- كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل الباقلاني ٥٢٣- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه في
العقيده ٧/٤/٣٦٨/٤٨٢- شرح كتاب التوحيد سليمان بن عبد الله ص ٣٨- شرح العقيده الطحاويه ابن أبي العز الحنفي ٤٢٧-
معارج القبول ٢ الحكمي ٣/٣/١١٦٨- الفرق بين الفرق عبد القاهر البغدادي ٣٤٣- الفصل في الملل ٤ ابن حزم ١١٦- شرح
السنه البريهاري ٣٣- السنن الوارده في الفتن ١ أبو عمرو الداني ١٤٩، ١٤٣، ١٦٥، ١٨٤، ١٨٦- التاج والإكليل ٦ المواقي ٢٣٠،
٢٧٧- الفواكه الدواني ٢ النفاوي ٩٨، ١٧٨- الشوكاني الدراري المضيه ٤٤٤، ٤٤٨- عمدت الأحكام ٤ ابن دقيق العيد ٨٤، ٨٥، ٨٦-
المبدع ٣ ابن مفلح ٨/٣٢٤/٢٤٠، ٩/٣٢/٢٦٧، ١٤٦، ١٤٨، ١٧٣، ١٨٩-

مصادر حادثه قتل مالك بن نويرة رضوان الله تعالى عليه

لو تمعنت في قول أبي بكر لعمر في خالد: (تأول فأخطأ) تجد أن نفس قوله هذا مردود بنفسه لأنه يحتمل الخطأ، فهذه القاعده لو صدرت من معصوم فلا غبار عليها وإذ لم يقل أحد بعصمه أبي بكر فقد يكون هو الآخر تأول في إصدار هذه القاعده فأخطأ، فلا- يمكن العمل بها من رأس.. وعلى كل حال اطلع على ما ذكره بشأن مالك بن نويرة في المصادر المؤشره فتابع. (1) والجدير بالذكر أنه هو الذي بشره النبي صلوات الله تعالى عليه وآله بالجنه، وقد وداه أبو بكر وأمر خالداً بطلاق زوجته - وإن كان الصحيح أن تبين عنه - ورد السبي والمال... (2)

ص: ٢٢١

١- (١). تاريخ الطبري ٢٤٢/٣، ٢٨٠، ٤٧٦، ٥٠٤ و ٥٠٢/٥ - كثر العمال ٣٢/٣ ح ٢٢٨، ص ١٣٢ - وفيات الأعيان ٥٦/٥ و ١٤/٦ - فوات الوفيات ٦٢٧/٢ - تاريخ ابن شحنه بهامش الكامل ١١٤/١١ - تاريخ ابن الأثير ٣٥٧/٢ - تاريخ دمشق ١١٥/٥ - تاريخ ابن كثير ٣٢١/٦ - تاريخ الخميس ٢١١/٢ - شرح النهج لابن أبي الحديد ١٧٩/١ أو ١٥٤/٦ و ١٥٢/٢٠ - الإصابه ١٤١/١ و ٣٣٦/٣، ٣٥٧ و ٣٦/٦ - الغدير للأميني ١٥٨/٧ - تاريخ اليعقوبي ١٢/٢، ١١٠ - كتاب (الصديق أبو بكر) للأستاذ هيكل ص ١٥١ - الثقات ابن حبان ١٦٩/٢ - تاريخ مدينه دمشق ابن عساكر ٢٥٦/١٦، ٢٧٤ - أسد الغابه ٢٩٥/٤ - تاريخ أبي الفداء ١٥٨/١ - الكامل ٣٥٨/٢، ٣٥٩ - العقاد في عقبيره الصديق - معالم الفتن سعيد أيوب ٣٥٩/١ - الفتنه ووقعه الجمل الضبي ص ١١٥ - المعيار والموازنه للإسكافي ٢٧ - تاريخ خليفه بن خياط ٦٨/١ تحقيق د سهيل - الامامه والسياسه ابن قتيبه تحقيق الشيرى ٧١/١ تحقيق الزيني ٥١/١ - الاستغاثه ابو القاسم الكوفي ٩/٢ - لسان العرب ابن منظور ٦٦٩/١١ - تاج العروس الزبيدي ١٤١/٨ - الكامل ابن الأثير ١٠٠/٣ - السيره الحلبيه ٣٥٦/٣ - فلك النجاه على محمد فتح الدين الحنفي ١٢٩ - ثم اهتديت للتيجاني ١٣٩ - حقيقه الشيعة الاثني عشرية أسعد وحيد القاسم ٦٥ - أزمه الخلافه والامامه أسعد وحيد القاسم ١٠٣ - الانحرافات الكبرى سعيد أيوب ٤٦٠.

٢- (٢). عندها يصح زواج أمير المؤمنين على صلوات الله تعالى عليه من أم محمد بن الحنفية ولا يكون ذلك إقراراً لما فعله أبو بكر وخالد بن الوليد، وقد تعرضت لذلك كتب السير فلا حاجه للإعاده.

فى مصباح الزجاجة البوصيرى: (١)

وقال بعضهم كل حديث ورد فيه الحميراء ضعيف واستثنى من ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عبد الجبار ابن الورد عن عمار الذهبى عن سالم بن أبى الجعد عن أم سلمه قالت ذكر النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين فضحكت عائشه فقال انظرى يا حميراء ألا تكونى أنت ثم التفت إلى على فقال إن وليت من أمرها شيئاً فإرفق بها قال الحاكم صحيح على شرط البخارى ومسلم.

وفى كنز العمال للمتقى الهندى: (٢) «إن وليت من أمرها شيئاً فأرفق بها [يعنى عائشه]، قاله لعلى. وفى المستدرک للحاكم: (٣) هذا حديث صحيح وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.» وفى البدء والتاريخ مطهر بن طاهر المقدسى: (٤)

وكانت عائشه تؤلب على على وتطعن فيه وترى أنه سينخلع وكان هواها فى طلحه فيينا هى قد أقبلت من الحج راجعه استقبلها راكب فقال ما وراءك قال قد قتل عثمان قالت كأنى أنظر إلى الناس يبايعون طلحه وأن إصبغه يحسن أيديهم فجاء راكب آخر فقالت ما وراءك قال بايع الناس علياً قالت واعثماناه ما قتله إلا على وليله من عثمان خير من على الدهر كله وانصرفت إلى مكه وضربت فسطاطا فى المسجد.

وفى وفيات الأعيان لابن خلکان: (٥)

وقيل وقعت بين حيين من قريش منازعه فخرجت عائشه على بغله تصلح بينهما فلقبها ابن أبى عتيق فقال إلى أين جعلت فداك فقالت أصلح بين هذين الحيين فقال والله ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل بعد فكيف إذا قيل يوم البغل فضحكت وانصرفت.

وباقى مصادر الواقعه تجدها هنا. (٦)

ص: ٢٢٢

١- (١). مصباح الزجاجة، ٨١/٣.

٢- (٢). كنز العمال، ٧٧/١٢ ح ٣٤٣٧١.

٣- (٣). المستدرک، ١١٩.

٤- (٤). البدء و التاريخ، ٢٠٩/٥.

٥- (٥). وفيات الأعيان، ١٧/٣.

٦- (٦). وفيات الأعيان لابن خلکان ٥٩/٧- المنتظم (حتى ٧٥٢هـ-) لابن الجوزى ٧٥/٥ وما بعدها - تاريخ يعقوبى ١٨٠/٢ وما بعدها- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى أبو العباس الناصرى ٩٩/١ وما بعدها - الخصائص الكبرى السيوطى ٢٣٢/٢ و ٢٣٥- الصواعق المحرقة ابن حجر الهيتمى ٣٤٨/١- إمتاع الأسماع المقرئى ٢٢٧/١٣- ٢٢٨- معالم الفتن سعيد أيوب ٣٦٨/١- الاستيعاب لابن عبد البر ٣٦/١.

ولو أردت أن تعلم من المحرض على عثمان بن عفان فانظر في وفي إعلام الموقعين ابن قيم الجوزيه (فلما كانت خلافه عثمان اختلفوا في مسائل يسيره صحب الاختلاف فيها بعض الكلام واللوم كما لام على عثمان في أمر المتعه وغيرها ولامه عمار بن ياسر وعائشه في بعض مسائل قسمه الأموال والولايات). (١)

ودليل آخر أقدمه بين يديك وهو ما ورد على لسان النعمان بن بشير أحد أتباع معاويه بن أبي سفيان حيث دار بينها وبينه حوار من خلاله يتضح أنها كانت من رأس المحرضين على عثمان.. فعن النعمان بن بشير عن عائشه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعثمان: يا عثمان إن الله تعالى لعله أن يقمصك قميصاً فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه... فلما أخبر معاويه بن أبي سفيان بذلك لم يرض إلا أن تكتبه ففعلت ومن ضمن ما ذكر قال لها: غفر الله لك يا أم المؤمنين أفلا ذكرت هذا حين جعلوا يختلفون إليك؟ فقالت: نسيت حتى بلغ الله فيه أمره. (٢) والمهم أن هذه الروايه قد صححها ابن أبي عاصم (٣) على اختلاف ألفاظها وما جاء فيها من زيادات في بعض طرقها فراجع هناك..

والعجيب أن كل من طالب بدم عثمان هو الذي شرك في دمه، فقد روى المدائني (٤) في كتاب مقتل عثمان إن طلحه منع من دفنه ثلاثه أيام، وأن علياً عليه السلام لم يبايع الناس إلا بعد قتل عثمان بخمسه أيام، وأن حكيم بن حزام أحد بنى أسد بن عبد العزى وجبير بن مطعم بن الحارث بن نوفل استنجدا بعلي عليه السلام على دفنه، فأقعد طلحه لهم في الطريق ناسا بالحجاره، فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطا بالمدينه يعرف بحش كوكب كانت اليهود تدفن فيه موتاهم، فلما صار هناك رجم سريره، وهموا بطرحه، فأرسل على عليه السلام إلى الناس يعزم عليهم ليكفوا عنه، فكفوا، فانطلقوا به حتى دفنوه في حش كوكب... وروى الطبري نحو ذلك، إلا- أنه لم يذكر طلحه بعينه، وزاد فيه أن معاويه لما ظهر على الناس، أمر بذلك الحائط فهدم

ص: ٢٢٣

- ١- (١). إعلام الموقعين، ٢٥٩/١.
- ٢- (٢). فهذا يدل على أن الناس كانوا يختلفون إليها وهي تحرضهم ضده لأنه قال لها حين جعلوا يختلفون ولم يقل لها حين يختلفون إليك فالثاني يدل على المستقبل والأول يدل على الماضي، وهناك من رفع كلمه جعلوا ولكن يبقى احتمال الماضي ماضٍ لقولها: حتى بلغ الله فيه أمره.. فلا ابن سبأ ولا هذا النبأ وسيعلم من كذب وتجراً...
- ٣- (٣). في كتابه السنه ٥٥٩/٢-٥٦١. ويمكنك متابعه باقى المصادر فى: (موارد الظمان الهيشمى ٥٣٩- السنه الخلال ٣٢٦/٢ و٢٢٧- تهذيب الأسماء النووى ٣٠٠/١- علل الحديث ابن أبي حاتم ٣٦١/٢- تاريخ الخلفاء السيوطى ١٥٢- الموافقات الشاطبى ٢٦٥/٢- كنز العمال للمتقى الهندى ٣٤٤/١١ و٢٧/١٣- إمتاع الأسماع المقريزى ٢٠٢/١٣ و٢٠٣).
- ٤- (٤). نقل ذلك الكلام صاحب شرح النهج ابن أبي الحديد فى ٧/١٠.

حتى أفضى به إلى البقيع، وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حول قبره حتى اتصل ذلك بمقابر المسلمين. وروى المدائني قال دفن عثمان بين المغرب والعتمة، ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وابنه عثمان وثلاثة من مواليه، فرفعت أبنته صوتها تندبه، وقد جعل طلحه ناسا هناك أكرمهم كميناً، فأخذتهم الحجارة، وصاحوا: نعثل نعثل فقالوا: الحائط الحائط فدفن في حائط هناك. وروى الواقدي قال: لما قتل عثمان تكلموا في دفنه، فقال طلحه: يدفن بدير سلع... (١).

مصادر معركة صفين

في معركة صفين قال ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين: (٢)

وقد تقاتل أولياء الله في صفين بالسيوف ولما سار بعضهم إلى بعض كان يقال: سار أهل الجنة إلى أهل الجنة وكون ولي الله يرتكب المحذور والمكروه متأولاً أو عاصياً لا يمنع ذلك من الإنكار عليه ولا يخرج به عن أصل ولا يه الله... .

بينما نقل في جمهره خطب العرب (٣) خطبه الإمام علي عليه السلام فقال:

وقام الإمام علي خطيباً على منبره يحرض الناس ويأمرهم بالمسير إلى صفين لقتال أهل الشام، فقال سيروا إلى أعداء الله، سيروا إلى أعداء القرآن والسنن، سيروا إلى بقيه الأحزاب وقتله المهاجرين والأنصار... .

وكذلك فيه: (٤)

خطبه عمار بن ياسر وقام عمار بن ياسر يوم صفين فقال انهضوا معي عباد الله إلى قوم يزعمون أنهم يطلبون بدم ظالم إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان الأمرون بالإحسان فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم ولو درس هذا الدين لم قتلتموه فقلنا لأحداثه فقالوا إنه لم يحدث شيئاً وذلك لأنه مكنهم من الدنيا... .

فأنت حرّ فيمن تصدّق، أتصدّق قول أمير المؤمنين علي عليه السلام أم غيره!-

وللمزيد حول صفين وأطرافها يمكنك التعرف أكثر من خلال قراءة المصادر التالية. (٥)

ص: ٢٢٤

- ١- (١). الغدير، ج ٩، ص ٩٣.
- ٢- (٢). مدارك السالكين، ١/٥٠٠.
- ٣- (٣). جمهره خطب العرب، أحمد زكي صفوت ١/٣١٤.
- ٤- (٤). نفس المصدر، السابق ١/٣٥٧.
- ٥- (٥). بغية الطلب في تاريخ حلب ابن العديم ١/٢٧٩ وما بعدها..- البدء والتاريخ مطهر بن طاهر المقدسي ٥/٢١٧ وما بعدها..- المنتظم (حتى ٥٧٥٢هـ-) ابن الجوزي ٥/٩٧ وما بعدها..- العبر في خبر من غير الذهبى ١/٣٨ وما بعدها..- تاريخ يعقوبى ٢/١٨٧- الكامل ابن الأثير ٣/١٦١ و ١٦٧ و ٣/١٧٢ و ٣/٢٠٠ و ٣/٢٢٥- الجامع الأزدي ٢/٢٣٥- أبو نعيم في حليه الأولياء ٢/٨٦- كذبوا على

الشيعة سيد محمدرضوى ١٩٧-الخطط السياسيه أحمد حسين يعقوب ٥٦ و ٢٢٥ و ٣٠٩ و ٣٥٤ و ٣٦٥- نظريه عداله الصحابه أحمد حسين يعقوب ٤٦- الدر المنثور فى التفسير المأثور ٧١- مروج الذهب للمسعودى ١٤/٣- وراجع العقد الفريد ٢٩/٤- وقعه صفين لنصر بن مزاحم ٨٢ وما بعدها- شرح النهج ١/٢٥٦ و ٣٦١- تذكره الخواص للسبط الجوزى ٦٣- المواجهه أحمد حسين يعقوب ٩٣- جمهره الرسائل ٢/٤٩ و ٥٧- كتاب صفين ٣٦٠- شرح النهج ١/٥٠٤- خلاصه المواجهه أحمد حسين يعقوب ٢٩- صفين لنصر بن مزاحم ١١٢- العقد الفريد ٢/٢٩٠- كتاب صفين ٢٠-٢٤- الكامل للمبرد ١/٢٢١- شرح النهج ١/١٣٦-١٣٨- تاريخ اليعقوبى ١/١٦١- قصص العرب ٢/٣٦٣- أين سنه الرسول وماذا فعلوا بها؟ أحمد حسين يعقوب ٩٩- صفين لنصر بن مزاحم ١١٨- ١١٩- لقد شيعنى الحسين عليه السلام إدريس الحسينى ٤٦- لقد شيعنى الحسين عليه السلام إدريس الحسينى ٨٢- لقد شيعنى الحسين عليه السلام إدريس الحسينى ٢٤١- حقيقه الشيعة الاثنى عشرية أسعد وحيد القاسم ٦٩- أزمه الخلافه والإمامه أسعد وحيد القاسم ١١٣- الإمامه والقياده الدكتور أحمد عز الدين ١١٥- الطريق إلى مذهب أهل البيت دكتور أحمد راسم النفيس ٧٤- الانحرافات الكبرى سعيد أيوب ٤٦٨- معالم الفتن سعيد أيوب ١/٤٥٦ و ١٩/٢- وجاء الحق سعيد أيوب ٦٠- منهج فى الانتماء المذهبى صائب عبد الحميد ٢٣٥- الخدعه صالح الوردانى ٧١- الشيعة فى مصر صالح الوردانى ٨٨- دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين صالح الوردانى ٢٧- عقائد السنه وعقائد الشيعة صالح الوردانى ٣٢- دعوه إلى سبيل المؤمنين طارق زين العابدين ١٣٥- بنور فاطمه (عليها السلام) اهتديت عبد المنعم حسن ١٦٣- قراءه فى مسار الأموى مروان خليفات ١٤- الصحابه فى حجمهم الحقيقى الهاشمى بن على ٩- إمتاع الأسماع المقريزى ٥/٢٩٨ و ٦/٢١٦- الإصابه ٥/٥٤). شذرات الذهب ابن العماد ١/٤٤- تاريخ الدوله العثمانيه محمد فريد ٢٧- تاريخ خليفه بن خياط ١٩١ و ١٩٣- تخريج الدلالات السمعيه الخزاعى ٩٦- الإمامه والسياسه ابن قتيبه الدينورى ١/٨٨ و ١١٩- السيره الحلبيه الحلبي ١/٤٦٣ و ٢/٢٦٣ و ٢٦٥- ذخائر العقبى فى مناقب ذوى القربى الطبرى ٩٨- الخصائص الكبرى السيوطى ٢/٢٣٤ و ٢٣٩- فصول من السيره ابن كثير ٢١٢- وسيله الإسلام ابن قنفذ القسطنطينى ٧٩.

أما من شهد مع علي عليه السلام فكان من الصحابه ألفين وثمانمائه، منهم ما لا يقل عن ثمانين أو تسعين بدرياً، مائتين وخمسين أو ما لا- يقل عن مائتين ممن بايع تحت الشجرة، وما لا- يقل عن مائتين وهناك من قال إنهم سبعمائه، وأربعمائه من سائر المهاجرين والأنصار، والباقي من سائر من ثبتت له مع النبي صلوات الله تعالى وآله صحبه، وشهد معه من التابعين ثلاثه شهد لهم رسول الله صلوات الله تعالى عليه وآله بالجنه وهم: أويس القرني وزيد بن صوحان وجندب الخير، فأما أويس القرني فقتل في رجاله يوم صفين وأما زيد بن صوحان فقتل يوم الجمل.. وعن الأصمغ بن نباته عن علي بن أبي طالب رحمه الله أنه قال يوم صفين: من يبايعني على الموت فقام تسعه وتسعون رجلاً فبايعوه فقال أين التمام الذي وعدت فقام إليه رجل من أخريات الناس محلوق الرأس عليه أطمار من صوف فبايعه فإذا هو أويس القرني (٢)

ص: ٢٢٥

١- (١). بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ٣١٢/١- البدء والتاريخ مطهر بن طاهر المقدسي ٢١١/٥- تاريخ يعقوبى ١٨٨/٢- الانحرافات الكبرى سعيد أيوب ٤٦٨- مروج الذهب ٤١/٣- البدايه ٢٥٥/٧- معالم الفتن سعيد أيوب ٧٤/٢- مروج الذهب ٣٦١/٢- معالم الفتن سعيد أيوب ٧٤/٢- السيف والسياسه صالح الوردانى ١٢٧- التدوين فى أخبار قزوين القزوينى ١٩٣/١- تالى تلخيص المتشابه الخطيب البغدادى ٥٠٣/٢- شرح الزرقانى ١٥٨/٣- البدء والتاريخ مطهر بن طاهر المقدسي ٢١٠/٥- بغية الطلب فى تاريخ حلب لابن العديم ٣١١/١ و ٣١٢.

٢- (٢). المستدرک الحاکم النيسابورى ٤٠٣/٣- سير أعلام النبلاء الذهبى ٣٣/٤- الإصابه ابن حجر ٣٦١/١- انساب الأشراف

فقاتلوا فقتلوا.. وممن كان معه صلوات الله تعالى عليه عمّار وخزيمه ذو الشهداءتين (١) ولم يسلم سيفه حتى استشهد عمار فجرد سيفه فقاتل حتى قتل عليه وعلى جميع الشهداء الرحمه والرضوان. (٢)

أمّا من كان مع معاويه من الأنصار فالنعمان بن بشير ومسلمه بن مخلد، وكان معه أيضاً عمرو بن العاص والمغيره بن شعبه وأبو هريره الذى لم يكن مع المقاتلين وكان ملتزماً بثّ الأحاديث لأنه جهاز دعايته... .

وأما أهل الشام (٣) ففيهم غفله وقله فطنه، يجهلون الدين وتاريخه ومن بناه، ولا يعرفون من ذلك إلا ما زقهم به أميرهم، فكان يأمرهم فيطيعوا، ٤ لذلك صدقوا قول عمرو بن العاص أن علياً عليه السلام هو الذى قتل عمار بن ياسر حين أخرجه لنصرته. ومما يشير الدهشه أن معاويه تحدّث عن أتباعه أن: «أبلغ علياً أنى أقاتله بمائه ألف ما فيهم من يفرق بين الناقه والجمل». وفعلا هم كذلك بل لا يفرقون بين الجمعة والأربعاء إذ أنه صلى بهم الجمعة يوم الأربعاء ٥ وذلك عند مسيره إلى صفين.. وقد أشار إلى هذا الأمر المقرئى ٦ ولم يصرح به ولكن نقل هذا الأمر غيره بصراحه تامه.

وعلى هذا فانت تحكم على ابن تيميه عندما تعرض إلى أصحاب على عليه السلام وأصحاب معاويه الذين أطلق عليهم العثمانيون والذين هم طلبوا بدم عثمان. ٧

ص: ٢٢٦

١- (١) . والواقع أن أرض المعركه هى بنفسها محكمه فإذا لم ينفع عمار ذو الشهاده الواحده أتاكم ذو الشهداءتين وإن كان أمير المؤمنين عليه السلام نفس الرسول بموجب القرآن ولا يحتاج إلى شاهد ولكن إذا قبلنا ذلك تنزلاً فكم شاهد تريدون؟
٢- (٢) . الاستيعاب ابن عبد البر ٢/٤٤٨- موضح أوهام الجمع والتفريق الخطيب البغدادى ١/٢٦٤- بغيه الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٧/٣٢٥٠ و٣٢٥٤- الكامل ابن الأثير ٣/٢٠٠- الإمامه وأهل البيت محمد بيومى مهران ١/٣٩٣- الإصابه ١/٤٢٦- معالم الفتن سعيد أيوب ٢/١٠٠.

٣- (٣) . هذا الكلام قاله بحقهم أهل السير وليس كلامى فقد آليت على نفسى ألا جرح مشاعر الآخرين.

قال الحسينى فى الإكمال عند الحديث عن عمار: (٢) حرف الغين أبو الغادية الجهنى (٣) واسمه يسار بن سيع وقيل غير ذلك سكن الشام ونزل واسط عداد فى الشاميين أدرك النبى عليه السلام [صلوات الله تعالى عليه وآله] وهو غلام وسمع منه قوله لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وكان محباً لعثمان وهو قاتل عمار بن يسار وكان إذا استأذن على معاويه وغيره يقول قاتل عمار بالباب يتجح بذلك فانظر إلى العجب يروى عن النبى عليه السلام [صلوات الله تعالى عليه وآله] النهى عن القتل ثم يقتل مثل.

وجاء فى علل الحديث لابن أبى حاتم: (٤) «... سألت أبى عن حديث رواه هشام بن عمار عن سعيد ابن يحيى اللخمي عن حسان بن دينار عن كلثوم بن جبر عن أبى الغادية عن النبى صلى الله عليه [وآله] وسلم قال قاتل عمار فى النار وهو الذى قتله».

ورد فى البخارى كتابى الصلاه والجهاد والسير: ح/ (٢٤٨، ٢٤٠١) (٥)، وفى مسلم كتاب الفتن ح/ (٥١٩٣، ٥١٩٤):

حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْحِذَّاءِ عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ وَلَائِبِهِ عَلِيٌّ انْطَلَقَا إِلَى أَبِي سَعِيدٍ فَأَسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ فَأَنْطَلَقْنَا فَإِذَا هُوَ فِي

ص: ٢٢٧

١- (١). (البلاذرى الأنساب ج ٥ ص ٥٤- تاريخ اليعقوبى ج ٢ ص ١٥٠، ١٦٢، ١٧٢- الكامل فى التاريخ ج ٣ ص ٥٦، ١١٣- تاريخ الطبرى ج ٤ ص ٢٨٣- مروج الذهب للمسعودى ج ٢ ص ٣٣٩، ٣٤١- الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ٢٣٢- فتح البارى ج ٣ ص ٢١٢، ٢١٣- أنساب الأشراف للبلاذرى ج ٥ ص ٥٢، ٥٥- شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ج ٣ ص ٥٢ و ٥٣ ج ٨ ص ٢٥٢، (٢٤٢).

٢- (٢). الإكمال، ص ٥٤١ وللمزيد راجع أطراف الحادثه فى الهامش اللاحق.

٣- (٣). منهاج السنه النبويه ابن تيميه ٢٠٥/٦، ٣٣٣- منهاج السنه النبويه ابن تيميه ٥٥/٧- صفه الصفوه ابن الجوزى ١/٤٤٦- الكنى والأسماء مسلم ١/٦٦٩- المقتنى فى سرد الكنى الذهبى ٣/٢- الاستيعاب ابن عبد البر ٣/١١٣٩- علل الحديث ابن أبى حاتم ٢/٤٢١- بغيه الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ١٠/٤٥٤٨، ٤٦٧١- مسائل الإمام أحمد د. فضل الرحمن دين محمد/١٩٣- مقتل الشهيد عثمان الملقى/٢٢٤- الروض الأنف أبى محمد المعارفى المدخله ٤/١١٧- جواهر العقود الأسيوطى ١/٢٨٧- معالم الفتن سعيد أيوب ١/٣٥٩، ٩٧/٢- منهج فى الانتماء المذهبى صائب عبد الحميد/٢٩٦- وقفه مع الدكتور البوطى هشام آل قطيب/١٤٥- مسند أبى داود الطيالسى ص ٢٢٣، ٢٩٣- مسند ابن راهويه ٤/١٤٦- الآحاد والمثانى الضحاك ٥/١٧٢- السنن الكبرى النسائى ٥/١٥٥، ١٥٦- خصائص أمير المؤمنين عليه السلام النسائى/١٣٢، ١٣٣، ١٣٥- مسند أبى يعلى ٣/٢٠٩ و ١٢/٤٥٥ و ١٣/١٢٣، ٣٣١- مسند ابن حبان ١٥/٥٥٥- المعجم الأوسط الطبرانى ٧/٢٩١ و ٨/٤٤٤- المعجم الكبير الطبرانى ٥/٢٢١ و ٢٣/٣٦٣- الجامع الصغير جلال الدين السيوطى ٢/٧١٨، ١٧٨- كنز العمال ٩/١٦٩ و ١١/٣٦٧، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٥، ٧٢٧ و ١٣/٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨- شرح

مسند أبي حنيفة ملا-على القارى/٢٤٥- فيض القدير شرح الجامع الصغير المناوى ٤/٤٧٤ و ٦/٤٧٤- كشف الخفاء العجلونى
٢/٣٤٦- دفع الارتياب عن حديث الباب على بن محمد العلوى/٣٧- التوفيق الربانى جماعه من العلماء /٨٦، ٨٧- البدايه والنهائيه
ابن كثير ٣/٢٦٣-٢٦٥ و ٧/٣٤٠، ٣٠٠- تاريخ ابن خلدون ق ٢ ح ٢/١٧٤، ١٦٢- نحو إنقاذ التاريخ الإسلامى حسن بن فرحان
المالكى /٢٤٢.

٤- (٤) . علل الحديث، ٢/٤٢١.

٥- (٥) . الصلاه و الجهاد و السير، ص ٤٢٨، ٢٦٠١.

حَائِطٍ يُصْرِحُهُ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَاحْتَبَى ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى أَتَى ذِكْرَ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ فَقَالَ كُنَّا نَحْمِلُ لَبْنَهُ لَبْنَهُ وَعَمَّارٌ لَبْنَتَيْنِ لَبْنَتَيْنِ فَرَأَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ وَيَقُولُ وَيُحِجُّ عَمَّارٌ تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْيَاغِيَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ قَالَ يَقُولُ عَمَّارٌ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ. (١)

وفى الكامل لابن الأثير (٢) نقل ما جرى بين معاوية ورسول علي عليه السلام :

أما الجماعه التي دعوتهم إليها فمعنا هي وأما الطاعه لصاحبكم فإننا لا نراها لأن صاحبكم قتل خليفتنا وفرق جماعتنا وآوى ثأرنا وصاحبكم يزعم أنه لم يقتله فنحن لا- نرد عليه ذلك فليدفع إلينا قتله عثمان لقتلهم ونحن نجيبكم إلى الطاعه والجماعه فقال شبت بن ربيع أيسرك يا معاوية أن تقتل عمارا فقال وما يمنعني من ذلك لو تمكنت من ابن سمييه لقتلته بمولى عثمان فقال شبت والذي لا إله غيره لا تصل إلى ذلك حتى تنذر الهام عن الكواهل وتضيق الأرض الفضاء عليك فقال معاوية لو كان ذلك لكانت عليك أضيق وتفرق القوم عن معاوية وبعث معاوية إلى زياد بن خصفه فخلا به وقال له يا أخا ربيعه إن عليا قطع أرحامنا وقتل إمامنا وآوى قتله صاحبنا وإني أسألك النصر عليه بعشيرتك ثم لك عهد الله وميثاقه أنى أوليك إذا ظهرت أى المصريين أحببت فقال زياد أما بعد فإنى على بينه من ربي وما أنعم الله على فلن أكون ظهيرا للمجرمين وقام فقال معاوية لعمر بن العاص ليس نكلم رجلا منهم فيجيب.

مصادر قتل حجر بن عدى رضوان الله تعالى عليه

راجع ما جاء عن حجر رضوان الله تعالى عليه فى هذه المصادر. (٣)

ص: ٢٢٨

- ١- (١). مسلم كتاب الفتن، ح ٥١٩٣، ٥١٩٤.
- ٢- (٢). الكامل، ١٧٣/٣.
- ٣- (٣). الأغاني الأصفهاني ١٣٧/١٧-١٥٨- التاريخ الكبير البخارى ٧٢/٣- تاريخ الطبرى ٢٧٩/٥- التمهيد ابن عبد البر ٢٤/٢٤- ٤٥- بغية الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ١١١/٥- ٢١٣٦- البدء والتاريخ مطهر بن طاهر المقدسى ١٠٨/٥ و ٥/٦- المنتظم (حتى ٥٧٥٢-) ابن الجوزى ٢٤١/٥- ٢٤٦- العبر فى خبر من غبر الذهبى ٥٧/١- تاريخ اليعقوبى ٢٣٠/٢- ٢٣١- الكامل ابن الأثير ٣٢٦/٣- ٣٤٢ و ٤٢٠ و ٣٨/٤ و ٤٩ و ٧٣- شذرات الذهب ابن العماد ٥٧/١- الفتنه ووقعه الجمل الضبى ١٤٣- فتوح البلدان البلاذرى ٢٩٩ و ٤٠١- العواصم من القواصم المالكي ٢١٩- تاريخ خليفه بن خياط ١٩٤ و ٢١٣- الطبقات ابن خياط ٢٧- السيره الحلبيه الحلبي ١٦٢/٣- وسيله الإسلام ابن قنفذ القسطنطينى ٨٠- الروض الأنف أبى محمد المعارفى المدخله ٣/٣٦٦ و ١٨٤/٤- كنز العمال للمتقى الهندى ٢٠٥/١١- البدايه والنهايه لابن كثير ١٤١/٨- الكامل لابن الأثير ٣/٤٨٧- الاستيعاب ابن عبد البر ١/٣٥٨- شرح نهج البلاغه ابن أبى الحديد ٣/١٨١- نصر بن مزاحم المنقرى وقعه صفين تحقيق عبد السلام هارون ص ١٠٣ و ١٠٤- أسد الغابه ٢١٧/٤- ٢١٨- المنتخب من الصحاح الستة محمد حياه الأنصارى ١٢١- مفهوم التقيه فى الفكر الإسلامى هاشم الموسوى ٣٣- الإمامه وأهل البيت محمد بيومى مهراڻ ١/٢٣٤ و ٣٨٣ و ٣٨٩- مشاهد ومزارات آل البيت عليهم السلام فى الشام هاشم عثمان ١١٢- أبناء الرسول فى كربلاء خالد محمد خالد ٦٦- على خطى الحسين عليه السلام الدكتور أحمد راسم

النفيس/٢١ و٤٨ و٦١ و١٢٩- ابن تيميه فى صورته الحقيقيه صائب عبد الحميد/٢٤- مساحه للحوار أحمد حسين يعقوب/٢٥٤-
نظريه عداله الصحابه أحمد حسين يعقوب/١٠٤ و١٢٦- ثم اهتديت الدكتور محمد التيجانى/١٢٨ و١٤٤- لأ-كون مع الصادقين
الدكتور محمد

وقد حمل ابن قيم الجوزيه (١) على التأويل شر محمله فقال:

فما امتحن الإسلام بمحنه قط إلا وسببها التأويل فإن محنته إما من المتأولين وإما أن يسלט عليهم الكفار بسبب ما ارتكبوا من التأويل وخالفوا ظاهر التنزيل وتعللوا بالأباطيل فما الذى أراق دماء بنى جذيمه [أى على يد خالد بن الوليد ولم يصرح باسمه ترفيعاً لرتبه الصحبه] وقد أسلموا غير التأويل حتى رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وتبرأ إلى الله من فعل المتأول بقتلهم وأخذ أموالهم! وما الذى أوجب تأخر الصحابه رضى الله عنهم يوم الحديبيه عن موافقه رسول الله صلى الله عليه وسلم غير التأويل حتى اشتد غضبه لتأخرهم عن طاعته حتى رجعوا عن ذلك التأويل؟ وما الذى سفك دم أمير المؤمنين عثمان (٢) ظلماً وعدواناً، وأوقع الأمه فيما

ص: ٢٢٩

١- (١). فى إعلام الموقعين ٢٥١/٤.

٢- (٢). لا تقولوا عبد الله بن سبأ لأن أم المؤمنين عائشه هى التى ألبت عليه وغيرها من الصحابه وإن شئت راجع إعلام الموقعين ابن قيم الجوزيه ٢٥٩/١ قال هناك: (بعضاً على اجتهاده من غير ذم ولا طعن فلما كانت خلافه عثمان اختلفوا فى مسائل يسيره صحب الاختلاف فيها بعض الكلام واللوم كما لام على عثمان فى أمر المتعه [فإذن تستنتج أن متعه الحج لم تكن حراماً لأن اللوم وقع زمان عثمان من على عليه السلام] وغيرها ولاعه عمار بن ياسر وعائشه فى بعض مسائل قسمه الأموال والولايات) فيكون عبد الله بن سبأ هو عمار وعائشه هى عائشه أم المؤمنين، وعمار من اليمن واليمن فيها سباً وفيها شيعه على عليه السلام واسم أخيه عبد الله واسم ابنه عبد الله هذا هو التاريخ، فيكون عمار هو ابن السوداء واليهودى الذى أسلم وضحك على الأصحاب الذين لم يذكر التاريخ أن أحداً منهم قد خولط ولكن التاريخ يذكر أنهم قد ضحك عليهم، والدليل على ما ذكرت لك تجده فى منهاج السنه النبويه ابن تيميه ٣٣٤/٤: (وإذا كان ذلك فإذا ثبت أن شخصاً من الصحابه إما عائشه وإما عمار بن ياسر وإما غيرهما كفر آخر من الصحابه كعثمان أو غيره أو أباح قتله على وجه التأويل كان هذا من باب التأويل المذكور ولم يقدح ذلك فى إيمان واحد منهما ولا فى كونه من أهل الجنه...). فتبين أن الذى كفر عثمان من مثل عمار وعائشه ولكن نسي ابن تيميه أنه نقل فى أحد كتبه أن عماراً لم يكفر أهل صفين مع أنهم قاتلوه فكيف يكفر عثمان؟ إلا- إذا ارتكب عثمان ما يوصل غيره على هذه النتيجة وهى التكفير!! نعم قال فى منهاج السنه النبويه ابن تيميه ٢٤٦/٥- (أقبل رجل على عمار بن ياسر فقال: كفر والله أهل الشام فقال عمار: لا تقل ذلك فقبلتنا واحده وبنينا واحد ولكنهم قوم مفتونون فحق علينا قتالهم حتى يرجعوا إلى الحق ... وقال: لا تقولوا كفر أهل الشام قولوا فسقوا قولوا ظلموا، ولذا ينقل عن محمد بن نصر أنه قال: وهذا يدل على أن الخبر الذى روى عن عمار ابن ياسر أنه كفر عثمان بن عفان خبر باطل لا يصح لأنه إذا أنكر كفر أصحاب معاويه وهم إنما كانوا يظهرون أنهم يقاتلون فى دعم عثمان فهو لتكفير عثمان أشد إنكاراً وقال ابن تيميه: قلت والمروى فى حديث عمار أنه لما قال ذلك أنكر عليه على رضى الله عنه وقال: أتكفر برب آمن به عثمان وحدثه بما يبين بطلان ذلك القول فيكون عمار إن كان قال ذلك متأولاً فقد رجع عنه حين بين له على رضى الله عنه أنه قول باطل) فعلى

أوقعها فيه حتى الآن غير التأويل وما الذى سفك دم على رضى الله عنه وابنه الحسين وأهل بيته رضى الله تعالى عنهم غير التأويل وما الذى أراق دم عمار بن ياسر وأصحابه غير التأويل وما الذى أرق دم ابن الزبير وحجر بن عدى وسعيد بن جبير وغيرهم من سادات الأمة ١ غير التأويل.

مصادر مقتل محمد بن أبى بكر رضوان الله تعالى عليه

٢

أمسك معاوية ابن خديج بمحمد بن أبى بكر رضوان الله تعالى عليه فقال له: أتدرى ما أصنع بك أدخلك جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار فقال محمد: إن فعلت بى ذلك فلطالما فعلتم ذلك بأولياء الله وإنى لأرجو أن يجعلها عليكم وعلى أولياءكم ومعاوية وعمرو ناراً تلظى كلما خبت زادها الله سعيراً فغضب منه وقتله ثم ألقاه فى جيفه حمار ثم أحرقه بالنار، فلما بلغ ذلك عائشه جزعت عليه جزعاً شديداً وقتت فى دبر الصلاه تدعو على معاوية وعمرو وأخذت عيال محمد إليها فكان القاسم بن محمد بن أبى بكر فى عيالهم... ولما بلغ معاوية [بن أبى سفيان] قتله أظهر الفرح والسرور، وبلغ علياً قتله وسرور معاوية فقال: جزعنا عليه على قدر سرورهم لا بل يزيد أضعافاً... وفى حياه الحيوان: ذكر ابن خلكان وغيره أن على بن أبى طالب ولى محمد بن أبى بكر مصر فدخلها سنه سبع وثلاثين، وأقام بها إلى أن بعث معاوية ابن أبى سفيان عمرو بن العاص فى جيوش أهل الشام (إلى أن قال) فأمر معاوية (ابن خديج) وكان من عسكر عمرو بن العاص فدخلوا على (محمد) وربطوه بالحبال، وجروه على الأرض، وأمر معاوية أن يجر فى الطريق، وأمر به أن يحرق بالنار فى جيفه (حمار). ووجد عليه على بن أبى طالب وجداً عظيماً. وقال: كان لى ربيبا وكنت أعده ولداً ولابنى أخوا. وذلك لأنه عليه السلام كان قد تزوج أمه أسماء بنت عميس بعد وفاه أبى بكر ورباه.. وما يدل على أنه هو القاتل ما جاء فى التاريخ الصغير (الأوسط) ٣ حيث دخل معاوية على عائشه فقالت: يا معاوية قتلت حجراً وأصحابه أما خشيت أن أخبأ لك رجلاً فيقتلك بقتل أخى؟ قال لا إنى فى بيت أمان....

ص: ٢٣٠

جاء في تاريخ الطبري: (١) فخرج الأشر من عند علي [صلوات الله تعالى عليه] فأتى رحله فتهيأ للخروج إلى مصر وأتت معاويه عيونه فأخبروه بولايه علي للأشر فعظم ذلك عليه، وقد كان طمع في مصر فعلم أن الأشر إن قدمها كان أشد عليه من محمد ابن أبي بكر فبعث معاويه إلى الجايستار - رجل من أهل الخراج - فقال له: ان الأشر قد ولي مصر فان أنت كفتيته لم آخذ منك خراجا ما بقيت فاحتل له بما قدرت عليه فخرج الجايستار حتى أتى القلزم وأقام به وخرج الأشر من العراق إلى مصر فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار فقال: هذا منزل وهذا طعام وعلف وأنا رجل من أهل الخراج فنزل به الأشر فأتاه الدهقان بعلف وطعام حتى إذا طعم أتاه بشربه من غسل قد جعل فيها سما فسقاه إياه فلما شربها مات وأقبل معاويه يقول لأهل الشام إن علياً وجه الأشر إلى مصرفا فادعوا الله أن يكفيكموه، قال: فكانوا كل يوم يدعون الله على الأشر وأقبل الذي سقاه إلى معاويه فأخبره بمهلك الأشر فقام معاويه في الناس خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فإنه كانت لعلي ابن أبي طالب يدان يمينان قطعت إحداهما يوم صفين يعني عمار بن ياسر وقطعت الأخرى اليوم يعني الأشر. وقال البخاري (٢) في ترجمته: بعث علي عليه السلام الأشر أميراً على مصر حتى بلغ قلزم فشرب شربه من غسل فكان فيها حتفه فقال: عمرو بن العاص إن الله جنودا من غسل. وقال صاحب معرفه الثقات (٣) فيه: مالک بن الأشر النخعي كوفي تابعي ثقة. وفي الجرح والتعديل: (٤) (٩١٠) مالک بن الحارث الأشر النخعي روى عن علي رضي الله عنه. وفي تاريخ مدينه دمشق لابن عساكر (٥) نقلاً عن كتاب العجلي المتقدم. مالک الأشر النخعي كوفي تابعي ثقة... .

وقد أوردت مصادر عده كما تقدم لترى ذكر الرجل بنفسك فهناك من يسكت وهناك

ص: ٢٣١

-
- ١- (١). تاريخ الطبري، ٧١/٤.
 - ٢- (٢). التاريخ الكبير ٣١١/٧.
 - ٣- (٣). ٢٥٩/٢ للحافظ العجلي دراسه وتحقيق عبد العليم عبد العظيم البستوى الطبعة الأولى الناشر مكتبه الدار بالمدينه المنوره.
 - ٤- (٤). الجرح و التعديل، الرازي ٢٠٧/٨.
 - ٥- (٥). تاريخ مدينه دمشق، ٣٧٧/٥٦.

من يشوش وهناك من يجمل كل ذلك لأنه كان من أصحاب على صلوات الله تعالى عليه. (١)

مصادر مقتل عمرو بن الحمق رضوان الله تعالى عليه

أما أول رأس أهدى في الإسلام فهو عمرو بن الحمق أهدى إلى معاوية بالشام ويقترن اسم هذا الصحابي الجليل برجالات عرفوا بالتدين والولاء لمحمد وآله صلوات الله تعالى عليه وآله كمحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر وصعصعه بن صوحان العبدى ورفاعة بن شداد ورشيد الهجرى وسعيد بن جبير وميثم التمار، وارتباطهم من حيث كونهم من المنكل بهم من قبل الأمويين وأتباعهم، فهب أنهم قالوا في قسم منهم أنهم شاركوا في قتل عثمان ولكن لم يعطوا مبرراً واحداً تستباح به حرمة غيرهم، إلا أن أحدهم قد برر جواز قتل واحد من الصحابة مثلاً للحفاظ على صلاح المجموع، وأما المصادر التي تعرفك على شخصيه هذا الصحابي والمجاهد المحتسب تجدها هنا. (٢) واتهموه بأنه قد طعن عثمان تسع طعنات، والصقوا تهمة النهب والسلب بمن ثار، والواقع أنهم ثاروا لأنه تصرف بالأموال بغير حق فكيف ينهبوه؟ وعلى كل حال مناقشه هذه الواقعة تحتاج إلى عرض خاص.

ص: ٢٣٢

١- (١). تاريخ مدينة دمشق ابن عساكر ٣٨٨/٥٦ - معجم البلدان الحموى ١/٤٥٤ - ذكر أخبار إصبهان الحافظ الاصبهاني ٣١٨/٢.
٢- (٢). زاد المعاد ابن قيم الجوزية ٢/٤٠٤ - الأوائل ابن أبي عاصم ١٠٨ - السنه عبد الله بن أحمد ٢/٥٥٨ - جمهره خطب العرب أحمد زكى صفوت ١/٣٢١ و ١/٣٨٣ و ٢/٤٤١ و ٢/١٤٦ و ٢/٤٣٩ - صبح الأعشى فى صناعه الإنشأ القلقشندى ١/٣٠٢ - الأغاني الأصفهاني ١٧/١٤١ و ١٤٧ - الجامع للأزدى ٢/٥٤ - التاريخ الصغير (الأوسط) البخارى ١/١٠٥ - مشاهير علماء الأمصار ابن حبان ٥٥ - المغنى فى الضعفاء الذهبى ١/٣٠٨ - الكاشف الذهبى ٢/٧٥ - الاستيعاب ابن عبد البر ٢/٧١٦ و ٣/١١٧٣ - دلائل النبوه الأصبهاني ١٧٣ - بغيه الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٦/٢٩٨٩ - بغيه الطلب فى تاريخ حلب ابن العديم ٨/٣٦٧٢ و ٨/٣٧١٨ و ١٠/٤٤٨١ - البدء والتاريخ مطهر بن طاهر المقدسى ٥/١٠٩ - طبقات الشافعيه الكبرى السبكي ١٠/١٢٠ - التحفه اللطيفه فى تاريخ المدينه الشريفه السخاوى ١/٤٣ - مسائل الإمام أحمد د. فضل الرحمن دين محمد ٣٣٠ - تاريخ يعقوبى ٢/٢٣٠ - الكامل ابن الأثير ٣/٦٨ و ٢٨٨ - ٢٩٠ و ٣٢٨ - ٣٣٠ - تاريخ خليفه بن خياط خليفه بن خياط ٢١٢ - مقتل الشهيد عثمان الملقى ١٤٢ و ٢٢٥ - الأوائل الطبرانى ١٠٦ - الإمامه والسياسه ابن قتيبه ١/١٤٦ - السيره الحلبيه ٣/١٥٧ - الخصائص الكبرى السيوطى ٢/٣٦ و ٢/٢٤١ - كتاب تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل الباقلانى ٥٢٦ - عثمان بن عفان ذو النورين لمحمد رضا ١٥٩ - أبصار العين فى أنصار الحسين عليه السلام الشيخ محمد السماوى ١٧٣ - أصل الشيعة وأصولها الشيخ كاشف الغطاء ٣١٨ - كذبوا على الشيعة سيد محمد رضوى ٣٣١ - الإمامه وأهل البيت محمد بيومى مهران ١/٢٣٤ - ٢٤٠ و ٢/٣٦ - مساحه للحوار أحمد حسين يعقوب ٢٥٣ - نظريه عداله الصحابه أحمد حسين يعقوب ١٠٤ - لقد شيعنى الحسين عليه السلام إدريس الحسينى ٢٢٢ - معالم الفتن سعيد أيوب ١/٤١٨ و ٢/٢٢٦ - السيف والسياسه صالح الوردانى ١٣٣ - إمتاع الأسماع المقريزى ٤/٢٤٢ و ١١/٣٤٨ و ١٢/٢٢١١٤ و ١٠٦ - الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل الزمخشري ١/٣٥٦).

(١)

علماً أنه من أتباع بنى أميه وكان بيده لواء معاوية يوم صفين وكان أخوه مهاجر مع علي صلوات الله تعالى عليه وغزا عبد الرحمن الروم غير مره... جاء في أعيان الشيعة السيد محسن الأمين: (٢)

قال ابن الأثير في الكامل ٧٠/٣: إن سعيد بن العاص والى الكوفة من قبل عثمان كان قد تنازع مع جماعه من أهل الكوفة فكتب فيهم إلى عثمان فكتب إليه عثمان أن يلحقهم بمعاوية بالشام فتنزعوا معه فكتب إلى عثمان فيهم فأمره أن يردهم إلى سعيد بن العاص بالكوفة ففعل فأطلقوا ألسنتهم فضج سعيد منهم إلى عثمان فكتب إليه أن يسيرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد بحمص ففعل فكان فيهم الأشر وثابت بن قيس الهمداني وكميل بن زياد وزيد بن صوحان وأخوه صعصعه وعمرو بن إسحاق وجندب بن زهير وجندب بن كعب وغيرهم....

كل ذلك بسبب ميل أهل الشام إلى عبد الرحمن بن خالد، فشق ذلك على معاوية وأسرّها في نفسه. وروى: أن عبد الرحمن بن خالد كان مريضاً، فدخل عليه ابن أثال النصراني فسقاه سما، وروى الطبرى وغيره أنه قد أمر معاوية ابن أثال أن يحتال في قتله، وضمن له أن هو فعل ذلك أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يوليه جبايه خراج حمص، فلما قدم عبد الرحمن بن خالد حمص، دس إليه ابن أثال شربه مسمومه، فشربها فمات، وولاه معاوية خراج حمص، ووضع عنه خراجه.

وفي أعيان الشيعة السيد محسن الأمين: (٣)

خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشى المخزومى. هو حفيد خالد بن الوليد الصحابى المشهور الذى اسلم قبل الفتح. وكان المهاجر والد خالد كما فى خزانه الأدب ٢٠٢/٢ عن الأصفهاني فى الأغاني مع على عليه السلام بصفين وكان خالد على رأى أبيه هاشمى المذهب ودخل مع بنى هاشم الشعب يعنى أيام ابن الزبير حين حصرهم فيه وأراد إحراقهم إن لم يبايعوه فأضطغن ذلك ابن الزبير عليه يعنى حبه لبنى هاشم فألقى عليه زق خمر وصب بعضه على رأسه وشنع عليه بأنه

ص: ٢٣٣

١- (١). نظريه عداله الصحابه لأحمد حسين يعقوب ٤٩- شيخ المضيره ١٧٥- أزمه الخلافه والإمامه لأسعد وحيد القاسم ١٣٠- الاستيعاب ٣٩٦/٢- أسد الغابه ٢٨٩/٣- الطبرى ١٢٨/٦- على خطى الحسين عليه السلام الدكتور أحمد راسم النفيس ٥٤- شذرات الذهب ابن العماد ٥٥/١ - معالم الفتن سعيد أيوب ٢٣٢/٢.

٢- (٢). اعيان الشيعة، ١٠٤/٧.

٣- (٣). نفس المصدر، ٢٩٩/٦.

وجده ثملاً من الخمر فضربه الحد وكان عمه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد مع معاوية في صفين ولهذا كان خالد بن المهاجر أسوأ الناس رأياً في عمه ثم أن معاوية لما أراد أن يظهر العهد ليزيد قال لأهل الشام إني قد كبرت سني ودق عظمي واقترب اجلي وأريد أن استخلف عليكم فمن ترون فقالوا عبد الرحمن بن خالد فسكت وأضمرها ودس إلى ابن أثال الطبيب فسقاه سما فمات وبلغ ابن أخيه خالد بن المهاجر خبره وهو بمكة فقال له عروه بن الزبير أتدع ابن أثال يفني أوصال عمك بالشام وأنت بمكة مسبل إزارك تجره وتخطر فيه متخايلاً فحمى خالد ودعا مولى له يدعى نافعاً فاعلمه الخبر وقال له لا بد من قتل ابن أثال فخرجا حتى قدما دمشق وكان ابن أثال يمسي عند معاوية فجلس له في مسجد دمشق إلى اسطوانة وجلس غلامه إلى أخرى فلما حاذاه وثب إليه خالد فقتله وثار به من كان معه فحملوا عليهم ففرقوا حتى دخل خالد ونافع زقاقاً ضيقاً ففاتا القوم فبلغ معاوية الخبر فقال هذا خالد بن المهاجر اقبلوا الزقاق الذي دخل فيه فأتى به فقال له معاوية لا جزاك الله من زائر خيراً قتلت طيبى فقال خالد قتلت المأمور وبقي الأمر فقال عليك لعنة الله والله لو كان تشهد مره واحده لقتلتك به أمعك نافع قال لا قال بلى والله ما اجترأت إلا به ثم أمر بطلبه فأتى به فضربه مائه سوط وحبس خالداً وألزم بنى مخزوم ديه ابن أثال اثني عشر ألف درهم....

مصادر حديث يكون عليكم أنمه

ورد هذا الحديث في المصادر المذكوره في الهامش فراجع. (١)

مصادر تتحدث عن بسر بن أرطاه

اختلف في صحبته ونقلوا له عنه صلى الله تعالى عليه وآله في جامع الترمذى وسنن أبي داود

ص: ٢٣٤

١- (١). (إعلام الموقعين ابن قيم الجوزيه ٣٩١/٤- منهاج السنه النبويه ابن تيميه ١١٦/١ و٤٦٠/٤ قال ابن تيميه هنا: (قالوا ومعاوية كانت رعيته تحبه وهو يحبهم ويصلون عليه)، ولازم كلامه وعلى عليه السلام كان ليس مرغوباً عند الرعيه كما يتضح من قوله في منهاج السنه ١٣/٦: (ولم يقتل عمر رضى الله عنه رجل من المسلمين لرضا المسلمين عنه) ومعنى كلامه أن علياً عليه السلام قتل المسلمين لعدم رضاهم عنه فهنيئاً للمسلمين الذين رضوا عن عمر ومعاوية ولم يرضوا بعلي - منهاج السنه النبويه ابن تيميه ١٥١/٥- مجلس إملاء في رؤيه الله تبارك وتعالى أبي عبد الله الدقاق/١١١- الفتن نعيم بن حماد ١٥١/١- مسند ابن المبارك ١٤٩- ذم الثقلاء ابن المرزبان/١٦- السنه ابن أبي عاصم ٥٠٩/٢- تعظيم قدر الصلاه المروزي ٩٠٨/٢- رياض الصالحين النووى ١٨١- مسند أبي عوانه الأسفرائينى ٤٢٤/٤-٤٢٦- الجامع للأزدى ٣٢٥/٢- مسند النزار ١٤١/١- مسند الشاميين الطبرانى ٣٦٨/١- الفردوس بمأثور الخطاب إلكيا ١٧٥/٢- تهذيب الرياسه القلعى ١١٦- كتاب تسهيل النظر وتعجيل الظفر الماوردى، ٢٢٣- شرح العقيد الطحاويه ابن أبي العز الحنفى ٤٢٩/٤ و٤٣٧- فضائح الباطنيه الغزالي ٢٠٦- السنن الوارده فى الفتن أبو عمرو الدانى ١٥١/١- الدرارى المضيه الشوكانى ٥٠٥- كنز العمال للمتقى الهندى ١٤٠/٦ و٣٣- زياده الجامع الصغير للسيوطى ٢٠٥- فلك النجاه على محمد فتح الدين الحنفى ٢١٢- لأكون مع الصادقين الدكتور محمد التيجانى ٣٨- الخدعه صالح الوردانى ٨٧- عقائد السنه وعقائد الشيعة صالح الوردانى (١٢٧).

والنسائي ولذلك أثبت ابن حبان والدارقطني وغيرهما له الصحبه، قال الواقدي: قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبسر صغير لم يسمع منه وحكى ابن عبد البر عن احمد بن حنبل وابن معين نحو هذا وقالوا خرف في آخر عمره... وأما أهل الشام فيقولون سماع منه صلى الله عليه وآله نقل عن ابن عبد البر في الاستيعاب وقال سبط ابن الجوزي: «ولا أعلم أحدا من الصحابه خرف واختلط و الله أعلم إلا ما ذكر عن بسر بن أرطاه فيما تقدم على القول بأنه صحابي»، وقال ابن معين: بسر بن أرطاه رجل سوء، والبيهقي في المعرفة: أهل المدينه ينكرون سماع بسر منه صلى الله عليه وآله وسلم، وقال فيه: وذلك لما اشتهر من سوء فعله في قتال أهل الحره وقال بعض: لا تقبل روايه من رضى ما وقع عام الحره وكان من أعوانها. أقول: سبب ارتضائه أنه كان ضد على عليه السلام وعلى كل حال راجع. (١) وكتعليق على ما ذكره أقول أيضاً: ينزهون الصحابه من الخرف ولكن النبي صلوات الله تعالى عليه وآله عندهم هجر.

وللاطلاع على أفعال بسر راجع المصادر المشار إليها في الهامش. (٢)

مصادر تتحدث عن سمره بن جندب

نقل في المنتظم (حتى ٧٥٢هـ-) ابن الجوزي: (٣) عن سمره بن جندب قوله: «و الله لو أطعت الله كما

ص: ٢٣٥

- ١- (١). تاريخ ابن معين (روايه الدورى) ٢/٤٤٨- شرح فتح القدير ابن الهمام ٥/٢٦٧- من رمى بالاختلاط سبط ابن الجوزى ٥٥٥ و ٦٠- جامع التحصيل العلائى ١٤٩- تحفه التحصيل لأبى زرع العراقى ٣٦.
- ٢- (٢). الأغانى ٥/١٥ و ١٦/٢٨٥ و ٢٨٣- مولد العلماء ووفياتهم ابن زبر الربعى ١/١٣٩- التاريخ الصغير (الأوسط) البخارى ١/٨٦- الاستيعاب ابن عبد البر ١/٨٨ و ١٥٧ و ٢/٦٩٩ و ٣/٨٩٥ و ٩٤٣ و ١٠٠٩- تصحيفات المحدثين العسكرى ٢/٥٧٧- البدء والتاريخ مطهر بن طاهر المقدسى ٥/٢٢٩- المنتظم (حتى ٧٥٢هـ-) ابن الجوزى ٥/١٦٢- التحفه اللطيفه فى تاريخ المدينه الشريفه السخاوى ١/٢١٤- العبر فى خبر من غير الذهبى ١/٦٣- مسائل الإمام أحمد د. فضل الرحمن دين محمد ١١٩- تاريخ اليعقوبى ٢/١٩٧- الكامل ابن الأثير ٣/١٩٣ و ٢٥٠ و ٢٦٣- تاريخ خليفه بن خياط ١٩٨ و ٢٠٠- شرح فتح القدير ابن الهمام ٥/٢٦٧- فلك النجاه على محمد فتح الدين الحنفى ٥٨- تاريخ الطبرى ٥/١٣٩- قال صاحب نظريه عداله الصحابه أحمد حسين يعقوب ٤٨ و ٤٩: [راجع نتائج معركة الحره فى كل كتب التاريخ وتأكد من صحه هذه النتائج وراجع على سبيل المثال الإمامه والسياسه لابن قتيبه. وراجع مروج الذهب للمسعودى ٣/٢٦]- خلاصه المواجهه أحمد حسين يعقوب ١٤٨- أين سنه الرسول وماذا فعلوا بها؟ أحمد حسين يعقوب ١٧٦ قال المؤلف: [كان بسر بن أرطاه من أصحاب مسيلمه الكذاب أسلم وولاه عمر القضاء على البصره]- الاستيعاب ١/١٢٠- أزمه الخلافه والإمامه أسعد وحيد القاسم ١٨ و ٢١٥- الانحرافات الكبرى سعيد أيوب ٥/٤٧٥- معالم الفتن سعيد أيوب ١/٣٦٨ و ٢/١٤٢ و ٢٥٤ و ٣١٣ و ٤٣٥- الاستيعاب ١/١٥٧- الطبرى ٦/٨٠- البدايه والنهايه لابن كثير ٢٢٢/٧- الخدعه صالح الوردانى ٨٣- السيف والسياسه صالح الوردانى ١٣١، ١٣٢- الصحابه فى حجمهم الحقيقى الهاشمى بن على ٥٦).
- ٣- (٣). المنتظم، ٥/٢٦٦.

أطعت معاوية ما عذبنى أبدا»، والظاهر أن كلامه المنقول هناك سببه أن معاوية عزله عن الإمارة..

وفى أخلاق سمره بن جندب جاء فى الفائق للزمخشري: (١)

كانت لسمره بن جندب عضد من نخل فى حائط رجل من الأنصار ومع الرجل أهله فكان سمره يدخل إلى نخله فيشق على الرجل فطلب إليه أن يناقله فأبى فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر له ذلك فطلب إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبيعه فأبى، فطلب إليه أن يناقله فأبى قال: فهبه له ولك كذا وكذا أمرا أرغبه فيه فأبى فقال: أنت مضاره وقال للأنصارى: أذهب أنت فاقلع نخله.

وفى الخصائص الكبرى السيوطى: (٢)

أخرج البيهقي من طريق أبي نضرة عن أبي هريرة أن النبي قال لعشره فى بيت من أصحابه آخركم موتاً فى النار فيهم سمره بن جندب قال أبو نضرة فكان سمره آخرهم موتاً، وأخرجه من وجه آخر عن أبي هريرة... فكان إذا أراد الرجل أن يغيظ أبا هريرة يقول مات سمره فإذا سمعه غشى عليه وصعق ثم مات أبو هريرة قبل سمره.

ونقل صاحب مفاهيم القرآن الشيخ جعفر السبحانى:

فقد عمد سمره بن جندب الذى أدرك عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم انضم بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم إلى بلاط معاوية بالشام، عمد إلى تحريف الحقائق مقابل أموال أخذها من الجهاز الأموى، الحاقدا على أهل البيت. فقد طلب منه معاوية بإصرار أن يرقى المنبر ويكذب نزول هذه الآيه فى شأن على عليه السلام، ويقول للناس أنها نزلت فى حق قاتل على: (أى عبد الرحمن بن ملجم المرادى)، ويأخذ فى مقابل هذه الأكذوبه الكبرى، وهذا الاختلاق الفضيع الذى أهلك به دينه، مائه ألف درهم.

وفى مقاتل بن عطيه ١٠٢: [سمره بن جندب (عن أبي حنيفة: أفلد جميع الصحابه ولا أستجيز خلافتهم إلا ثلاثه: أنس بن مالك، أبو هريره، سمره بن جندب، مختصر جاء فى كتاب المؤمل لابن شامه وفى الروض النضير فارس حسون كريم ٢٧٩: [ولاه معاويه فأسرف هذا السفاح فى القتل إسرافا لا حدود له. فهذا أنس بن سيرين يقول لمن سأله: هل كان سمره قتل أحدا؟ وهل يحصى من قتل سمره بن جندب؟ استخلفه زياد على البصره وأتى الكوفه، فجاء وقد قتل ثمانيه آلاف من الناس (وفى روايه: من الشيعة)، فقال له - يعنى زيادا -: هل تخاف أن تكون قتلت أحدا بريئا، فرد عليه قائلا: لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت... وقال أبو سوار العدوى: قتل سمره من قومي فى غداه

ص: ٢٣٦

١- (١). الفائق، ٢/٤٤٢- الشوكاني الدرارى المضيه ٣٢٩.

٢- (٢). الخصائص الكبرى، ٢/٢٤٥.

سبعه وأربعين رجلا- قد جمع القرآن... وأغار سمره بأمر معاويه على المدينة، فهدم دورها وجعل يستعرض الناس على التهمه والظنه، فما بلغه عن أحد يقال له: إنه ساعد على عثمان إلاقته... .

وفى الكامل لابن الأثير: (١)

قال ابن سيرين قتل سمره فى غيبه زياد هذه ثمانيه آلاف فقال له زياد أتخاف أن تكون قتلت بريئاً فقال لو قتلت معهم مثلهم ما خشيت، وقال أبو السوار العدوى قتل سمره من قومي فى غداه واحده سبعة وأربعين كلهم قد جمع القرآن وركب سمره يوماً فلقى أوائل خيله رجلا- فقتلوه فمر به سمره وهو يتشحط فى دمه فقال ما هذا فقبل أصابه أوائل خيلك فقال إذا سمعتم بنا قد ركبنا... .

وفى فلك النجاه قال على محمد فتح الدين الحنفى: (٢)

فى النصائح الكافيه ذكر أبو جعفر الطبرى بإسناده: وقد قتل (سمره) ثمانيه آلاف من الناس، وفيه: قتل سمره سبعة وأربعين رجلا كلهم قد جمع القرآن. قال العلامة وحيد الزمان فى المشرب الوردى: ومن أقوى الشبه المؤثره على الإقدام لقبوله وهى كونه من مرويات سمره الذى جد واجتهد فى الفتنة ومخالفه أمير المؤمنين سيدنا على بن أبى طالب، وعدوانه لا- إرادته لوجه الله بل لأغراض تقسح فى عدالته (لا يسع المقام ذكرها)، وقد نقلت عنه أشياء منكره، ومن ثم اختلف الأئمه فى توثيق من على مذهب سمره ومعاويه. وقال أيضا: وفى نفسى من سمره شىء لا أعتمد على روايته].

وقال فى إعلام الموقعين ابن قيم الجوزيه: (٣)

ومن ذلك أن سمره بن جندب لما باع خمر أهل الذمه وأخذه فى العصور التى عليهم فبلغ عمر فقال قاتل الله سمره أما علم أن رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجمعوها وباعوها.

وللمزيد عن سمره راجع هذه المصادر. (٤)

المنع من تدوين السنه تحليل ومصادر

أما المصادر فقد استوعبها الشيخ على الكوراني فى كتابه تدوين القرآن (٥) فمن أراد مزيد

ص: ٢٣٧

١- (١) . الكامل، ٣/٣١٨.

٢- (٢) . فلك النجاه، ٥٨.

٣- (٣) . اعلام الموقعين، ١/٢٠٩.

٤- (٤) . راجع شرح النهج: ١/٣٦١- تاريخ الطبرى ١٢٢/٦ و١٣٢ و٢٨٠- نظريه عداله الصحابه أحمد حسين يعقوب ١١١ و١١١- لقد شيعنى الحسين عليه السلام إدريس الحسينى ١٥١ و٢٥١- معالم الفتن سعيد أيوب ٢/٢١٩ و٢٢٤ و٢٥٢- منهج فى الانتماء

المذهبي صائب عبد الحميد ٢٥٠ وما بعدها - إمتاع الأسماع المقريزي ٤/٤٠٦ و٨/١٣٣ و١٢/٢٢٣).
٥- (٥). تدوين القرآن، من ص ٣٦٥ ولغايه ص ٤٠٤.

اطلاع فليذهب هناك.

ومع ذلك هناك ملاحظتان التي أود أن أبعدها هنا فتابع.

الملاحظة الأولى:

من خلال ما جاء في آثار الذين منعوا من تدوين السنن أنهم منعوا من روايتها فضلاً عن تدوينها، وهو أمر مهم جداً، ففرق بين منع التدوين والسماح بالرواية وبين المنع من الرواية والتدوين، وهذا هو الكتمان بعينه.

الملاحظة الثانية: في مشروعيه الاستخاره على تحريم أمر واجب:

الواقع أن ما ورد من أن عمر بن الخطاب قد جلس شهراً يستخير الله تعالى في هذا الأمر (1) لا يصح وليس له أى وجه شرعى لما يأتى:

١. حديث الأريكة الذى مر ذكره فى أصل البحث.

٢. روى أبو داود فى سننه ١٧٦/٢، ٢١٥:

.. عن عبد الله بن عمرو، قال: كنت أكتب كل شىء أسمع من رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أريد حفظه، فنهتنى قريش، وقالوا أكتب كل شىء تسمعه، و رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم بشر يتكلم فى الغضب والرضا فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك ل رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم فأوماً بإصبعه إلى فيه فقال: أكتب، فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلا حق.

رواه أحمد فى مسنده ١٩٢/٢ بتفاوت يسير، وروى الحاكم فى مستدرکه ١٠٥/١ و ٥٢٨/٣ مثل ذلك والهيتمى فى مجمع الزوائد ١٥١/١ كذلك.

٣. آيات القرآن الكريم الكثيره التى وردت بهذا الصدد منها: وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (النجم:٣)، وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (الحشر: من الآية٧)، مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَ مَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (النساء: ٨٠)، وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (آل عمران: ١٣٢)، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ (النساء: من الآية٥٩)، وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ احْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (المائدة: ٩٢)، وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (الأنفال: من الآية١)، وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ (الأنفال: من الآية٤٦)، قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا

ص: ٢٣٨

الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (النور: ٥٤)، وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُزْحَمُونَ (النور: من الآية ٥٦)، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ لَا تَبْغُوا أَعْمَالَكُمْ (محمد: ٣٣)، (وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ (المجادلة: من الآية ١٣)، وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (التغابن: ١٢). وَ لَا أَظُنُّ عَاقِلًا يَصْدُقُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَأْتِي نَبِيًّا لَهُ يَرشُدُ النَّاسَ ثُمَّ يَرْضَى بِتَضْيِيعِ مَا بَلَغَ بِهِ فَتَأَمَّلْ.

فإن قيل: إنه اجتهاد منه والمجتهد إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد رجعنا إلى إخضاع قاعده تأول فأخطأ إلى القاعده نفسها فتأكل نفسها بنفسها لأنها خرجت من غير معصوم.

ثم إن الاجتهاد لو تنزلنا وقبلنا ذلك فإنه يقبل في النص ولا يقبل في قبال النص، ففي الحاله الثانيه يكون مصداقاً لمحو النص، وهذا أيضاً من الكتمان المنهى عنه. وفي هذه الحال يكون كل تغيير للسنه النبويه المطهره كتماناً من تقديم أهل الكساء إلى آخر ما قام به رسول الله صلوات الله تعالى عليه وآله.

مصادر الوصيه في آل البيت

من يدعى أن النبي صلوات الله تعالى عليه وآله لم يوصِ فقد أخطأ، فقد وردت الوصيه عن طريق حديث مسلم، واللطيف أنه لم يقل (بأهل بيتي) بل (في أهل بيتي) وفرق بين اللفظين كبير وذلك من جهتين:

الجهه الأولى: على الأول يكون معناه أنه طلب من المسلمين التلطف والاهتمام بهم ولا مانع من أن يوصى بغيرهم وأما لفظ (في) فمعناه حصر الوصيه فيهم وليس لغيرهم أن يدخلوا في هذا الأمر وهو أمر الوصيه كائنه ما تكون.

الجهه الثانيه: أن التذكير بالله والطريق الصحيح المؤدى إليه منحصر فيهم.

النتيجه أنه صلوات الله تعالى عليه وآله لما أوصى المسلمين بالأنصار قال أوصيكم بالأنصار وبالعباس و بالنساء ولكن عندما وصل إلى آل عليهم أفضل الصلاه والسلام أوصى فيهم ولم يكتفِ بأن يوصى لهم.

وقد وجدت مؤيداً لما ذهب إليه وهو ما جاء في شرح نهج البلاغه لابن أبي الحديد: (١) (فأما كيفية الاحتجاج على الأنصار، فقد ذكرها على عليه السلام، وهي أنه لو كان صلوات الله وسلامه عليه ممن يجعل الإمامه فيهم، لأوصى إليهم ولم يوص بهم. وإلى هذا نظر عمرو بن سعيد بن العاص، وهو المسمى بالاشدق، فإن أباه لما مات خلفه غلاماً، فدخل إلى معاوية فقال: إلى من أوصى بك أبوك؟ فقال: إن أبي أوصى إليّ ولم يوص بي، فاستحسن معاوية منه ذلك، فقال: إن هذا الغلام لأشدق، فسمى الأشدق.. وعن كتاب (مجلسان من إملاء النسائي): (٢) أخبرنا أبو علي محمد بن يحيى المروزي ثنا شاذان بن عثمان ثنا أبي أنبا شعبه عن هشام بن زيد قال: سمعت أنس بن مالك يقول: مر أبو بكر والعباس رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال: ما يبكيكم قالوا: ذكرنا مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منا فدخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد عصبوا على رأسه حاشيه برد فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشى وعييتى وقد قضاوا الذى عليهم وبقي الذى لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم). (٣)

وجاء فى كنز العمال المتقى الهندى (٤) عن عبد الله بن عمر قال: كتب أبو بكر الصديق إلى عمرو بن العاص، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاورنا فى الحرب، وعليك به، قال: وكتب إليه، أما بعد فقد عرفت وصيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالانصار بعد موته: إقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن سيئهم. (البزار طب عق) وسنده حسن.

ص: ٢٤٠

-
- ١- (١). شرح النهج البلاغه، ٤/٦.
- ٢- (٢). مجلسان من إملاء النسائي، ص ٤٧.
- ٣- (٣). كذلك ورد فى السنن الكبرى النسائي ج ٥ ص ٩١ ح ٨٣٤٦ - مسند أبي يعلى الموصلى ج ٧ ص ٧٣ ح ٣٩٩٨ - شرح نهج البلاغه ابن أبي الحديد ج ٦ ص ٤: قال هناك: (قد ذكرنا فيما تقدم طرفاً من أخبار السقيفة، فأما هذا الخبر الوارد فى الوصيه بالانصار، فهو خبر صحيح، أخرجه الشيخان محمد بن إسماعيل البخارى ومسلم بن الحجاج القشيري فى مسنديهما، عن أنس بن مالك... ثم أورد الحديث..- الجامع الصغير جلال الدين السيوطى ج ١ ص ١٥٣، ١٥٤/ (١٠٠٩) استوصوا بالأسارى خيراً. (١٠١٠) استوصوا بالأنصار خيراً. (١٠١١) استوصوا بالعباس خيراً، فإنه عمى وصنو أبى. (١٠١٢) استوصوا بالنساء خيراً.]- كنز العمال المتقى الهندى ج ١٢ ص ٤/ ح ٣٣٦٩٨، قال: وأخرجه البخارى فى كتاب المناقب (٤٣/٥)- كنز العمال المتقى الهندى ج ١٢ ص ٨/ (٣٣٧١٧)...
- ٤- (٤). كنز العمال، ج ٣ ص ٧٨٩: (٨٧٦٦).

كما جاء في فيض القدير شرح الجامع الصغير المناوى (١) - (استوصوا) قال الطيبي: الأظهر أن السنين للطلب مبالغه أى اطلبوا الوصيه من أنفسكم فى حقهم بخير (بالأنصار خيراً)... وأخذ منه أن الخلافه ليست فيهم وإلا لأوصاهم ولم يوص لهم)، أقول: بل لأوصى لهم وليس بهم ثم أكمل قائلاً: (وقول ابن حجر لا دلالة فيه إذ لا مانع من ذلك فيه تحامل لا يخفى)... وفى ح/ (١٠١١) (استوصوا بالعباس) أبى الفضل ذى الرأس العجزل والقول الفصل (خيراً فإنه عمى وصنو..) بكسر فسكون (أبى) فهو أب مجازاً وهو شقيق والده عبد الله بن شيبه الحمد ووصى عمه (٢) من بعده كان رئيساً فى قريش قبل الإسلام، إليه عماره المسجد الحرام والسقايه أسر بيدر لقول المصطفى صلى الله عليه [وآله] وسلم من لقيه فلا يقتله فإنه خرج مستكرها وفادى نفسه... وإسناده ضعيف لكن يعضده ما جاء عن ابن عباس بلفظ استوصوا بعمى العباس خيراً فإنه بقيه آبائى (٣) وإنما عم الرجل صنو أبيه ورواه الطبرانى وفيه كما قال الهيثمى عبد الله بن خراش ضعيف وبقية رجاله وثقوا. وفى ح/ (١٠١٢) (استوصوا بالنساء خيراً) أى اطلبوا الوصيه والنصيحه لهم من أنفسكم أو اطلبوا الوصيه من غيركم بهن (أو اقبلوا) وصيتى فيهن واعملوا بها وارفقوا بهن وأحسنوا عشرتهن ...

وعن عمر بن الخطاب أوصى الخليفه من بعده ولكن (ب-) ولم يوص (ل-)..

السنن الكبرى النسائى: (٤) أخبرنا محمد بن منصور قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا حصين بن عبد الرحمن قال: سمعت عمرو بن ميمون يقول أوصى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال: أوصى الخليفه من بعدى بتقوى الله، وأوصيه بالمهاجرين الاولين الذين أخرجوا من ديارهم... - الآيه - أن يعرف لهم هجرتهم ويعرف لهم فضلهم، وأوصيه بالانصار الذين تبوءوا الدار والايامن من قبلهم - الآيه - أن يعرف لهم فضلهم وأن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم، وأوصيه بأهل ذمه محمد صلى الله عليه [وآله] وسلم أن يوفى لهم بعدهم وأن لا يحمل عليهم

ص: ٢٤١

١- (١). فيض القدير، ج ١ ص ١٠١٠/٦٤٢.

٢- (٢). يتضح من كلام الشارح أن الوصيه أمر متعارف بينهم فى ذلك الحين فمن هو وصى النبى صلوات الله تعالى عليه وآله من بعده؟

٣- (٣). انظر أخى القارئ إلى قوله صلوات الله تعالى عليه وآله: (بقية آبائى..) ولم يقل أبى فإن كلمه (أب) تطلق على الأعمام والأجداد ويستفاد منه أن (آزر) عم إبراهيم النبى عليه وعلى نبيه وآلهما الصلاه وآلاف التحايا والسلام.. جاء فى القرآن الكريم *أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِنَبِيِّهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ (البقره: من الآيه ١٣٣)*، وبعد أن نضم لذلك قاعده مستفاده من الآيه الكريمه: *مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْتَنَا وَاجْتَبَيْنَا (مريم: من الآيه ٥٨)* و *ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (آل عمران: ٣٤)*، نصل إلى طهاره آباء المصطفين صلوات الله تعالى عليهم أجمعين. هذا مع قرائن أخرى أعرض لها إن شاء الله العزيز فى التفسير.

٤- (٤). السنن الكبرى، ج ٦ ص ١١٥٨١/٤٨٥.

فوق طاقتهم وأن يقاتل عدوهم من ورائهم... كما ورد ذلك في كنز العمال المتقى الهندي... (١).

مصادر نفى أبي ذر رضوان الله تعالى عليه

نفى أبي ذر رضوان الله تعالى عليه إلى الربذه، (٢) وكان السبب اختلافه رضوان الله تعالى عليه مع معاوية ليس على جمع الأموال كما يصورها المدافعون عن الثاني، بل في تحريف الآية الكريمة: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (التوبة: ٣٤)، فإن معاوية قرأها من دون واو قوله تعالى وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ لِأَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَغَيِّرَ مَعْنَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ فَإِنَّهَا مِنْ غَيْرِ الْوَاوِ تَصِيرُ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ صَفَةً الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ وَمَعَهَا تَكُونُ عَامَةً لَيْسَتْ خَاصَةً بِالْمَذْكُورِينَ.

فأرادوا ترقيع ذلك لمعاوية فحرّفوا الكلام فقالوا: قال معاوية: هي خاصة بالمذكورين وقال أبو ذر: هي تعمهم ومن يكثر.. وألصقوا التهمة لشخصيه مختلقه أطلقوا عليها عبد الله بن سبأ وكان المقصود عمار بن ياسر.. للمزيد راجع...

مصادر سب أمير المؤمنين على عليه السلام

تجد فيها النهي عن سب على بن أبي طالب أمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه ومصادر تذكر من كان يسبه، وتجد هذا الأمر في مصادر قتل أصحابه وشيعته عليه السلام . ٣ وأي عداله لمن

ص: ٢٤٢

١- (١) . كنز العمال، ج ١٢ ص ٣٦٠٣٩/٦٧٨ - ٣٦٠٨٦/٧٠١.

٢- (٢) . البلاذري في الأنساب ٤٨/٥، ٤٩، ٨٨- شرح النهج ابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣٨، ٢٣٩- الاستيعاب ج ٢ ص ٤٢٢- ابن عبد ربه العقد الفريد ج ٢ ص ٢٧٢- تاريخ يعقوبى ج ٢ ص ١٤٧، ١٥٠- تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٧١- الإمامه والسياسه ج ١ ص ٣٢- مروج الذهب للمسعودى ج ٢ ص ٣٣٨- شرح نهج البلاغه لأبن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٦- عثمان بن عفان ذو النورين لمحمد رضا/ ٥٢- ١٢٤- طبقات ابن سعد ١٦١/٤- الإصابه ٦٠/٧- صفه الصفوه ٢٣٨/١- حليه الأولياء ١٥٦/١- ذيل المذيل/ ٢٧- الذريعه ٣١٦/١- الكنى والأسماء ٢٨/١- تاريخ الأمم والملوك الطبرى ٦١٥/٢- الكامل لابن الأثير ١١/٣- أضواء على عقائد الشيعة الإماميه للسبحانى ٤٢- كذبوا على الشيعة سيد محمد رضوى ٣٢٧- الإمامه وأهل البيت محمد بيومى مهراڻ ٢٣٤/١ وما بعدها- ٢٩٨- الخلافه المغتصبه إدريس الحسينى ١٠٤- لقد شيعنى الحسين عليه السلام إدريس الحسينى ٩٦- حقيقه الشيعة الاثنى عشرية أسعد وحيد القاسم ٦٣- أزمه الخلافه والإمامه أسعد وحيد القاسم ١٠٠- الانحرافات الكبرى سعيد أيوب ٤٥٧- معالم الفتن سعيد أيوب ١٣/١- السيف والسياسه صالح الوردانى ٩٥- الصحابه فى حجمهم الحقيقى الهاشمى بن على ٥٣- التمهيد لابن عبد البر ١٥١/١٧- تفسير ابن كثير ٣٥٣/٢- المنتظم (حتى ٧٥٢هـ-) ابن الجوزى ٣٤٦/٤- الكامل لابن الأثير ١٠/٣- وكذب المالتقى فى كتابه مقتل الشهيد عثمان ٨٣ حيث ادعى بأن أبا ذر رضوان الله تعالى عليه هو أراد التسيير إلى الربذه تغطيه لمعاوية وكأن الله جل جلاله لا يعلم بالأمر.

سبه عليه السلام وقاتله خاصة بعد حديث:

«سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» كما مر في صفحته ٤١.

مصادر تتبع الشيعة

حينما أوردت المصادر التي تحدثت عن التضييق على أهل البيت صلوات الله تعالى عليهم وكذلك على أصحابهم وهنا على شيعتهم ليس ذلك لكسب العطف أو المؤيدين إنما كي تكون على علم بحقائق الأمور هذا من جهة ولارتباط هذه المسألة بأصل غايه تأليف هذا الكتاب. فانظر إلى هذه المآسى وضع نفسك مكان من وقع عليه الحيف والظلم وليس مهماً أن تتحول من مذهب إلى آخر إنما المهم أن يتوفق الإنسان إلى الحكم بالحق فيتحول إلى صاحب بصيره.. وعلى المنصف أن يلاحظ مسأله مهمه وهى أن من هؤلاء من كان من أهل البيت عليهم السلام أو من الصحابه أو من خيره التابعين فافهم.. وعلى كل حال لو أردت أن تحكم على تتبع الشيعة فلا تبعد عنك كتب المستبصرين وكما ذكرت قد تكتفى بما صنعوا بآل محمد صلوات الله تعالى عليهم أجمعين فمن باب أولى أن فعلهم بأتباعهم يكون مشابهاً إن لم يكن أسوأ.. وإليك هذه المجموعه من المصادر.

(١)

مصادر حديث البيعه لإمام

كما جاء بلفظ: من مات وليس في عنقه بيعة لإمام لقي الله يوم القيامة لا حجه له، أو بلفظ: ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليه... راجع هنا لتطلع (٢) فما حكم من تخلف عن

ص: ٢٤٤

١- (١). الشيعة في مصر للوردانى - تصحيح اعتقادات الإماميه الشيخ المفيد ص ١٠٩- الاحتجاج الشيخ الطبرسى ١٧/٢- البحار ٣٣/١٧٩، ١٩٢، ٥٢٢، ١٢٥/٤٤، ١٦٣/٤٢، ٢٩٠/٤٩- شجره طوبى الشيخ محمد مهدي الحائرى ١/١٠١، ١٢١، ٣٧٥/٢- الغدير الشيخ الأمينى ١١/٦، ٢٨، ٦٩- أمان الأئمه من الاختلاف الشيخ لطف الله الصافى ٣٩- نهج السعاده الشيخ المحمودى ٢/٥٤٣، ٦٣٩، ١٨٩/٧، ٣٦٥/٨- الإمام على عليه السلام أحمد الرحمانى الهمدانى ٤٦٨- أضواء على الصحيحين الشيخ محمد صادق النجمى ٥٢- الإمامه والسياسه ابن قتيبه الدينورى تحقيق الشيرى ٢/١٨٠- ترجمه الامام الحسن عليه السلام ابن عساكر ١٢٨- كشف الغمه ابن أبى الفتح الإربلى ٢/٨٩- مجموعه الرسائل الشيخ لطف الله الصافى ٢/١٨- كتاب سليم بن قيس تحقيق محمد باقر الأنصارى ١٨٨- مستدرک سفینه البحار الشيخ على النمازى ٢/٢١٥، ١٩١/٩، ٦٥٧- الإمام جعفر الصادق عليه السلام عبد الحليم الجندى ٢٥٥- الكنى والالقباب الشيخ عباس القمى ٢/٣٣١- دراسات فى الحديث والمحدثين هاشم معروف الحسينى ٣٣٦- الهدايه الكبرى الحسين بن حمدان الخصبى ٢٢٧- أضواء على عقائد الشيعة الإماميه الشيخ السبحانى). هذا بالإضافة إلى كتب المستبصرين فتابع هناك للتأكد من صحه المعلومات.

٢- (٢). منهاج السنه لابن تيميه ١/١١١، ٥٦١-٤١٢/٤- مجموع الفتاوى

بيعه على عليه السلام أو نكث؟

مصادر حديث افتراق الأمة

هذا الحديث ورد في كتب العامه بهذا الكم وأكثر كما ورد في كتب الخاصه أيضاً، فلماذا يحمل السلفيون على الشيخ المفيد رحمه الله ولماذا هذا العداء الخاص له؟ وعلى كل حال راجع هذه المصادر لتتعرف. (1)

على أنه من الواضح أنه لا- يحق لأحد أن يحكم بخطأ غيره إلا إذا كان معصوماً، وبخلافه يحمل على الطرفين الخطأ والصواب فلا- يحق له أن يكون متبوعاً، ولا يحق له الحكم بتجاوز الحرمات الثلاث. وادعاء العصمه ما لم يكن مدعماً بدليل أيضاً ليس بشيء، أما نحن فلا ندعى أن أئمتنا معصومون فقط، بل الدليل قائم على ذلك من خلال القرآن الكريم.

ص: ٢٤٥

١- (١). مسند أحمد ٧٩/٣- المستدرک الحاکم النيسابوری ٥٤٧/٣- السنن الكبرى البيهقي ١٨٧/٨- مجمع الزوائد الهيثمي ١٧٩/١، ١٨٩، ٢٣٣/٦، ٢٣٤ و ٢٥٩/٧- مسند سعد بن أبي وقاص لأحمد بن إبراهيم الدورقي ١٤٨- سؤالات الآجری لأبي داود سليمان بن الأشعث ٢٧٨/٢- السنن الكبرى النسائي ١٥٨/٥- خصائص أمير المؤمنين عليه السلام النسائي ١٣٦- مسند أبي يعلى ٢/٤٩٩ و ٣٢٧- مسند الشاميين الطبراني ١٤٣/٢- مسند ابن حبان ١٧٨/١- كتاب الغرباء محمد بن الحسين الآجری ٢٥- المعجم الصغير الطبراني ٢٥٦/١- المعجم الأوسط الطبراني ١٣٧/٥ و ٢٢/٨- فوائد العراقيين ابن عمرو النقاش ٤٦- نظم درر السمطين الزرندي الحنفي ٢٤٣- منهاج السنه ابن تيميه ٣١٠/٦- مجموع الفتاوى ابن تيميه ٣٤٥/٣- السنه ابن أبي عاصم ٣٢/١- اعتقاد أهل السنه اللالكائي ١٠١/١، ١٠٣- يقظه أولى الاعتبار القنوجي ١٩٩- مصباح الزجاجه البوصيري ١٧٩/٤- الفردوس بمأثور الخطاب إلكيا ٢/٦٤- كشف الخفاء العجلوني ١٦٨/١، ٣٦٩ أو ١٥٠/١، ٣٠٩- تفسير ابن كثير ٢/٤٣٣، ٤٦٦ و ٥٣٨/٤- تفسير البيضاوي ٢/٤٧٠- تفسير أبي السعود ٣/٢٠٦- روح المعاني الألوسي ٢٣/٤ و ٦٨/٨- الخصائص الكبرى السيوطي ٢/٢٤٨- التنبيه والرد على أهل الأهواء الملطي ١٣- التبصير في الدين الإسفرايني ١٥- كتب ورسائل وفتاوى ابن تيميه في العقيدة ٣/٣٤٥- الفرق بين الفرق عبد القاهر البغدادي ٤- افتراق الأمة الصنعاني ٥٠/٩٦- الموافقات الشاطبي ١٧٧/٤- كتاب التقرير والتحبير ابن أمير الحاج ٣/٤٢٣- إيقاظ الهمم الفلاني ١٠- تحفه الأ- حوذى المبارك فوري ٧/٣٣٤- المعجم الكبير الطبراني ٨/٢٧٣ و ١٨/٥١- كنز العمال للمتقى الهندي ٢١٠/١، ٣٧٧ و ٢٢٠/٢ و ١١/٦٦، ٣٠٩- نظم المتناثر من الحديث المتواتر للشيخ محمد بن جعفر ٢٧/٤٦- زياده الجامع الصغير للسيوطي ٩١- إلزام النواصب بإمامه على عليه السلام لابن راشد ٧٣- سفينه النجاه التنكابني ٥٤- شرح إحقاق الحق للسيد المرعشي ٣/٤١٣ و ٧/٦٠٢- مناظرات في العقائد عبد الله الحسن ٢/٢٠٥- صحيح شرح العقيدة الطحاويه السقاف ٦٢٩- ثم اهتديت التيجاني ٧٤/٧٩- لقد شيعني الحسين عليه السلام الحسيني ٩٣- دعوه إلى سبيل المؤمنين طارق زين العابدين ١٦).

وعليه فاعلم أن هناك حادثه ثبتت في كتاب الله تعالى، وهي حادثه المباهله ذكرها في كتابه العزيز، حيث قال تعالى: فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ (آل عمران: من الآية ٦١)، (١) هذه الآية المباركه نزلت في بيان أهل النبي صلوات الله تعالى عليه وآله، واعترف ابن قيم الجوزيه (٢) بأن له صلى الله عليه وآله وسلم عندئذٍ عدّه نساء ومع ذلك كان المقصود بقوله تعالى: نِسَاءَنَا هي فاطمه صلوات الله تعالى عليها، وأما أَبْنَاءَنَا فهما الحسنان صلوات الله تعالى عليهما السلام، وأما أنفسنا أنفسنا فهو أمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه.. والروايه على ما جاءت في مسلم (٣) حينما أمر معاويه سعد بن أبي وقاص أن يسب علياً صلوات الله تعالى عليه فامتنع، حيث جاء هناك:

أمر معاويه بن أبي سفيان سعداً فقال ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول صلى الله عليه [وآله] وسلم، فلن أسبه، لأن تكون لى واحده منهن أحب إليّ من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول له خلفه في بعض مغازيه، فقال له على يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم أما ترضى أن تكون منى بمنزله هارون من موسى، إلاّ - أنه لا - نبوه بعدى، وسمعتة يقول يوم خيبر: لأعطين الرايه رجلاً - يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، قال فتطاولنا لها، فقال ادعوا لى علياً، فأتى به أرمم فبصق فى عينه ودفع الرايه إليه، ففتح الله عليه ولما نزلت هذه الآية: فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم علياً وفاطمه وحسنًا وحسينًا، فقال اللهم هؤلاء أهلى.

فالروايه واضحه لا تحتاج بياناً إلاّ إلى من أقفل قلبه.

ثبت أنّ أمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه هو نفس الرسول باتفاق جميع أهل المله؛ لما ورد فى الأثر فى تفسير هذه الآية المباركه، ولما كان النبي صلوات الله تعالى عليه وآله لم يكن بصدد إثبات نسه فى المباهله، بل بصدد إثبات نبوته فالجميع يعلم أنّه محمد بن عبد الله، ولكن الخلاف كان فى أنّه رسول الله تعالى صلوات الله تعالى عليه وآله لم يكن ذلك أمراً عشائرياً أو عرفياً أو قبلياً، كما يصورون، فبذلك يتضح أن كل وصف يثبت له صلى الله تعالى عليه وآله يثبت

ص: ٢٤٦

١- (١) . منهاج السنه ابن تيميه ١٢٣/٧ - معرفه علوم الحديث الحاكم ٤٩ - تاريخ اليعقوبى ٨٢/٢ - مناهل العرفان محمد عبد العظيم الزرقانى ٢٩١/٢).

٢- (٢) . زاد المعاد ٦٣٣/٣ - هدايه الحيارى ٤٤.

٣- (٣) . مسلم ١٢٠/٧ . وانظر كيف حرفوا كنيته عليه السلام من - أبا تراب - إلى - أبا التراب - .

لأمير المؤمنين صلوات الله تعالى عليه، إلا قوله تعالى: إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (يس: ٣)، كما ثبت من القرآن الكريم من قوله تعالى: وَ لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ وَ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ (الأحزاب: من الآية ٤٠) ومن روايه مسلم كما اوضح. وقد قال الله تعالى للرسول الخاتم صلوات الله تعالى عليه وآله: فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (النمل: ٧٩)، وهو عليه السلام على الحق المبين، وَفَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ (الحج: من الآية ٦٧)، فهو أيضاً كذلك لا ينزع في الأمر ولم يقل في النبوه لئلا يتم التخصيص به، وَإِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (الفتح: ١٠)، فهو كذلك، وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (القلم: ٤)، وَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (الزخرف: من الآية ٤٣)، فيثبت أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الصراط المستقيم من بعد، وإذا رجعت إلى قول إبليس عليه اللعن حيث قال فيما نقل عنه القرآن الكريم: لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (الأعراف: من الآية ١٦)، عندما توفي النبي صلوات الله تعالى عليه وآله كان الصراط المستقيم أو الذي على الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين عليه السلام فقعد إبليس أذاه وبدأ يحرف الناس عنه إلى غيره، فحصلت الفلته ثم التعيين، ثم الشورى، ثم قامت الحروب ضده وضد من بعده لحد الآن، فلا تعجب ولا تكن ممن ينطبق عليه قوله تعالى: إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَ لَا تَسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (النمل: ٨٠) فاسمع من أمير المؤمنين عليه السلام كما لو أردت أن تسمع من الرسول صلوات الله تعالى عليه وآله وإلا فسوف يخصمك كل منهما: ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (الزمر: ٣١) لانطباق الآية الكريمة عليهما بالسواء، فمن هنا تأتي روايات البخاري حيث نقل أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (١)

«يرد على الحوض رجال من أصحابي فيحلون [فيجلون] عنه فأقول يا رب أصحابي، فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أديبارهم القهقري..» وفيه كذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

بيننا أنا قائم فإذا زمره حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أديبارهم القهقري، ثم إذا زمره حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: ما شأنهم قال: إنهم ارتدوا بعدك على أديبارهم القهقري. فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم..

ص: ٢٤٧

وذكر أنّ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلواته على الميت، ثم انصرف على المنبر فقال: (١)

إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشرکوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها..

أيها القارئ! دلني بالله عليك على هذا الرجل الذي يخرج من بين النبي صلوات الله تعالى عليه وآله بين الصحابة لأتبعه، فإن كان علياً صلوات الله تعالى عليه فاتبعه خيراً لك وإلا فقل من هو...؟

انتبه لنفسك، وانظر من تبايع ولا يدخلنك هوس الشيطان، فالنبي صلوات الله تعالى عليه وآله قد بين ضلال وارتداد قسم كبير من الصحابة ولم يبين ضلال أهل البيت: (خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت ما شأنهم قال: إنهم ارتدوا بعدك على أديارهم القهقري. فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم)، وفي روايه مسلم:

«ولما نزلت هذه الآية: فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم، دعا رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال اللهم هؤلاء أهلي.»، فانظر ماذا تقدم لنفسك، واختر لنفسك من قوله تعالى: أَمْ مَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (الملك: ٢٢).

ولو جمعت بين الروايات التي وردت في وجوب البيعة لإمام وروايات افتراق الأمة والروايات التي جاءت بصدد بيان الفتن وما سيصيب المسلمين لشعرت بضروره وجود المعصوم ليكون الدال على الصراط، فقد تقاتل بنو أمية وبنو العباس على السلطه، (٢) فمع من يجب أن يصطف المسلمون! أمع بنو أمية؟ أم مع بنو العباس؟ أم يعتزلون؟ وإن اعتزلوا فهل من إمام لهم حينئذ أم من غير إمام؟ فإن كان المعتزل من غير إمام، فهذا خلاف وجوب البيعه، وإن كان مع إمام، فإن كان غير معصوم، فكيف سيدله على الحق، وهو محتاج الدليل، وإن كان معصوماً ثبت المطلوب. فإن قيل هذه فتنه فيكون المعتزل ناجياً بمجرد الاعتزال

ص: ٢٤٨

١- (١). همان/٢٠٩.

٢- (٢). طبعاً لا يسع أحداً أن يقول: إن سبب النزاع هو عبد الله بن سبأ، فالقتال الذي حصل بين الطرفين كان من أجل السلطه ليس غير، وكلا الطرفين كان من غير أتباع آل محمد صلوات الله تعالى عليهم أجمعين.

نرجع إلى حديث ضروره البيعه لإمام.. وقد تعمد أو اشتبه من اعتزل أو قاتل علياً عليه السلام ، ومات إما محارباً إمامه أو لا إمام له، فعلى عليه السلام كما مرّ هو الذى على الصراط المستقيم، فإنّهم لم يتبعوا أقوال النبي صلوات الله تعالى عليه وآله فى وجوب البحث عن الإمام أيام الفتن ولو كانت الطاعه لا- على التعيين لكان أهل الفتن كلهم على الحقّ، فلكل إمام، ولكن الأحاديث نصت على ضروره البحث عن الإمام والمقصود هنا، الإمام الحقّ، والإمام الحقّ لا يعنى الظنى، بل اليقيني، قال الله تعالى: وَ مَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً (يونس: من الآية ٣٦).

ملاحظه مهمه

قد تشكّل كثره المصادر عبناً أثناء الطباعه والتحقيق فلذلك أرجو التحقق باستخدام الاقراص. ثم إنّّه قد يحصل خطأ من قبل البرنامج فى استخراج أرقام مجلدات المصادر فتتقلب مثلاً من ٤٩ إلى ٩٤ فأرجو المتابعه وهذا يحصل مع بعض الكتب الشيعيه فى برنامج المعجم الفقهي القديم، وأما الاختلاف فى الطبعات فهذا ممّا يخرج عن إمكان التصرف، والبحث فى أجهزه الكمبيوتر يسهل العثور على الهدف.

تم الكتاب بعونه تبارك وتعالى والصلاه والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية

WWW

للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩